مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨٠ هـ — يوليه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس بعد الدين وازع

بقلم : أحمد حسن الزيات

التقوى ، وهى استشعار الخوف من الله طبيعة فى الشعب الكادح غرسها فيه افتقاره الدائم إليه ، واعتماده المطلق عليه ، ورجاؤه المتصل فيه ؛ أما الملوك والسراة فهم خليقون باستغنائهم عنه بطغيان الملك وسلطان المال ألا يخشوه وألا يرجوه إلا إذا حملوا على تقواه حملا منذ النشأة بالتربية الدينية والثقافة الروحية والقدوة الحسنة . فإذا ولد السرى أو الغنى فى مهد غير نظيف ، ونشأ فى بيت غير شريف ، لا يجد أبا يصلى ولا أما تستغفر ولا مربيا يرشد ، شب على غرائز البهيم : هوى من غير عقل ، وشهوة من غير كابح ، وسطوة من غير ضمير ، وإذا مكن له بحكم الوراثة أو بفعل الظروف أن ينحط على عرش أمة ، ستره بالسلاح عن عيون الشعب ثم استعان بغفلة الوعى القومى على أن يجعل العرش فرشا والقصر ماخورا والحكومة مطية والوطن ضيعة . ثم يتدفق فى الفجور ويستهتر فى الفساد لا يتقى الله لأن الشيطان يعده ويمنيه ، ولا يخشى الشعب لأن الجيش يحرسه ويحميه ، حتى إذا انكشفت

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك فيها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب نصف

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨٠ هـ — يوليه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس بعد الدين وازع

بقلم : أحمد حسن الزيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التقوى ، وهى استشعار الخوف من الله طبيعة فى الشعب الكادح غرسها فيه افتقاره الدائم إليه ، واعتماده المطلق عليه ، ورجاؤه المتصل فيه ؛ أما الملوك والسراة فهم خليقون باستغنائهم عنه بطغيان الملك وسلطان المال ألا يخشوه وألا يرجوه إلا إذا حملوا على تقواه حملا منذ النشأة بالتربية الدينية والثقافة الروحية والقدوة الحسنة . فإذا ولد السرى أو الغنى فى مهد غير نظيف ، ونشأ فى بيت غير شريف ، لا يجد أبا يصلى ولا أما تستغفر ولا مربيا يرشد ، شب على غرائز البهيم : هوى من غير عقل ، وشهوة من غير كابح ، وسطوة من غير ضمير ، وإذا مكن له بحكم الوراثة أو بفعل الظروف أن ينحط على عرش أمة ، ستره بالسلاح عن عيون الشعب ثم استعان بغفلة الوعى القومى على أن يجعل العرش فرشا والقصر ماخورا والحكومة مطية والوطن ضيعة . ثم يتدفق فى الفجور ويستهتر فى الفساد لا يتقى الله لأن الشيطان يعده ويمنيه ، ولا يخشى الشعب لأن الجيش يحرسه ويحميه ، حتى إذا انكشفت الأغطية عن العرش ، فقيه الخائن وأحبن

البليد وأدرك القطيع السائم المستغل أن فروته الملايين أقوى من عصا الراعي الفرد، وأنه هو صاحب اللبن والصوف ، ومالك المرعى والحظيرة ، انتفض الشعب المظلوم المكظوم انتفاضة الأبي المريد فنفض عن جسده العلق المماص والدود السام ، وضرب ضربته القاضية فتدكدك العرش ، وتدحرج التاج ، وتقوض القصر ، وعاد الطاغية الفاجر أصغر من أن ينظر ، وأحقر من أن يذكر ، وشيئا من القذر الملعون ، يجر على الأرض ، أو يوطأ بالقدم ، أو يقذف إلى الخارج ، والمزية الوحيدة لهذا الضرب من الملوك أنهم يظهرون حين يريد الله أن يبدل نظاما بنظام ، ويديل دولة من دولة ؛ لأنهم بفضل ما يجتمع لهم من ضروب الفساد ، وما يصدر عنهم من فحش الاستبداد ، يضغطون على مشاعر الشعب فينتبه ، ويلحون على أعصابه فيثور .

من هؤلاء الغواة الضالين ثلاثة من الشبان الرقعاء وضعهم المستعمر المحتل على عروش أممهم بالكره منها ، ثم ظل يسندهم ببأس الحديد. ويرفدهم بفيض الذهب ، ويسلطهم على الأخلاق يفسدونها بما لا يليق ، وعلى الأرزاق يبددونها فيما لا يحل ، حتى قضى عبد الناصر على الاستعمار في أكثر الشرق الأوسط ، فلم يبق إلا في بعضه يتسلل إليه في ثياب الخونة والعملاء ، كما تتسلل الجراثيم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وقروح الفترة ، فوهى السند وانقطع المدد ؛ وقضى الله على هؤلاء الصغار بما أفسدوا وبددوا وعربدوا أن يكون كل منهم آخر فرع يذوى ويسقط من شجرته الملعونة .

* * *

أول الثلاثة وأكبرهم كان ملكا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو ، وكان آية من آيات إبليس في الجرأة على دين الله وعلى حرم الناس ، بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثني أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام ، فصلاها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد . وكان يقول : إن أخوف ما أخافه أن يغلبني الضحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة . وبلغ من جرأته على الحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج ، ويسرق الدولة ، ويسفه الحق ، ويأخذ الرشا . ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى ، حتى إذا استيأس الشعب وظن أن الليل سرمد ، وأن الذل خلود ، أظهر الله المصلح المنتظر من بين رجال الجيش ؛ لأن العسكريين بحكم تنشئتهم أصحاب فداء ومضاء ، وإلاف نظام وعمل ، وأحلاف شرف ومجد ، يطلبون الحياة بالموت ، ويغسلون الرجس بالدم ، ويقرنون الرأي بالعزيمة فرأى هو ورفاقه من خلال الظلام الكثيف

المخيف عرش مصر يرتطم فى الوحل ، وجيش مصر يضطرب فى الفساد ، وشعب مصر يتمرغ فى الذل ، فشبوا شبوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ؛ وهبوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تغرق المركب ، وأخذوا ذلك الملك الماجن من قفاه الغليظ وألقوه فى البحر ، ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فحطموا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغنى كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد ، ثم أذاقوا الناس لأول مرة فى تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة .

* * *

وثانى الثلاثة وأمكرهم خليفة مزدك أوشاه إيران . نشأ نشأة فاروق ، فلم ييسر الرقابة دين ولا رعاية خلق ، ولم يهيأ لولاية عهد ولا وراثة ملك ، وإنما أعجله كما أعجل حماه القديم الحكم الباكر عن تثقيف نفسه بالعلم وتهذيب غرائزه بالأدب ، فلم يتعلق من الحياة إلا بأسبابها المادية الوضيعة ، وجرى فى حكمه لإيران على سياسة الخليع الوارث ، لا يعرف من أمور ضيعته إلا الخزانة يفرغ ما فيها من يوم إلى يوم فى جيبه ، أما كيف يستعمرها ويستثمرها فذلك شأن لا يعنيه . لذلك لا تسمع فى إذاعة إيران ولا تقرأ فى صحف العالم أن الشاه ـ اسم الله عليه ـ أنشأ مدرسة أو بنى مستشفى أو عبد طريقا أو أقام جسراً أو أصلح فاسداً أو عمر خراباً ، وإنما تسمع كل مساء ونقرأ كل صباح خبراً جديداً عن زواج الشاه وطلاق الشاه وخطبة الشاه ، وعشق الشاه ، وعن رحلته المباركة إلى هوليود ، وجولته الموفقة إلى الريفييرا ، وسفرته المربحة إلى لندن ، وزورته المريبة إلى الأردن ، أما الأمة الإيرانية والأمة العربية فلا تدخلان فى دنياه لأن التخلف العاجز فى أمته يخزيه ، ولأن التقدم المعجز فى أمتنا يؤذيه ، وهو يحرص على أن تعيش طهران فى الظلام لتعمى ، ويخشى أن تسطع فى أفقها أضواء القاهرة فتبصر ، ولكن هيهات أن تحجب الشمس بالأكف ، أو يدفع السيل الآتى بالحواجز .

إن ساعة الشاه آتية لا ريب فيها ، لقد تعدى حدود الله وتحدى إرادة شعبه . نصر الاستعمار وخذل الحرية ، وناوأ العروبة ومالأ الصهيونية ، وخرج على قرارات باندونج وإجماع المسلمين ، فاعترف لإسرائيل الأفاقة باغتصابها فلسطين العربية المسلمة ، وطردها مليونا من أهلها إلى العراء القفر ليعيشوا فى المضارب والملاجئ عيش الحرمان والذل ، وهم ينظرون إلى ديارهم وأموالهم يستثمرها الواغل الدخيل ولا يملكون

لأنفسهم ولا لها إلا الرجاء فى العرب والأمل فى أمثال هذا الفهلوى الذى يسمونه الشاه ، وهو أهون على الله من كراع شاه .

والذى بعثه على كل هذه المخازى بعده عن الإسلام ، وحقده على العرب ، وكيده للوحدة ، وحرصه على بقاء الاستعمار ليأمن ثورة الأحرار وعودة مصدق ، ويضمن وفرة الدولار ومتعة العيش .

* * *

وثالث الثلاثة وأحقرهم (عاهل) الأردن وحده وجاهل العالم كله ! أصغر تاج على أصغر عرش ، وألأم ملك على أكرم شعب ، وأنجس إنسان على أطهر أرض ! ولكن الاستعمار نفخ فيه فدوى كالطبل وصوت كالبوق ، وتوهم أنه بهذه النفخة الكذابة والطنطنة الفارغة يطاول الجمهورية العربية المتحدة ، ويصاول زعيم العروبة العملاق فطن طنين البعوضة ، ثم اشتد واحتد فنق نفيق الضفدع ، ولكنه لم يستطع أبدا أن يخور خوار الثور ، ولا أن يزأر زئير الأسد ،

من أين ينفق (عاهل) الأردن على لياليه الحمر ، وعلى عشيقاته الشقر والسمر ؟ .

ومن أين يأتيه المال الذى يصبه صبا فى خزائن البنوك المأمونة ، ويشترى به الحرس الخاص من البدو الجياع ؟ من ثمن ما باع من استقلال الأردن ، وما خان من أمانة فلسطين ، وما أوهن من وحدة العرب ، وما نبح (فى الهواء) على عبدالناصر ، ولكن الليالى الحمر لن تعصمه من الأيام السود حين تقبل ، والحرس البدوى الحافى لن ينقذه من براثن الشعب ساعة يغضب ، والأموال المهربة إلى أوربا لن تفديه من المنون يوم تغول .

* * *

هؤلاء الفجار الثلاثة هم الأثافى الثلاث فى مطبخ الاستعمار . ركب عليهم قدوره الضخام وجعل فى بعضها الدسم وفى بعضها السم ، فتدسم قوم وتسمم آخرون ، وبات الأبرار الأحرار على الطوى حتى نالوا بصبرهم وجهادهم كريم المآكل .

فأما ثالثة الأثافى فقد أطاحتها ريح ثورتنا المباركة ، وأما الأثفيتان الأخريان فلا تزالان تحاولان حمل القدور وإشعال التنور وتوزيع الطعوم والأطعمة ، ولكنهما ظلتا باردتين على الرغم من الوقود الجزل بالجنيه والدولار ، وعما قريب تسحقهما أقدام الثوار فتذروهما الرياح مع الاستعمار . .

أحمد حسن الزيات

الشورى في الإسلام

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت

بزغت شمس الإسلام وسطع نوره فتيقظ الإنسان، واندكت صروح الطغيان واطمأنت النفوس إلى دعوة الإخاء والمحبة والسلام. إذ كان المبدأ الأول من مبادئ الدين أن الناس جميعا لهم رب واحد: هو الخالق والرازق وهو الذى بيده الأمر كله فلا خضوع إلا له ولا معبود إلا هو: «يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم»، «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم».

ثم كان مما قرره وأكد تقريره أن الناس لا يتفاوتون فى أصلهم ولا يختلفون فى نشأتهم، بل إنهم متساوون فى بدء الخلق ولم يجعلوا شعوبا وقبائل للتفاضل والتنافر، ولكن للتعارف والتعاون: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». فلم يفرق الدين بين فقير وغنى، ولا بين جنس وجنس، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، إلا بما يقدم من عمل صالح يراقب فيه ربه ويساعد به مجتمعه.

أساس الترابط بين المسلمين:

لقد جعل الإسلام أساس الترابط بين المسلمين وحدة العقيدة ووحدة الاتجاه فلم ينظر إلى وحدة المكان أو وحدة الجنس أو إلى وحدة تلك الوحدات البشرية التى يحارب الناس بعضهم بعضا من أجلها فقد قرر فى وضوح وصراحة أن الأخوة أساسها الإيمان ودعا إلى الاعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق: «إنما المؤمنون إخوة»، «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا». وامتن عليهم بتأليف القلوب وإنقاذهم من الوقوع فى نار العداوة والبغضاء التى كادت تقضى عليهم: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها».

إن هذه الأخوة الإسلامية ربطت بين قلوب المسلمين فأصبحوا أسرة واحدة كبرى وإن بعدت الدار، أو اختلفت الأقطار يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويمد إليه يد المعونة عند الحاجة، يرشده إذا غوى، ويهديه

إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ، ويعامله بما يحب أن يعامل به ، ويحفظه فى ماله وعرضه وولده غائبا وحاضراً . وإن أروع مثل فى سمو الأخوة الإسلامية موقف الأنصار مع المهاجرين عند مقدمهم إلى المدينة إذ آثرهم الأنصار على أنفسهم وسجل القرآن هذا الإيثار الكريم بقوله تعالى : « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ».

الشورى الإسلامية :

إن المجتمع الإسلامى يقوم على أسس قوية سليمة إذ يرتبط أفراده ارتباطا لا انفصام له باعترافهم بالله رب العالمين وبالأخوة فى الإيمان وبوحدة الغاية فى نشر الإسلام وبوحدة التكاليف إذ لا اختيار ولا امتياز لأحد فى هذه التكاليف لا فرق فى ذلك بين الرسول عليه السلام أو الخليفة وأصغر المؤمنين شأنا ، ثم يرتبطون بمسئولية عامة عن سلامة الدين وسلامة الفرد والجماعة .

ومن هنا خوطبوا جميعا بتكاليف الله إيجابا وسلبا : « يأيها الناس اعبدوا ربكم » ، « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله » ، « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وقد شمل هذا الخطاب التكاليف الفردية والجماعية فكان دليلا على مسئولية الجماعة الإسلامية عن كل شئونها وإذا كانت كذلك وجب أن تكون فى يدها جميع سلطاتها ، فقد استخلفها الله فى أرضه لعمارتها وإقامة أحكامه فيها .

وحيث إن هذه الجماعة الإسلامية لا تستطيع - مجتمعة - مباشرة سلطاتها كان من حقها أن تختار من ينوب عنها فى مباشرة تلك السلطات - فرداً أو جماعة - وهذا الاختيار يجب أن يكون عن رضا وأن تراعى فيه المصلحة العامة ويظل تحت رقابتها لأنه وكيل عنها يخضع لما يخضع له الوكيل فى سائر العقود من رقابة الأصيل الذى يرسم له كل تصرفاته وهذا ما يسمى بالبيعة ولابد أن تكون على كتاب الله وسنة رسوله وصالح المؤمنين .

ومن هنا نرى أن المسلم له الحق فى الإشراف على شئون المجتمع ومراقبة حكامه ، لأنه مسئول عن نفسه وعن الجماعة التى هو لبنة فى صرحها : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . ثم الدولة الإسلامية لابد أن تعمل على إسعاد الفرد ومساعدته ليعيش عيشة كريمة وتحفظ حياته وماله وحريته ؛ حتى يتمكن من أداء واجباته العامة فإن منعته الدولة حقوقه وحرمته حريته بلامبرر شرعى فلا طاعة لها عليه .

الشورى :

وإذا كان الحاكم وكيلا عن الأمة ، ومن حقها أن تراقبه فى تصرفاته الخاصة والعامة ، كان لزاما عليه أن يستعين بذوى الرأى ممن

تعرفهم الأمة بآثارهم وتمنحهم ثقتها وتنيبهم عنها فى نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها وسياسة أمورها التى لم يرد فيها نص سماوى حاسم وهؤلاء هم « أهل الإجماع » الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها والعمل بمقتضاها ما دام الشأن هو الشأن والمصلحة هى المصلحة ، فإذا تغير وجه المصلحة بتغير المقتضيات كان على هم أو على من يخلفهم إعادة النظر على ضوء ما حدث من أمور وحل الاتفاق اللاحق محل الاتفاق السابق .

ومعرفة رأى أولئك الذين اختارتهم الأمة والسير على هديه أصل من الأصول التى تقوم عليه الدولة الإسلامية وهو المسمى « بالشورى » ويعرفه الناس الآن بكلمة الديمقراطية : وهى أساس الحكم الصالح وهى السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة وقد جعلها القرآن عنصراً من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ، وفى كتاب الله سورة عرفت باسم « سورة الشورى » لأنها تقرر أن الشورى عنصر من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة . وحسن التضامن بالشورى ، والإنفاق فى سبيل الله سبيل الانتصار على البغى والعدوان وذلك كما فى قوله تعالى فى تلك السورة : « وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما يطرأ من شئون ربطا للقلوب وتقريراً لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حسن التضامن فى سياسة الأمور ، وذلك فى قوله من سورة آل عمران : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحى ، وكان بعض الأحيان يعدل عن رأيه ويأخذ برأى الصحابة .

ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فإنهم أخذوا بمبدأ الشورى لإيمانهم بأنها أصل فى إدارة الجماعة الإسلامية . وتحرى الحق الموافق للمصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر . وإن عمر كان يجمع كبار الصحابة لأخذ رأيهم بل كان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم .

على أن الشورى لم يضع لها الإسلام نظاما خاصا وإنما هو النظام الفطرى وذلك لأنها من الشئون التى تتغير فيها وجهة النظر بتغير الأجيال والتقدم البشرى ؛ فلو وضع نظام خاص فى عهد الرسول لأصبح أصلا لا يحيد عنه أحد وفى ذلك من الحرج والضيق ما فيه ، فالشورى من الأمور التى تركت نظمها دون تحديد ، رحمة بالناس غير نسيان توسعة عليهم وتمكينا لهم من اختيار ما يتاح للعقول وتدركه البشرية الناضجة .

والقرآن حين قرر مبدأ الشورى لحق على أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومبيدها وهو: (الاستبداد بالحكم والرأى) وحقق للفرد وجوده الفكرى، وللجماعة حقها الطبيعى فى تدبير شئونها. على أن من مقومات الشورى الحرية التامة فى إبداء الرأى ما لم تمس أصلا من أصول العقيدة أو العبادة.

وقد أورد القرآن المصادر التى يجب على المؤمنين اتباع الأحكام والنظم والأوامر الصادرة عنها فى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»، وليس أولو الأمر هم الأمراء والحكام فحسب كيفما كان شأنهم. وليس أولو الأمر أولئك المعروفين فى الفقه الإسلامى باسم (الفقهاء أو المجتهدين) فإنهم — مع تقديرنا لهم — لا تعدو معرفتهم ما تعمقوا دراسته من الفقه والعلوم المتصلة به، وليست لهم صلة بأمور الحرب والسلم أو الزراعة والصناعة والإدارة والسياسة.

وإذا كانت جوانب الحياة متعددة ومطالبها مختلفة فإن لكل جانب رجالا ولكل مطلب وسيلته التى يعرفها أهله ولذا يكون المقصود من قوله تعالى: «وأولى الأمر» هؤلاء الذين هركتهم الحياة وصقلتهم التجارب فأصبحت لهم خبرة خاصة متصلة بما يعملون وتكون طاعتهم هى الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان.

والشورى لا تؤتى ثمرتها ما لم تكن أمرا ثابتا مقررا مأمورا به كحق للأمة تأخذه، وهو واجب عليها تأثم جميعها بتركه، ولابد من أثرها العملى فى الحكم وسياسة الجماعة. وإذن فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد، أو عن طريق الإغراء والإرهاب، لا وزن لها عند الله. والشورى التى تجعل من الفرد مفسدا، أو الفرد حاكما بأمره فى الأمة، لا وزن لها عند الله. والشورى التى لا تساعد المخلصين على إبداء آرائهم والكشف عن عبث العابثين وفساد المفسدين لا قيمة لها عند الله. والشورى التى يلبس فيها المنافقون مسوح الصدق والإخلاص، ويكتمون عن الحاكم المخلص النصيحة الخالصة لا قيمة لها عند الله.

ولقد طبق المسلمون الأولون مبدأ الشورى فى حياتهم وسادت الديمقراطية بينهم فكانت لهم العزة ولم يكن لعدوهم سلطان عليهم وحققوا وصف الله لهم فى قوله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا». وفق الله الخلف ليسيروا على منهج السلف.

والله الموفق والمستعان.

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

أوزان الشعر العربي

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشأت دعوة النظر فى تعديل أوزان الشعر العربى والاستغناء عن القافية بعد اطلاع قراء العربية على تاريخ الأدب المقارن بين اللغات وابتداء حركة الترجمة من اللغات الأوربية . عند منتصف القرن التاسع عشر.

فى تلك الفترة كثرت المقارنة بين موضوعات الشعر فى لغات الغرب وموضوعاته فى لغتنا العربية . وقيل: إن المسرحية الشعرية ومعها ملاحم الأبطال والأرباب قد ظهرت فى اللغات الأوربية القديمة والحديثة ولم تظهر عندنا قديما أو حديثا لسهولة النظم فى تلك اللغات وصعوبة النظم فى اللغة العربية مع التزام القافية وأوزان العروض .

وقامت الدعوة - كما رأينا - على فكرة متعجلة خاطئة ؛ لأن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا إنما جاء من اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية ولم يجئ من اختلاف أوزان العروض . وإنما المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعى التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس . وليس المألوف أن تنتظر الأمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التى يستطيعونها ثم تبنى شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات . وقد كانت المسرحية الشعرية وليدة الشعائر المقدسة فى مراسم الهياكل كما يؤخذ من اسم «التراجيدى» الذى اشتقوه من كلمتين وهما كلمة تراجوس Tragos بمعنى المعزة وكلمة (أود) Ode بمعنى الأنشودة ؛ لأنهم كانوا يحيون مراسم التمثيل فى الهيكل بعد التضحية بمعزة ينحرونها تقربا إلى الأرباب واستنزالا للوحى والنبوءة على ألسنة الكهان .

ولو كانت للعرب شعائر تمثيلية كهذه الشعائر لوجدت عندهم المسرحية الشعرية بقافية أو بغير قافية ، أو وجدت مسجوعة تارة ومرسلة تارة أخرى على وتيرة واحدة يرددها الكهان وأصحاب القرابين .

ومن المحقق - كذلك - أن المسرحية الشعرية لم تكن لتوجد فى الغرب على صورتها الأولى أو على صورها الحديثة لو لم يتطلبها العرف الدينى ولم يألفها جمهرة الناس فى مراسم العبادة ، ولو كان نظمها من أسهل المطالب الفنية خلوا من كل قاعدة مرعية فى أشعار الأمم بل فى كلامها المنثور .

على أن خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلا من البحث فى حقيقة الصعوبة التى يتوهمونها للأوزان العربية ويحسبونها حائلا

دون الشاعر وما يختاره من موضوعات النظم ، على اختلافها بين آدابنا وآداب الأمم الغربية .

فإن أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع إلى الغاية المطلوبة فى كل موضوع يتناوله الشعراء .

وتتبين هذه السهولة من مراجعة التاريخ كما تتبين من مراجعة التطور الأدبى فى العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط هذا القرن العشرين .

فقد اختار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم فى أوزان العروض العربية وفضلوها على أوزانهم القديمة ؛ لأنها أسهل منها وأجمل فى موقعها من الأسماع والنفوس .

وقد رأينا أن شعراء العامة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخللوها بالقصائد الموزونة المقفاة فى القصص المطولة من قبيل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وأخبار النبى أيوب عليه السلام وحكايات البطولة والغرام فى اللهجات الدارجة ، وكلها تنظم فى بحور العروض وتلتزم فيها القافية ، ويقدر عليها شعراء أميون لم يدرسوا الأدب ولم يتعلموا وزن الشعر ولم يرجعوا فى منظوماتهم وموضوعاتهم إلى غير السليقة والسماع .

ولو جمعت أناشيد الأعراس والمآتم التى تنظم على الوزن وتلتزم فيها القافية لامتلأت بها المجلدات وظهر أنها جميعها أو أكثرها من نظم النائحات الجاهلات فى القرى الريفية التى لا تتلقى أناشيدها من معلمى الآداب أو أساتذة العروض .

وقد نظمت المسرحيات وترجمت الإلياذة وغيرها من أشعار الملاحم فاتسع لها الشعر العربى بعروضه وقوافيه ، لم يكن نقص الترجمة — حيث يوجد النقص — راجعا إلى عيب فى أوزاننا وقواعد عروضنا كما توهم المتعجلون من نقاد هذه الأوزان والقواعد ولكنه كان شبيها بالنقص الذى يعرض للشعر المترجم من لغة إلى لغة ولو ترجم من اليونانية إلى الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ؛ وكلها تجرى على قواعد متشابهة فى الأوزان . وفى الاستغناء عن القافية أو التزامها حيث يلتزمونها من أناشيد الرقص والغناء .

والثابت من تجربة الناظرين فى تعديل الأوزان منذ ستين سنة أن إلغاء القافية كل الإلغاء يفسد الشعر العربى ولا تدعو إليه الحاجة ؛ وهى تجربة اشترك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربى الحديث فى القاهرة وبغداد والإسكندرية وهم . توفيق البكرى وجميل صدقى الزهاوى وعبد الرحمن شكرى وهم من أقدر أدباء عصرهم على الموازنة بين محاسن النظم فى اللغة العربية وبعض

اللغات الشرقية والغربية . ومنهم من كان يقرأ الشعر بالتركية والفارسية عدا ما يعلمه من أشعار الإفرنج المحدثين والأقدمين .

تناول الشارحان لكتاب صهاريج اللؤلؤ موضوع القافية العربية وصعوبتها . وهما : الأستاذ أمين الشنقيطى ، وأبو بكر المنفلوطى فقالا فى التمهيد لقصيدة ذات القوافى :

« أما العرب فقد جعلوا القافية واحدة فأصبحت الإجادة فى الشعر عندهم أو البلوغ به إلى التعبير عن المقاصد المختلفة من أصعب الأمور ... وللعرب نوع من نظم الشعر يشابه ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى بالمسمط ... وهو ما قفى أرباع بيوته وسمط فى قافية مخالفة ... والرجز أيضا من هذا القبيل . وقد أراد المؤلف ـ حفظه ـ الله بهذه القصيدة التى أسماها بذات القوافى إيجاد مثال للشعر المتعدد القوافى فى العربية وفك هذا القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء » .

وهذا رأى أديب يجارى القائلين بصعوبة القافية العربية على رأيهم ويذلل هذه الصعوبة بتعديد القافية فى القصيدة الواحدة .

أما جميل صدقى الزهاوى فقد عالج النظم بغير قافية وترك لنا قصائد مطلقة ولكنها على أوزان العروض . كقوله فى واحدة منها :

يعيش رخىّ العيش عشر من الورى
وتسعة أعشار الأنام مناكيد
أما فى بنى الأرض العريضة قادر
يخفف ويلات الحياة قليلا
أفى الحق أن البعض يشبع بطنه
وأن بطون الأكثرين تجوع

ولكنه أراد أن يبرئ ذمته ويكل الأمر إلى حكم التاريخ فأبقى هذه التجربة تمضى فى طريقها حيث يستقر بها قرارها وقال فى مقدمة الديوان : « ولا أرى مانعا من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال من فصل إلى آخر ، كما فعلت فى عدة قصائد ، لا دفعا لملل السامع من سماع القافية الواحدة فى كل بيت كما يدعى بعضهم . فتلك حجة من يعجز عن إجادتها وإلا لمل الناظر وجوه الناس لوجود أنف بارز فى وسط كل وجه ، بل إراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها ، فإن الإتيان بها متمكنة ليس فى قدرة كل شاعر . وأجيز للشاعر أن ينظم على أى وزن شاء ، سواء كان من أوزان الخليل أو غيره » .

وهذه وجهة نظر أخرى لعلاج هذه الصعوبة ، وهى وجهة نظر الشاعر الذى يرى أنه يتورط فى اختيار القوافى القلقة إذا أطال النظم على قافية واحدة ، ويرى أن يخرج من هذه الورطة بالوقوف عند الحد الذى تنتهى عنده قدرته على القافية المتمكنة والاحتيال على ذلك بتغيير القافية من فصل إلى فصل فى القصيدة الواحدة ، ولا ضرورة عنده لإلغاء القافية كل الإلغاء ولا لإطلاق

الشعر من أوزان العروض ، وأن يجد عنده أن ينظم على غير الأوزان التي أحصاها الخليل .

أما عبد الرحمن شكرى فمن أمثلة شعره المرسل قوله :

خليلي والإخاء إلى صفاء
إذا لم يغذه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق
وقد تبلو المرارة فى الثمار
شكوت إلى الزمان بنى إخائى
فجاء بك الزمان كما أريد

ومن أمثلته قوله فى نظم القصة من قصيدة نابليون والساحر المصرى :

خرج العظيم يخط فى ترب العرا
خط المدلس فى تراب الطالع
يمشى وحيداً فى الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزمات

إلى آخر القصيدة التى ينفرد فيها كل بيت بقافية ، ولا يخفى على ناظمها موضع الضعف فيها من الوجهة الموسيقية - وهى قوام فن الشعر - ولكنه كان يعتقد أن مصير الحكم فى ذلك لألفة السماع ، ويترك الحكم الأخير لصقل الأسماع كما قال أبو العلاء ، ثم يقرن هذا التصرف المطلق فى القافية بالتصرف المحدود فى الرباعيات والمزدوجات ، أو المقطوعات من فصول متعددة تتغير قافيتها بعد عشرة أبيات أو اثنى عشر بيتا ، أو ما شاء الشاعر من تقسيم الفصول على حسب الأبيات .

وخلاصة التجارب الواقعية - فى الزمنين القديم والحديث - أن القافية لم تكن سببا لاختفاء المسرحية الشعرية من الأدب العربى القديم ، ولم تحل فى الزمن الحديث دون ترجمة الملاحم أو وضع الروايات المسرحية فى شتى الموضوعات من حوادث الحاضر أو حوادث التاريخ ، وأن كل صعوبة تعزى إلى القافية العربية لم تكن لتعجز العامة الجهلاء عن نظم الملاحم والقصص ونظم الأمثال والعبر على الأسلوب الذى يتداولها جمهرة الأميين ، فضلا عن الشعراء والدارسين .

فإذا تجددت الدعوة الى النظر فى القوافى والأعاريض فالذين يطلبون إلغاءها يثبتون بذلك عجزهم عن مزاولة النظم الذى يستطيعه العامة والأميون ، ولا خير للآداب العربية فى عمل فنى يتصدى له من لا يقدرون عليه ومن لم يخلقوا له ومن ليس عندهم فيه استعداد فطرى يضارع استعداد شعراء الربابة وناظمى القصص الهلالية وما إليها .

فإن لم يكن طالب القضاء على فن العروض العربى عاجزا هذا العجز المعيب فى مقاصده الفنية فهو طالب هدم صريح لغرض غير صريح ولكنه كذلك غير مجهول ، لأنه يلحق فى هذا العصر بمن يهدمون كل تراث ويقتلعون كل أساس ولا يقنعون بشىء دون فوضى الآداب والعقائد والأخلاق؟

عباس محمود العقاد

الاستعمار فى الشرق الأوسط

للأستاذ الدكتور محمد البهى

١ ـ الاستعمار فى الشرق الأوسط له صور مختلفة ، وإن كانت غايته واحدة : هى تفتيت الوحدة فى كل شعب ، أو خلق نزاع أساسى بين شعب وآخر . وهو وإن ظهر سافراً منذ بداية القرن التاسع عشر إلا أن محاولات تركيزه فى منطقة الشرق الأوسط كانت جدية ومتكررة فى القرن السابق على القرن الذى ظهر فيه ظهوراً واضحاً ، وهو القرن السابع عشر .

وأولى صور هذا الاستعمار تتمثل فى رأس المال وسيطرته عن طريق إقامة الشركات ، أو طريق التجارة ، أو طريق القروض . فإذا استقر رأس المال الأجنبى فى بلد من بلدان الشرق الأوسط صحب استقراره هذا نفوذ سياسى وتدخل فى شئون الحكم ، ثم تبع هذا وذاك احتلال عسكرى . والاحتلال العسكرى للهند سنة ١٨٥٦ ، وكذلك الاحتلال العسكرى الآخر لمصر سنة ١٨٨٢ ، سبقته هنا وهناك سيطرة رأس المال الأجنبى ، وتدخل سياسى ، ونفوذ فى توجيه الحكم من قبل أصحاب رأس المال .

وكذلك الشأن فى احتلال أندونيسيا احتلالا عسكرياً وفى شمال إفريقيا من المغرب إلى ليبيا .

ولكى تضمن الدول المستعمرة استمرارها فى استغلال الخامات الأولية التى تحتاج إليها فى اقتصادها القومى ، وفى استغلال الطاقات البشرية بأجور زهيدة فى تمكين حصولها على تلك الخامات ، وفى استغلال أسواق لاستهلاك مصنوعاتها فى البلد الذى تستعمره ـ تعمد هذه الدول المستعمرة إلى نوع آخر من الاستعمار هو أبقى زمنا ، وأعمق جذوراً ، وأشد فاعلية من أى نوع آخر سواء فى تمكين المستعمر من أهدافه ، أو فى إضعاف الشعب المستغل المستعمر ، ذلك النوع : هو الاستعمار فى التوجيه .

الاستعمار فى التوجيه :

هذا النوع يصل به المستعمر إلى مقومات الشعب وتراثه الفكرى والروحى . يصل به إلى تاريخه وإلى لغته . يصل به إلى امتداد فى الماضى ، وإلى أسسه التى يقوم عليها مجتمعه . فيضعف صلة الأجيال القادمة بما

كان لآبائها من تراث ، ومن قيم ، ومن أسس فى بناء مجتمعها ، وبما لها من فن ولغة . حتى تنسى هذا الماضى وتلك القيم . وكثيراً ما تخجل من الانتساب إلى ماضيها ، أو التحدث عن قيمها ، أو التكلم بلغتها ، فضلاعن أن تعنى بذلك كله .

هنا ، يرغب المستعمر فيما له من وضع اجتماعى ، وأسلوب فى الحياة ، وطريقة فى التفكير . كما يرغب فى لغته وآدابه وفنه . وبما أنه توجد عادة فجوة بين الدول المستعمرة والشعوب التى تستعمرها فى المستوى الاقتصادى للحياة ، وفى مستوى المعيشة للأفراد - يتخذ المستعمر من هذه الفجوة دليلا على ارتفاع قيمته فى الإنسانية من جانب ، وعلى خفض قيمة الإنسانية للشعوب المستعمرة من جانب آخر . وبذلك يخلق فى نفوس الشعوب المستعمرة ميلا إلى التقليد ، ورغبة فى التخلص من وضعها القائم . وهذا بدوره يرتبط فى نفوس هذه الشعوب المستعمرة بماضيها ، وبما كان لها فيه من تراث وقيم . فإن نظرت إلى هذا الماضى نظرت إليه نظرة استخفاف ، أو نظرت إليه على أنه كان سبب تخلفها عن مستوى حياة المستعمر ، ومستوى معيشته .

ومثل ذلك ما يحدث اليوم من تأثير الدول الصناعية الكبرى على الشعوب المتخلفة فى الصناعة ، فهذه الشعوب المتخلفة يعتقد كثير من أفرادها أن الدول الصناعية الكبرى متفوقة فى الإنسانية لتفوقها فى الحضارة الصناعية . ولذلك تسعى من جانبها إلى أن تقبل قيمها ومثلها فى الحياة . أو على الأقل - إن لم تسع إلى ذلك - فهى على استعداد لتقبله . وليس هناك من عامل مغر يدفعها إلى تقبل ذلك سوى تلك الفجوة فى مستوى الحضارة الصناعية بين الفريقين . فبين الشعوب الإفريقية والآسيوية أفراد كثيرون يتأثرون مرة بالحضارة الأمريكية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها ، ويتأثرون مرة ثانية بالصناعة الروسية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها . وهم لم يقبلوا على هذه أو تلك لأنهم أدركوها إدراكا واضحاً ، وإنما وقعوا تحت التأثر بالحضارة الصناعية هنا أو هناك ؛ إذ لو أنهم تريثوا قليلا ، وفحصوا قيم الحياة فى النطاق الغربى ، أو النطاق الشرقى ، لخرجوا حتما بهذه النتيجة ، وهى : أنه لا يلزم من ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية ارتفاع القيم الإنسانية . فالقيم الإنسانية تتبع تهذيب الإنسان وسلوكه الخلقى فى علاقته بإنسان آخر ، وفى ارتباطه به ارتباط المتعاون ، أو المتآخى ، أو المحب . بينما ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية يرجع إلى الآلة ودقتها ، وإلى الإنتاج الصناعى وسعته . نعم ، وراء الآلة ، ووراء سعة الإنتاج تدبير عقل ، ولكنه

ليس بلازم أن يكون وراءه إيمان قلب بمحبة لإنسان آخر ، وليس بلازم كذلك أن يكون وراءه سلوك مهذب . وهو السلوك الذى لا تطغى عليه الأنانية وحب الذات .

وعادة الشعوب فى تأثرها بإغراء الغير ، وبدفعها من طريق غير مباشر إلى ترك ماضيها وإهماله والانتقال إلى حديث جديد عليها ـ أن أفرادها لا يتأثرون بدرجة واحدة بهذا الإغراء والدفع . بل فيهم من ينزع إلى قبول الإغراء ، ويتحرك فى غير احتياط فى اتجاه الدفع . وفيهم فى مقابل ذلك من يبطئ فى القبول أو الحركة ، أو يجمد بحيث تبدو معارضته للإغراء ، ويبدو عدم تأثره فى الدفع .

وإذا كان هذا من عادة الشعوب ، وإذا كان هذا قانونا لا تتخلف عنه جماعة إنسانية . فإن الشعوب التى تستعمر فى صلتها بإغراء المستعمر إياها على ترك ماضيها وقبول جديدها لا تبقى على وحدة فيما بين أفرادها . بل تصبح شيعا وطوائف : شيعة للقديم ، وأخرى للجديد . طائفة رجعية ، وأخرى متطورة . وشيعة القديم هى التى تتمسك بالتراث الماضى وبقيمه ، وبلغة المجتمع الذى تعيش فيه . وشيعة الحديث هى التى تسعى أو تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد . وبقدر ما تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد ، بقدر ما تنفر من الماضى والنظر إليه . والطائفة الرجعية هى التى تقف عند الماضى فلا تفرط فيه . والطائفة المتطورة هى التى تصوغ من نفسها صورة تلائم بها وضعها مع ما يدعو إليه الجديد ، وتدفع إليه عوامل الإغراء .

وإذا انقسم الشعب المستعمر على هذا النحو إلى طائفتين وشيعتين ، تحقق بهذا الانقسام مجال للكفاح بين طائفتيه ، إحداهما ضد الأخرى . وهنا يبدأ المستعمر فى نصرة طائفة على أخرى توسيعا للفجوة بينهما ، ودفعا إلى استمرار الكفاح الطائفى . فيقرب طائفة ويبعد أخرى . وهو إذ يقرب طائفة يقربها على أساس أنها هى التى يعتمد عليها فى تنفيذ سياسته الاستعمارية . وإذ يبعد أخرى يبعدها على أساس أنها لا تصلح للحياة الجديدة المستحدثة .

وبقدر ما يدعو المستعمر ـ ويجد صدى لدعوته بين الطائفة التى يعتمد عليها ـ إلى لغته ، بقدر ما تهجر هذه الطائفة لغتها الموروثة ، وتعتمد فى حياتها إما على تلك اللغة الجديدة ، أو على لهجة متخلفة عن لغتها القديمة . وهذا بدوره يؤدى من جانب آخر إلى إضعاف الصلة بين الأجيال التى تنشأ وتنمو فى ظل الاستعمار ، وبين اللغة الموروثة ، بحيث تفقد هذه اللغة خصيصتها من كونها منفذا يطل منه الجيل الناشئ على ماضيه ؛ لأنها لم تعد وسيلة

صالحة له . إذ صلاحية أية وسيلة بالنسبة لإنسان ما ، هى إمكانه أن ينتفع بها .

ولا يقف المستعمر عند هذا الوضع من تفتيت الشعب الذى يستعمره إلى طائفتى القديم والجديد ، وعند هذا الحد فى خلقه مجال الكفاح بينهما ، ودفعهما إلى الاستمرار فيه - بل يفتش عن أسباب أخرى تزيد فى الانقسام والتفتيت : يفتش عن المذاهب التى يتمذهب بها الشعب فى العقيدة ، ويفتش عن الأصول التى يرجع وينتسب إليها ، ويفتش عن الحضارات المتعاقبة التى تعاقبت عليه ، ثم يحيى ويذكى الميل إلى العصبية المذهبية ، والعصبية الشعوبية ، والعصبية الحضارية . ولذا نراه فى الإقليم الجنوبى - بجانب ماكان يشجع من استخدام العامية ، والاستخفاف بالفصحى ، وبجانب ماكان يمجد من شأن التعليم المدنى ، ويسخر من شأن تعليم الأزهر - كان يعمل على بعث العصبية الفرعونية والغض من الميل إلى العربية . وفى الإقليم الشمالى لم يهدأ فى العمل على بعث العصبية الأشورية ، بجانب إذكائها بين الطوائف الإسلامية وبينها جميعا وبين الطوائف الأخرى .

وعلى هذا النحو كان يثير الفرقة على أساس مذهبى وشعوبى فى العراق : بين السنة والشيعة وبين العرب والكرد . وكذا فى شمال إفريقيا بين السنية والأباضية فى ليبيا ، وبين العرب والبربر فى المغرب والجزائر ، وكذلك الأمر فى السودان بين المهدية والختمية ، وبين الشمال والجنوب .

فإذا أدرك المستعمر أن الشعوب التى يحتلها تيقظت لعوامل الفرقة هذه ، وتيقظت لأساليبه فى بعث العصبيات المختلفة ، وعملت على إضعافها أو تلاشيها بقوة الوعى إلى الروابط التى تربطها ، كرابطة القومية العربية فى محيط الشعب العربى ، أو رابطة الدعوة إلى الإسلام كأساس للحياة كما فى باكستان - أوجد المستعمر من المشاكل ما يستنفد قسطا كبيراً من النشاط السياسى والاقتصادى ، وما يشكل خطراً على كيان الشعب الذى حاول أن يدفع بالاستعمار إلى ما وراء حدوده . كما نراه هنا فى منطقتنا العربية قد أوجد مشكلة إسرائيل ، وفى منطقة آسيا الوسطى قد أوجد مشكلة كشمير .

فإسرائيل لم توجد لتكون أمة ودولة ، وإنما لتكون مصدر تهديد دائم للعرب إذا ما سعوا إلى رفع وصاية الغرب والتخلص من نفوذه السياسى والاقتصادى . لأن مصلحة اليهود أنفسهم - وهى مصلحة مادية تتمثل فى استغلال رءوس الأموال - تدعوهم إلى أن يعيشوا متفرقين فى أمم عديدة

كى يتمكنوا من استغلال رءوس أموالهم فى القطاعات المختلفة فى تلك الأمم . وليس لليهود مصالح أخرى وراء استغلال رأس المال ، وأيسر الوسائل لاستغلال رءوس الأموال هو عدم تركيزها فى رقعة ضيقة من الأرض ، وعدم حبسها فى خدمة بضعة ملايين . وتاريخ اليهود ، والخصائص النفسية التى تسيطر على طبائعهم ، تعلن فى غير لبس أنهم لا يهتمون بسيادة الدولة ، وبما لها من قوة وكيان ، بقدر ما يهتمون بربا المال وهو الحصول على ربح كثير لقاء مجهود قليل غير شاق .

ولكن الاستعمار هو الذى أراد إسرائيل دولة ، ويشجع على بقائها كما شجع على قيامها ؛ كى يتخذ منها مصدر تخويف للعرب كلما خالفوا نصحه ، ولم يتبعوا مشورته .

دور القومية العربية :

وهنا ندرك دور القومية العربية ، وندرك أن أول أثر لهذا الدور ، هو أنها نقلت نشاط العرب من مجالات الطائفية المذهبية والشعوبية ، ومن نطاق العصبيات لأدوار الحضارات المختلفة ، إلى المقومات التى تكون المجتمع العربى ، وتجعل منه شخصية متميزة عن شخصيات المجتمعات الأخرى ، نقلت هذا النشاط إلى تاريخ العرب أنفسهم كأمة ، وإلى ما فيه من أمجاد وبطولات ، وإلى تفكير العرب فى تاريخهم الطويل الذى تعبر عنه أوضح تعبير لغتهم الفصحى ، وإلى تلك القيم الخالدة ، وهى القيم الروحية التى تعبر عنها رسالة السماء ، وأن هذا الأثر لدور القومية العربية ليس أثراً هينا . إنه أثر أحيا أمة ، وبعث شعبا غير متقطع الأوصال ولا مفرق الهدف ، إنه أثر ربط أجزاء الوطن العربى ، ومحا معالم الفرقة فيه ، والفواصل المفتعلة التى صنعها المستعمر فى أحقاب طويلة من التاريخ .

ولذا فالقومية العربية بالنسبة لنا ، كما هى حركة بعث وإحياء ، هى عامل فى وصل حاضرنا بماضينا ، وفى تمييز شخصيتنا عن شخصية غيرنا إن منطق القومية العربية هو أننا عرب ولسنا طوائف ولا شيعا وأننا عرب فحسب ، ولسنا عرب مشرق ولا عرب مغرب ، وأن وطننا هو من المحيط إلى الخليج ، لا حدود فيه إلا بمقدار ما بين إقليم وإقليم ، ورقعة وأخرى .

إن القومية العربية بقدر ما هى مصدر إحياء وبعث وربط واتصال . هى تحديد لاتجاه التفكير ، ولأهداف المجتمع ، إذا فكرنا فنفكر على أساس من الإيمان بماضينا والإيمان بوجودنا فى حاضرنا ، وإذا سعينا فى مجتمعنا فإنما نسعى لنحقق قيمنا التى ارتضيناها ، والتى تنبعث من تاريخنا ، وهى أن نكون

أمة متماسكة متعاونة ، تحب السلام وتكره الضيم والاعتداء .

وهى أن نكون أمة تختلف أفرادها فى الرأى ولكن تتحد فى أن تظل أمة عربية ذات سيادة ، وذات مثل وقيم .

ونحن إذا أخذنا عن غيرنا فى تفكيرنا ، أو فى حضارتنا ، أو فى أسلوب حياتنا ، فإنما نأخذ ما يعيننا على إنماء ما لنا من تفكير وحضارة وأسلوب ، لا ما يبعدنا عما هو لنا فى ذلك كله .

القومية العربية إذن ، هى الإطار الذى يدور فيه نشاطنا فى كل جانب من جوانب النشاط . هى ليست عاملا من عوامل اليقظة لوجودنا وكياننا فحسب . بل بالإضافة لذلك هى عامل فى تحديد واجباتنا نحو مجتمعنا وحقوقنا فيه ، وعلاقتنا بغيرنا .

إن القومية العربية ليست دعوة شعوبية تميز الشعب العربى عن غيره وتجعل له من المزايا ما يستعلى بها على شعب آخر . ولكنها دعوة للاحتفاظ بمقومات الأمة وخصائصها فى مقابل المجتمعات والشعوب الأخرى ، حتى لا تضاع ولا تذوب فى أمة أو فى شعب آخر ؛ لأنها دعوة إلى الاحتفاظ بمقومات أمة تحمل فى ثناياها الاحتفاظ بالاستقلال فى غير قطيعة للشعوب الأخرى ، والعناية بأمجادنا فى غير زهو وفى غير استخفاف بأمجاد الآخرين وما يتميزون به فى تاريخهم مما يرجع إلى الإسهام فى تحقيق الإنسانية والعمل من أجل الأخوة البشرية .

والقومية العربية إذن مذهب فلسفى وليست لونا من ألوان النشاط السياسى المؤقت . هى مذهب تفكير واتجاه سلوكى فى الوقت نفسه .

وكلما اشتد الوعى بهذا المذهب الفلسفى وتحول إلى إيمان نصدر عنه فى تصرفاتنا وسلوكنا وتوجيهنا فى يسر — كلما كانت مقاومتنا للاستعمار فى أية صورة أقوى وأبقى .

ومن هنا ندرك أن صلة القومية العربية بالاستعمار ليست صلة الحليف للحليف وإنما هى صلة المقاوم لاعتداء المعتدى وصلة الدافع لظلم المستغل .

إنه لم يزل فى مجتمعنا وفى حياتنا بعض الرواسب التى خلفها الاستعمار والتى تعد أثراً من آثاره وقد كانت يوما ما غاية من غاياته . وكلما اقتربت النفوس وتآخت ، وكلما صح التعبير باللغة الفصحى ، وكلما ازداد القلب إيمانا بقيمنا الروحية ومثلنا العليا فى الحياة ، كلما خفت هذه الرواسب حتى تتلاشى . وبذلك لا يكون هناك استعمار وإنما يكون هناك استقلال . وليس هذا الاستقلال انفصالية عن البشرية ، وإنما هو فقط حفظ لكيان المجتمع ووجود الأفراد فى غير مهانة ولا مذلة وفى غير ظلم ولا استغلال . ؟

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الكرامة والعزّة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٣ —

نستمر فى عرض الآيات التى بدأنا الحديث عنها فى العـــدد السابق ، شارحين أهدافها وما توحى به :

٥ - « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى . إن سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصـــدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » .

قسم ومقسم عليه ، والذى يهمنا الآن هو المقسم عليه ، فالله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى أن النجاح فى الحياة وتيسير الناس فيها لليسرى ، أى للحياة الطيبة المتيسرة السعيدة العزيزة ، مرتبط بأسباب هى :

١) الإعطاء ، أى أن يكون الإنسان معطيا . واللفظ مطلق فلا يصح أن يقصر على إعطاء المال أو الصدقات ، ولكنه إعطاء لكل ما تستطيع أن تعطيه من مال أو علم أو جهد أو إرشاد أو حب . فالذى يريد أن تتيسر له حياته فى دنياه وآخرته فليعمل على أن يكون (معطيا) أى نافعا باذلا يشعر منه المجتمع بالانتفاع وبأنه ذو قيمة فعالة مؤثرة ، وليس فقط آخذا منتفعا عالة .

وهـذا يقتضى أن يعمل الإنسان على أن يكون غنيا ليستطيع أن يكون (معطيا) المـال ، وعلى أن يكون عالما ليستطيع أن يكون (معطيا) للعلم ، وعلى أن يكون قوياً ليستطيع أن يعطى من قوته وجهده ، وهكذا يريد القرآن من المؤمن أن يكون قوة فعالة مؤثرة . لا مجرد شىء قابل متقبل منكمش منتظر ذليل ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى (اليد العليا خير من اليد السفلى) فقد أثبت ليد المعطى - أى النافع الباذل أيا كان نفعه وبذله - علواً وخيرية ، وجعل اليد الآخذة أدنى حالا ، وأقل منزلة ، وتلك هى لبنات العزة الإسلامية .

٢) والاتقاء : وقد ذكرنا معناه وأنه خلق المراقبة ، والضمير الحى ، فـــلا نعيد القول فيه .

٣) والتصديق بالحسنى ، هذا هو الإيمان النفسى بأن « الحسنى » فى كل شىء هى أساس النجاح والفلاح ، ومن الناس من يكفرون بالمثل ويرونها ضعفا ويستبيحون لأنفسهم الخروج عليها ، بل طعنها وهدمها وتمزيقها ويقولون إن لنا زمانا غير زمان الأولين ، وإن لحياتنا نواميس غير ما كان من نواميسهم فما لنا نرتبط بما كانوا به يرتبطون ، لذلك نراهم متحللين من « الحسنى » غارقين فى « السوءى » يرتكبونها ويحضون على ارتكابها ويريدون أن يقيموا المجتمع على أساس جديد كله مادية وإباحية وإلحاد وزيغ وارتكاب واقتراف . فهل مثل هؤلاء ينجحون مهما بدا من مظاهر الزبد الجفاء ؟ وهل بمثلهم تنجح أمة أو يسعد مجتمع ، أو تتوطد عزة ؟ . كلا ، فإنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

والجمل المقابلة لهذه المعانى فى الآيات : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى » إلخ ليست فى حاجة إلى الشرح بعد ماذكرناه .

بيد أنى أعقب بكلمة لا بد منها : ذلك أن كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، ولاسيما فى عصور الضعف والانحلال ، قد فهموا أن الله تعالى يحابى المسلمين ، وأنه يكفى أن يعتقد الإنسان أن الله هو مقسم الأرزاق ، وإنه هو المعز المذل ، وإنه هو الميسر المعسر فمن اعتنق هذه العقيدة نظريا ، فهو مؤمن حقا . وربما ظن كثير من الناس أيضا أن التيسير والتعسير والإعزاز والإذلال والإغناء والإفقار ، كلها بقضاء وقدر على معنى أنها حظوظ وقسم ، فقد ينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ، ويرزق الكسول ويحرم الناشط ، إلى غير ذلك ... نعم إن كل شىء بقضاء وقدر ، ولكن ليس معنى هذا أنه لاسنن للكون ، وليس معنى هذا أن القدرة الإلهية ترتجل ما تفعل ارتجالا ، أو تدبر الكون كما يدبر الصبى لعبته حيثما اتفق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، ولكن الله ربط بين المسببات والأسباب ، وأجرى الدنيا على سنن ثابتة لا يغيرها لمؤمن ولا لكافر ولا يحابى بها أحدا من خلقه أيا كان ، والناس يأخذون بعضا ويتركون بعضا ، ولو تأملوا لجمعوا واستقصوا ، انظر إليهم يستشهدون بقوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله » على أن الأمر معلق بالمشيئة والمشيئة مطلقة ، وهذا له وجه من الصحة ولكن يجب أن يضم إليه أن الله تعالى يقول : « ولينصرن الله من ينصره » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا » « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، فالله يفعل ما يشاء — ما فى ذلك شك — ولكنه لا يشاء إلا ما قضت به سنته ، وقضت به حكمته .

فيجب أن يفهم المسلمون هذا حق الفهم ،

ويجب أن يسيروا فى أعمالهم على مقتضاه وأساسه ، ويجب ألا يغتروا بمجرد الانتساب إلى الإسلام ، فإن الأرض لله يرثها من يشاء ، ولكن من عباده « الصالحين » أى الذين « يصلحون » .

٦ — « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

٩٧ / النحل

وهذه الآية الكريمة بقدر ما فيها من إجمال وتركيز فى المنهاج الذى يرشد القرآن الكريم إليه ، فيها استيعاب عجيب لجميع أركان هذه السنة الإلهية التى لا تتحول .

فمن ذلك أنها :

أولا : أتت بجملة شرطية هى قوله تعالى « من عمل صالحا » ولفظ « من » يفيد العموم والاستغراق لجميع أفراد العقلاء ، أى لجميع المكلفين المسئولين فى الحياة و « صالحا » فى قوله « من عمل صالحا » جىء به منكرا ليشمل أى صالح يعمل ، وإذن فأساس هذه القضية وموضوعها هو عمل الصالحات من أى عامل ، لا امتياز فى ذلك لعامل على آخر ، ولا اختصاص لنوع من الأعمال الصالحات على غيره . وهذا نطاق واسع يدخل فيه كل الناس ، ويتسع لجميع الأعمال النافعة .

ومن هنا ينبغى أن يلتفت إلى أن هذه السنة سنة كونية عامة فى الأفراد وفى الأعمال ، نستطيع أن نلمس آثارها فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فمن التجار مثلا من يعمل فى تجارته الأعمال الصالحة فيؤدى به ذلك إلى النجاح والتركز ، والأعمال الصالحة فى دائرة التجارة كل ما يركزها ويثبتها ويحمل الجمهور على تقدير صاحبها والثقة به ، فالتاجر الذى يدرس مكان تجارته ونوعها وما يحتاج إليه الناس ، والذى يعرف كيف يعامل الجمهور ، وكيف يغرس فى نفوسهم الثقة به ، وغير ذلك لا بد أن يفلح ولا بد أن يعيش فى ظل تجارته ، عيشة طيبة ، لأنه عمل صالحا فليس المراد أنه يفتح تجارة كيفما اتفق ، ويديرها كيفما اتفق ، ويشترى ما يشترى ويبيع ما يبيع كيفما اتفق ، وهو يعتقد أنه بذلك قد أخذ فى الأسباب واعتمد على الله ، ويكفيه أن يعمل صالحا أى يصلى الصلوات المفروضة ، ويؤدى الصدقات ويصوم شهره إلخ فحسب ، فهذا من غير شك بعض ما يصلحه ويستقيم به شأنه ، ولكنه ليس كل شىء فى تجارته . بل إننا لنجد الأجنبى الذى لا يعرف العبادة ، ولا يدين بالصلاة ولا بالصوم ولكنه يعرف كيف يحسن إدارة عمله ، وكيف يدرس تجارته والجو الذى يعيش فيه ، ووسائل الإعلان

واكتساب الثقة ... إلخ نجد هذا الأجنبي ينجح ويتفوق ويكتسح ، وما ذلك إلا لأنه أعطى عمله ما يجب أن يعطيه إياه ، فهو من الذين يعملون الصالحات فى خصوص نشاطه وسعيه ، فلا بد أن تنطبق عليه سنة الله فى العاملين .

ثانيا : تعمم الآية تعميما آخر فتقول « من ذكر وأنثى » وفى هذا تكريم للإنسان واعتداد بنوعيه ، وإشعار بأن المرأة عضو عامل كأخيها الرجل ، وهى مطالبة بأن تعمل صالحا كما أن الرجل مطالب بذلك ، وهى مطالبة بأن تستهدف بالعمل الصالح الحياة الطيبة العزيزة الكريمة كأخيها الرجل ، وهى موعودة بالجزاء الحسن كما أن الرجل موعود به .

ثالثا : نرى الآية بعد هذا التعميم فى العمل وفى العاملين والعاملات تشترط شرطا فى قبول العمل وترتب الآثار المرجوة منه وحصول الفوز فى الآخرة به ، ذلك هو قوله تعالى « وهو مؤمن » .

وليس الإيمان مجرد الإيمان بالله ، أو بالقضايا الدينية العقيدية ، وإنما يراد مع ذلك الإيمان بالعمل الذى يعمله المرء ، على معنى أن يكون مطمئنا إليه واثقا من أنه صلاح وخير ، وذلك ليعمله مخلصاً فيه صادقا لا متظاهراً ولا مسخراً ولا محاربا لغيره ولا مرائيا ، عندئذ لابد أن يوصله هذا العمل إلى الحياة الطيبة ، وإلى الفوز بالجزاء الحسن ، وإننا لنشاهد بأعيننا فى جميع وجوه العمل فرقا بين صاحب العزيمة الصادقة ، والإيمان الخالص ، وذى الشك المتردد الذى يصانع فى عمله ، ويداجى به فالأول يثمر ويجود ويعرفه الناس بالقوة والأمانة والصدق والتجديد ، فيعلو شأنه ، وينبه فى الناس ذكره ، وينجح النجاح الكامل فى عمله ، فيعيش عيش السعداء الأعزاء ، والآخر لا يثمر إلا ثمرات ضئيلة عليلة ، وتخرج الأعمال من بين يديه غير متقنة ولا جيدة ، ويعرف الناس بذلك فينفضون عنه ، ويتحاشونه ويحرمونه ثقتهم فتذيع عنه قالة السوء فيهجر فيبور عمله ، ويكسد فلا يسع أن يحيط به الشقاء والذل وأن يعيش عيشة الضنك ضئيلا لا اعتداد به ، ولا قيمة له .

إن السر فى هذا وذاك هو إيمان العامل بما يعمل أو فقدانه هذا الإيمان .

ولست بهذا التفسير أنفى الإيمان بالعقيدة الدينية أو لوازمها فلا أجعل لذلك دخلا فى عمل العاملين ، كلا فإن ذلك أول ركن ، وأعظم أساس ، ولكنى أقول : إن هذا وحده لا يكفى وإنه يجب أن ينضم إليه ما لا بد منه فى صلاح الأعمال ، ونجاح المساعى وقد يؤخر الله تعالى حساب المفرطين فى العقائد والأعمال الدينية

ليجازيهم على ذلك فى الآخرة ، ولكنه لا يضيع أبداً فى الدنيا عمل عامل من ذكر أو أنثى ، فللدنيا نواميسها وسننها ، وهى نواميس ثابتة لا يغيرها الله ولا يحولها .

على أن قوله تعالى « وهو مؤمن » إنما هو شرط فى إيفاء العامل المصلح جزاءه فى الدنيا والآخرة جميعا ، فهو لا يجتمع له النجاح فى الدنيا والفوز بدرجات الآخرة إلا إذا كان مؤمناً إيماناً صحيحاً بما كلفه الله أن يؤمن به ، ولكننا إنما ننظر إلى آثار الإيمان فى إتقان الأعمال وفى تأثير ذلك بالنسبة للحياة الطيبة والمعيشة الكريمة فى الدنيا .

* * *

الخلاصة :

يتبين مما ذكرناه فى هذا البحث أن القرآن الكريم يثبت ما يأتى :

١ — أن لبنى آدم كرامة .

٢ — وأن هذه الكرامة هبة إلهية لا يجوز لمخلوق أن يحرمه إياها ولا أن يمتهنها أو يهدرها .

٣ — وأن هذه الكرامة لا تفاوت فيها باعتبار أصلها . فالناس جميعاً متساوون فى ذلك لا فرق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ، ولا بين ذكر وأنثى ولا بين فقير وغنى ولا بين ضعيف وقوى ... إلخ .

ولكنها تتفاوت ويتفاوت الناس فيها باعتبار السعى والعلم والتقوى ، فالناس فى ذلك مراتب .

٤ — والعزة نوعان : حقيقية دائمة . وهى لا تكون إلا للمؤمن لأنها عزة بالله ، ومن الله ، وعزة مصطنعة غير باقية ولا ثابتة الأسس وهى العزة بالإثم أو بالكفر أو بالجهل ، من كل ما لا مرجع له إلى الله .

٥ — وأن عزة الإيمان والمؤمنين ، هبة من الله ، ولكن لا على معنى أنها غير مرتبطة بسنته فى كونه وفى خلقه ، ولكن على معنى أن المؤمنين هم الذين يسلكون فى الحياة السلوك المؤدى إليها ، وأن مجرد ادعاء الإيمان أو الإسلام دون التماس سبيل العزة الصحيحة والحياة الطيبة ، غير مجد وليس من شأنه أن ينظر إليه .

* * *

تلك أركان خمسة للكرامة والعزة فى القرآن الكريم : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » . « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؟

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

الدّين والقوميّة فى أفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ١ —

إفريقيا الجديدة هى تلك التى يخرج أهلها الآن من العبودية إلى الحرية ، من الاستعمار إلى الاستقلال ، من التبعية الذليلة والاستغلال ـ الذى فرضهما عليها الاستعمار الغربى ـ إلى إبراز الشخصية وتثبيتها والانفراد أو المشاركة العادلة ، فى ثروة البلاد العظيمة وخيراتها وإمكانياتها .

إفريقيا الجديدة هى التى تخرج الآن من الجهل إلى العلم ، من الظلمات إلى النور .

ولكى ندرك قيمة هذا البعث الجديد لإفريقيا نذكر أن أربعا من دولها نالت استقلالها فى أسبوع واحد من شهر يونيو الماضى . وأن سكان هذه الدول التى استقلت يبلغون عشرين مليونا من الناس ، وأن مساحة هذه الدول الأربع تبلغ نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية .

استقلت من دول إفريقيا فى أسابيع قليلة دول : الصومال ، اتحاد مالى ، توجو ، الكميرون ، الكونغو ، مالجاس (مدغشقر سابقا) . ومن قبل ذلك استقلت غانا وغينيا وسيبلغ عدد الدول الإفريقية التى تنال استقلالها قبل نهاية هذا العام عشرين دولة يسكنها مائة مليون إفريقى سيكون لهم ولدولهم صوت مسموع فى المنظمات الدولية .

ولكى ندرك الأثر الذى يحدثه هذا البعث الجديد لإفريقيا فى عالم الغرب الاستعمارى نكتفى بفقرة من حديث مسئول سياسى لكبرى هذه الدول يقول فيها : « إن السنوات العشر القادمة ستكون السنوات الإفريقيات إن زيادة عشرين عضواً إفريقيا جديدا فى الأمم المتحدة فى السنوات القادمة ستخلق جواً من عدم التوازن فى المنظمة الدولية » ومعنى هذا الكلام واضح .

وقد نالت هذه الدول الإفريقية استقلالها بالكفاح والدم . والدول التى توشك أن تناله . بذلت وتبذل مثل ذلك . ولكن المحافظة على هذا الاستقلال وصيانته ستحتاج إلى مثل ذلك أيضا ، بل لأكثر منه . فقد

ترك الاستعمار هذه الدول على حال بالغة من الشذوذ والنقص والحرمان من مقومات الدولة ، بل من مقومات الحياة الإنسانية نفسها . ولنجعل من « الكونغو » مثلا لذلك: فهذه «مستعمرة» حكمتها بلجيكا حكما استبداديا بالغ الشدة زهاء نصف قرن ، لم تكن لها فيها غاية ، ولا نشاط ، سوى استغلال خيراتها العظيمة ومواردها الطبيعية الضخمة . ومع أن سكان الكونغو يبلغون أكثر من ثلاثة عشر مليونا فإن عدد المتعلمين منهم لا يتجاوز العشرات . . ! . ويتكون سكان الكونغو من مائة قبيلة أو أكثر ، وتختلف كل واحدة منها عن الأخريات فى عاداتها وتقاليدها و « ثقافتها » . ولم يحاول المستعمرون التقريب بينها ، بل لعلهم فعلوا عكس ذلك . كما تفصح عنه الحركات المريبة التى تقوم فى إقليم « كتانجا » والدعوة لفصله عن الكونغو .

وليس غريبا أن يفعل المستعمرون ذلك فى بلد إفريقى . فقد وجدت فى إحصاء عن الرق فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر أن : (ما نقل من العبيد ليباع فى أوربا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وأن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقى واحد هو ساحل الذهب وفى سنة واحدة هى سنة ١٨٢٢ وأن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفا . وأن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف عدد الأحرار فيها) . فإذا رأينا بعد ذلك الرئيس الجديد لوزراء الكونغو المستقلة : « لومومبا » يذكر فى مواجهة ضيفه ملك بلجيكا : « بودوان » الذى قدم خصيصا لشهود حفلات استقلال الكونغو ، إذا رأينا الرئيس الجديد يذكر قسوة المستعمرين وشذوذهم أمام ملك بلجيكا . فلن نجد فى ذلك شيئا من العجب بعد الذى لقيته إفريقيا من ظلمهم وقسوتهم .

— ٢ —

قبل سنوات كنت أضع بحثاً عن رحلة ابن بطوطة فى السودان ، فوجدته يذكر بلاداً ومناطق لا تعرف الآن فى جغرافية تلك البلاد .

ومن البلاد التى عنانى وأتعبنى معرفتها إقليم « مالى » وقد بقيت أجهل مكانه حتى حصلت «غانا الفرنسية» و« السنغال الفرنسى» على استقلالها وعرفتا باسم دولة جديدة هى : « اتحاد مالى » . وكذلك سمى المستعمرون الأوربيون بلدا إفريقياً باسم: «ساحل الذهب» فلما استقل سكانه عادوا به إلى اسمه القديم : « غانا » . وفى ذلك عبرتان ، فيهما تمهيد لما نريد أن نسوق من القول عن «الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة » : العبرة الأولى أن المستعمر الأوربى كان ينظر إلى إفريقيا نظرته إلى سلب أو مغنم ، لا يرى فيه سوى

وجهه المادى . فالبلاد التى فيها معدن الذهب يسميها : « ساحل الذهب » ، والبلاد التى يوجد فيها العاج يسميها : « ساحل العاج » . وهو بذلك يمحو عن تلك البلاد الاسم القديم الذى كانت تعرف به ، ليقطع — عمدا — صلتها بماضيها وتاريخها.

والعبرة الثانية أن سكان تلك البلاد لم ينسوا — رغم ذلك — ماضيهم وتاريخهم . فأعادوا أسماء بلادهم القديمة إليها بمجرد حصولهم على الاستقلال . فعدنا نعرف بلاد : « مالى » و « غانا » ونفهم المثل العربى القديم الذى يقول : « من غانا إلى فرغانا » وندرك بذلك الصلة الوثيقة العريقة التى تربط بيننا ، نحن العرب ، وبين تلك البلاد ، كما تربط بين بعضها وبعض . وهى صلة تحدد لنا غايات كما تلزمنا بواجبات .

إدراك هذه الروابط والأواصر ، والإفادة منها بحكمة وكياسة هو الذى يحدد غاياتنا لخير هذه البلاد وخير المجموعة الإفريقية ، كما يحدد واجباتنا حيالها .

وإدراك الأوضاع التى تسود الدول التى استقلت وتستقل حديثا فى إفريقيا ، والأطماع التى يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم فى هذه الدول ، إدراك هذه الأوضاع والأطماع عامل آخر هام يحدد غاياتنا وواجباتنا ، ولا بد أن يكون ملحوظ الأثر فى تكييف الخطة لتحقيق الغايات وتحديد الواجبات .

من الحقائق التى يجب أن ندركها لمعرفة تلك الأوضاع أن بعثات خاصة ظلت تعمل زمنا طويلا فى الكونغو ، مثلا ، حتى اعتنق الكاثوليكية ثلاثة ملايين من سكانه . وأنه ، من بين سبعين ألفا من الأوربيين يعيشون فيه ، يوجد عشرة الآف من رجال هذه البعثات ، يحتكرون — بمقتضى القانون الذى وضعه المستعمرون — كل إشراف على التعليم ، وقد خرجوا مئات من رجال الدين الوطنيين ونصبوا منهم أسقفاً ، ولكنهم لم يخرجوا — على طول عهدهم بالإشراف على « التعليم » ، طبيباً واحداً ، ولا مهندساً واحداً ، ولا محاميا واحدا ... !

والدين عند هؤلاء قرين الاستعمار وخدينه وحليفه .

ومن الحقائق التى يجب أن ندركها لمعرفة الأطماع التى يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم فى هذه الدول أن إسرائيل كانت على وشك الاشتراك فى حفلات الاستقلال التى أقيمت فى الصومال ، لولا أن رجاله حرصوا على مودة البلاد العربية والإسلامية وراعوا مصلحة وطنهم الجديد ، فأعلن السيد عبد الله عيسى رئيس وزراء الصومال الإيطالى سحب دعوة إسرائيل .

ومن هذه الحقائق التى يجب إدراكها لمعرفة الأطماع أن ليني أشكول، وزير مالية إسرائيل، سافر إلى غانا للاجتماع برئيس جمهوريتها ومباحثة وزير ماليتها. وأنه - أى وزير مالية إسرائيل - سافر بعد ذلك إلى « لاجوس » فى نيجيريا، ثم إلى « اتحاد مالى » ومنها إلى ليبيريا وساحل العاج، وأن إسرائيل أعارت غانا خبيراً فى الزراعة - إسرائيلياً - لتنمية ثروتها الزراعية مدة سنتين. وقد نشرت الصحف العربية ذلك كله.

ثم ننتقل من الأوضاع والأطماع إلى ذكر شىء من الوسائل التى يجب إدراكها والتبصرة بها ونحن نرسم لأنفسنا - فى الجمهورية العربية المتحدة - السبيل لتحقيق غاياتنا لخير هذه الدول الجديدة فى إفريقيا، وتحديد واجباتنا حيالها.

التعليم، الثقافة، والمشاركة فى تعمير هذه البلاد الجديدة: هذه هى الوسائل التى نريد التبصرة بها فى رسم السبيل للغايات والواجبات.

أما المشاركة فى تعمير البلاد فنحن نتركها لأهل الاختصاص الذين يعرفون - أو يجب أن يعرفوا - ما تحتاجه تلك البلاد معرفة وثيقة شاملة فى نوعه وفى كمه. ونحن نقرأ عن جهود ووعود تعمل وتبذل فى هذا السبيل وفى استعداد جمهوريتنا العربية للبذل فى هذه المشاركة بذلا كريما مخلصاً.

وأما التعليم والثقافة فالشأن فيهما يختلف فى بعض هذه الدول الإفريقية الجديدة عن بعضها الآخر، ولكن أمراً واحداً يجمع بينها كلها، مختلفة ومجتمعة. هذا الأمر الواحد هو ارتباط التعليم والثقافة بالدين.

تختلف الصومال، واتحاد مالى بأن غالبية السكان فيهما من المسلمين، وهذا الوضع يميز لنا - أو يجب أن يميز - لون الثقافة والتعليم الذى نستطيع عن طريقه أن نحقق الغايات لخير هذه البلاد وخيرنا أيضا، وأن نحدد الواجبات حيالها وحيال مستقبلها ومستقبل إفريقيا.

اجتمع فى الصومال فى شهر يونيو الماضى مؤتمر لمناسبة إعلان استقلال البلاد، وحضر المؤتمر نحو عشرين ألفاً من رجال القبائل ومعظم رؤسائها وأصدر المؤتمر عدة قرارات: منها أن يقوم الدستور الجديد لجمهورية الصومال على أساس الدين الإسلامى، وأن يعين وزير للشئون الدينية. والإبقاء على الحزب الدينى: « وحزب الله » مع وجوب تأييده للجمهورية.

وقبل ذلك قامت فى الصومال مناقشات طويلة أدلى فيها المستعمرون بدلوهم حول اختيار لغة رسمية للبلاد، ثم جهرت الأغلبية برأيها فى أن تكون العربية هى اللغة الرسمية، رغم ما حاوله الاستعمار من إحباط ذلك.

هذه بعض « الملامح » التى تبين لنا كيف يتكون المجتمع الجديد فى الدولة الجديدة ، وأعتقد أن هذه الملامح أو ما يشبهها ستظهر فى يوم قريب فى الدولة الأخرى التى يتكون أكثر سكانها من المسلمين : وهى اتحاد مالى .

فى البلاد الأخرى الجديدة من إفريقيا مسلمون تختلف نسبتهم فيها إلى نسبة أهل الأديان الأخرى . وهناك حقيقة لا ينكرها أحد ، هى أن الإسلام ينتشر بين سكان هذه البلاد انتشاراً كبيراً قائما على قوته الذاتية أكثر مما هو قائم على السعى والنشاط والدعوة .

فى الإسلام حقيقة كبرى تفيد أعظم الفائدة فى تحقيق الغايات وتحديد الواجبات ، كما هى سبب من أكبر الأسباب لذيوعه بين سكان تلك البلاد وإقبالهم عليه ، هذه الحقيقة هى أنه دين يقوم على المساواة ، وعدم التمييز أو التفاضل ، أو التفرقة بين الناس بسبب اللون ، أو الجنس ، أو الأصل ، أو النسب ، أو المال ، أو المنزلة . دين يتعجب الملونون عندما يعرفون أن ابن لونهم بلالا الأسود ، كان من صحابة صاحب النبوة فيه والدعوة له ، ومن أحب الناس إليه وإلى صحابته من أشراف قريش وسادتها ، ومن أقربهم إليه ، عليه السلام ، وآثرهم عنده . وأن بلالا هذا - الأسود - هو الذى كان يؤذن فيهم للصلاة ، ويدعوهم لأن يقفوا جميعاً صفاً واحداً بين يدى خالق البشر .

لنتأمل هذا وأثره بين سكان هذه البلاد الجديدة المتطلعة إلى « الحرية » الاجتماعية و « الحرية » الفردية والمساواة . ثم لننظر بعد ذلك فى صورة مقابلة : فقد قرأت من قبل تقارير تتضمن نشاط بعض الهيئات فى إفريقيا . ومع أن النشاط قائم على الدعوة المسيحية ، التى لا تفرق بين الناس أيضا ، فإن رجال هذه الدعوة يحرصون كل الحرص ، على تمكين فروق اللون فى هذه القارة ويلقنون من يدخل المسيحية من الإفريقيين ، أن الأبيض أفضل من الأسود ، ويزعمون لهم أنه فى الحياة الآخرة ستقوم جنتان ، جنة للبيض وأخرى للملونين .! وأن هذه التفرقة أو سيادة الأبيض على غيره ، هى إرادة الله ، ولابد من التسليم بها . وهذه الدعوة طبيعية من هؤلاء القوم ؛ لأن الهدف الأول لنشاطهم ودعوتهم هو الاستعمار . ولا يمكن أن يستقيم القول بالمساواة ، مع الاستعمار .

فدعوة الإسلام إلى المساواة الحقة لابد أن تقضى على دعوة الاستعمار هذه . وقريباً من ذلك الوقت اجتمع مؤتمر إسلامى فى نيروبى ، دعى إليه مسئول من الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلن يوم ذاك أن عقد هذا المؤتمر هو امتداد لموجة اليقظة إلى الشاطئ الشرقى لإفريقيا ،

وأن المسلمين فى كينيا، وأوغندا، وتنجانيقا، وزنجبار، يرون الضرورة ملحة لتنظيم أنفسهم، ليشتركوا كهيئة متحدة فى تطور هذه الأقاليم».

— ٤ —

فيما يتعلق بالوضع فى هذا البعض من الدول الإفريقية الجديدة: وهو الذى ليس فيه أغلبية إسلامية. فيما يتعلق بالوضع فى هذه الدول ـ وقد ذكرنا انتشار دعوة الإسلام فيها انتشارا ذاتيا ـ نجد أمرا آخر جديرا بأعظم قسط من الاهتمام.

فقد نشرت جريدة التيمس ـ ونحن نعرف منزلتها بين صحف العالم ـ نشرت التيمس مقالا تبدى فيه عجبها وقلقها أيضا، من انتشار دعوة الإسلام فى إفريقيا. رغم ضعف، بل فقدان، الوسائل إليها وتقول: إن كثيرين من المفكرين، يعتقدون أن انتشار الإسلام مرتبط بالبيئة الصحراوية، ولكننا نراه الآن يزحف إلى سهول إفريقيا وأحراشها وغاباتها. ونحن ـ أى الأوربيون ـ أمام هذه الدعوة، لم نحدد موقفنا تحديدا نهائيا: فبعضنا يرى أنه لابد من وقف هذا الزحف؛ لأن فى نجاحه قضاء على نفوذ الأوروبيين ومصالحهم فى إفريقيا. وبعض آخر ـ وهم أقرب إلى العقل والكياسة والمرونة ـ يرى أنه لاضرر من هذه الدعوة وتغلغلها فى القارة، على شرط أن ترسم لها الحدود والآماد. وأن تحدد لها الوسائل، بحيث تختلط بكثير من البدع والخرافات ...! بل إن ذلك قد ينفع النفوذ الأوربى ويمكن له. هذا ملخص مقال جريدة التيمس. والنفوذ الأوربى ومصالح الأوروبيين كما نعلم، تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة هى «الاستعمار».

وسواء اتخذ الأوربيون الطريق الأول، طريق الصد، والمنع. أم سلكوا طريق المرونة والكياسة، فتركوا دعوة الإسلام تزحف زحفها إلى إفريقيا مشوبة بالخرافات ـ وهذا فى رأيى أشد ضررا بالإسلام وإفريقيا وبنا ـ أى الطريقين سلك الاستعمار الأوربى. فإن واجبنا يتضاعف، وتزيده الضرورة إلحاحا ووجوبا.

تتجه شعوب إفريقيا ودولها التى استقلت حديثا، والتى ستحصل على استقلالها. تتجه شعوب إفريقيا ودولها هذه إلينا لنكون لها أعوانا فى كفاح الاستعمار، وفى نيل استقلالها وفى تثبيته بعد الحصول عليه، وفى تقويم حياتها، وستجد بلادنا بعد قليل، أن احتمالات كثيرة بعيدة المدى تلوح لها؛ وبقدر ما يزيد الوعى القومى لشعوب إفريقيا وتلتهب عواطف أهلها رغبة فى الاستقلال، وحرصا على نواله ومحافظة عليه، بقدر ما تزيد تبعات وطننا نحو هذه الشعوب. وتتسع احتمالات المستقبل

أمامنا فى هـذه القارة ، التى نحس الآن بأننا نحمل الواجب الأول نحو بلوغها ما تريد من الحرية ؛ لأننا رأس هذه القارة ، وأسبق شعوبها فى ميدان الثقافة ، والقوة ، والإمكانيات .

وهذه كلها ـ كما قلنا ـ أوضاع توجب علينا تبعات ، وتحملنا مسئوليات ، وواجبات علينا أن نتهيأ لها ونعرف أمثل السبل لتحقيقها والوصول إليها .

السبيل ـ أو أوضح السبل ـ لذلك ندركه من حديث مسئول فى جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له :

« إن شعورى بعد عودتى أن الإسلام جولة أخرى فى معركة الحرية العالمية . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التى زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هـذا النصر . بل إنها تمثل العرب فى مستهل فجر الإسلام .

إن طريقنا الرئيسى أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم فى أيسر تفسير ، يحمل شحنات من القوى الروحيـة المباركة التى تدفع عزائم هؤلاء العمالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنويا ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها » .

* * *

سبيلنا للقيام بهذا الواجب نحو شعوب إفريقيا ودولها الجديدة هو التعليم والثقافة . والتعليم والثقافة فى هذا المجال خاصة أمران مقترنان بعقيدة الإسلام .

ولأسباب كثيرة مختلفة ، يقترن الإسلام وتقترن دعوته وثقافته ، بالأزهر .

فإذا ذكرت هذه الدعوة وهـذه الثقافة ، ذكر الأزهر . وللأزهر فى هذا السبيل ، جهد ، ويمكن أن تكون له جهود .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

القومية

قال المهاتما غاندى :

إنمـا أعنى بالقومية ، أو فـكرة القومية : أن تصبح بلادى مستقلة ذات سيادة وكرامة ، وتتفانى بآخـر أفرادها لأجل البشرية وإبقائها ، إذا دعت الحاجة الى مثل ذلك . فهـذه هى القومية التى نتمناها .

الامام عبد المجيد سليم

بقية السلف الصالح فى القرن العشرين

بمناسبة ذكراه السادسة

للأستاذ محمد رجب البيومى

اكتمل لإمام أهل السنة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم[1] من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ما لم يكتمل لسواه من النظراء والأمثال ، فقد كان رضى الله عنه من أخلاقه المثالية فى هيبة منيعة ، يصغر دونها أعظم الرؤساء من ملوك ووزراء ! فلا يحاولون أن يصارحوه بما لا يرضى المؤمن المتحرز ، والعالم العيوف ، وقد جاءت سيرته الطاهرة كتابا مفصلا للرجولة العالية ، يقرؤه الناس فيجدون المثل الأعلى قد تجسم واقعا ملموساً ، فى أعمال الرجل وأقواله ، وإذا كان من السلف الصالح من شابه الشيخ فى إبائه وترفعه ، فإن معاصرتنا الشاهدة لحقيقته المؤمنة فى القرن العشرين تؤكد لنا أن مصباح الحق دائم الإشعاع ، فهو ينتقل من العصور الغابرة إلى العهود الحاضرة دون أن يطفأ له ضياء ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ! ! .

ولو أردت أن ترجع جميع مواقف الشيخ إلى سبب واحد ، ترتكز عليه أفعاله ، وتصدر عنه : أقواله فهو مفتاح شخصيته التى تدرك به أسرارها الكامنة ومواهبها المدخرة ، لوجدت هذا السبب ينحصر فى شىء واحد لا لبس به ولا غموض ! إنه الثقة بالله وحده تسيطر على نفسه ، فيهون دونه كل جليل يكبره الناس ! ! .

لقد وثق بالله حين أقبل على العلم إقبالا مخلصا ، فمنحه ذات نفسه ، وتفرغ عن رغبة أكيدة لاقتناص شواردة . واكتناه غوامضه ، ولم يقبل فى عهد التلمذة أن يقتصر على علوم الأزهر وحدها ، بل جمع

---

(١) انتقل إلى رحمة الله فى ١٠ صفر سنة ١٣٧٤ هـ .

إليها المنطق والفلسفة ، حتى عرف بين زملائه بابن سينا ، وقد اختار من أساتذته فى حلقات الأزهر من آنس فيه البراعة والاستيعاب ، فهو يحضر دروس الأستاذ الإمام محمد عبده فى الرواق العباسى لمدة خمس سنوات فيدرس عليه كتب عبد القاهر فى البلاغة حينا وتفسير كتاب الله حينا آخر ، وهو يتلقى شروح المنطق والفلسفة عن أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلم بأفانين من الجدل والقياس لم تكن مألوفة للدانه من الطلاب ، ثم هو يجد فى أستاذه الشيخ أحمد أبى خطوة مورداً دافقاً فى الفقه الإسلامى فيأخذ عنه التبحر فى المسائل الفرعية ، والتعمق فى الفتاوى الفقهية ، ويشهد له بالاطلاع الشامل، والصبر الطويل، بل إنه يقارن غير مرة بين أبى خطوة والأستاذ الإمام ، فيجد الأول أكثر إلماما بمسائل الفقه وأدلة الأحكام ،غير أن الإمام فى رأى الشيخ يمتاز بسعة الأفق وسلامة التعليل وامتداد الصيت ! ! هذا إلى بيان مشرق يجذب إليه الناس، فيصبح أقدر العلماء على الإفادة والتوجيه .

وقد شاء القدر أن يكون الأستاذ خليفة الإمام فى الإفتاء ، فعالج فى فتاواه الكثيرة معضلات العصر وقضايا المدنية الحديثة كما عالجها الإمام فى فقه بصير ، وفهم مستنير ، وقد تحدث رحمه الله فى بعض أعداد مجلة الرسالة عن منهج أستاذه فى الفتوى ومنهجه الخاص الذى يحتذيه فقال نقلا عن العدد الممتاز (٤٤٩) .

« إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام : هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب . يؤازر ذلك قلب جرىء ، وعقل متصرف وكان يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح آراء الفقهاء ،ولذلك تأتى فتاواه غالبا مختصرة، وقد تثير خلافا بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس البرنيطة ، فقامت من أجلها ضجة هائلة ، فلما أردت أن أفتى فى الموضوع ، انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز ذلك إخراجا فقهياً مؤيدا بأقوال العلماء، جاريا على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، فلم يستطع أحد أن يشغب على » .

وإذا كان الأستاذ الإمام لم يتقيد بمذهب معين فى فتواه ،فإن خليفته الأستاذ عبد المجيد قد ورث عنه هذه السعة الفسيحة فى قبول الآراء المختلفة ما دامت مؤيدة بالدليل ، فأنحى باللائمة على من يعتصمون بقول خاص

لا يحيدون عنه. بل إن أثره كان قويا ملموساً فى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية. وهى التى تنص المادة الثانية من قانونها على « العمل على جمع أرباب المذاهب الدينية. الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى يجب الإيمان بها. مع السعى إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبتين أو طائفتين من المسلمين، والتوفيق بينهما ». فقد كان رضى الله عنه وكيل الجماعة فأكسبها جلالا ومقاما. وجذب إليها الصفوة من أتباعه ومريديه. وقد تحدث فى أول عدد من مجلتها: « رسالة الإسلام » فقال:

« ولقد أدركنا فى الأزهر على أيام طلبنا للعلم عهد الانقسام والتعصب للمذاهب، ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشهد زوال هذا العهد، وتطهر الأزهر من أوبائه وأوضاره، فأصبحنا نرى من العلماء من يخالف مذهبه الذى درج عليه فى أحكامه، لقيام الدليل عنده على خلافه. وقد جريت - طول مدة إقامتى بالإفتاء فى الحكومة والأزهر وهى أكثر من عشرين عاما - على تلقى المذاهب الإسلامية ولو من غير الأربعة المشهورة بالقبول، ما دام دليلها عندى واضحا، وبرهانها لدى راجحا ».

ولا نجد خدمة توجه إلى الفقه الإسلامى أجل من جمع فتاوى الشيخ رحمه الله بلغت أكثر من خمس عشرة ألف فتوى فى مجلد خاص. يكون مرجعاً متداولا بين الفقهاء والدارسين وتلك رغبة ملحة طالب بها الكثيرون، ولعلها تجد طريق التنفيذ؛ ليلمس الباحثون أمامهم رأى الإسلام الصحيح فى مشكلات العصر ومعضلات المدنية والحضارة مؤيداً بالقياس والدليل، وقد اعترف أساطين الفقه وأساتذة القانون بما لآراء الشيخ من قوة وسداد، فقد كان مرجع الأفذاذ الأعلام من ذوى التشريع يسألون فيجيب، ويترددون فيجزم.: حتى إن اللجنة التى ألفت للأحوال الشخصية فى وزارة العدل برياسة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى، وعضوية شيوخ المذاهب بالأزهر وأساتذة الشريعة بالحقوق ورئيس المحكمة الشرعية العليا ووكيلى وزارتى العدل والمعارف!! هذه اللجنة الممتازة كانت تعتمد اعتماداً كلياً على جهود الأستاذ وبحوثه! وقد كتب رئيس محكمة الاستئناف الأسبق الأستاذ محمد محمود يعلن ذلك بجريدة الأهرام عقب وفاة الشيخ فيقول من كلمة مخلصة فى الرثاء.

« وقد كان المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم فى هذه اللجنة النجم اللامع والحركة الدائمة، إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على اللجنة، بعد سبق بحثها وفحصها، وعند ذلك يأخذ الراحل الكريم الكلمة، فيتولى شرح

الموضوعات والمسائل، الواحدة بعد الأخرى. مستعرضاً شتى الآراء ، ومختلف الصور فى كل مذهب من المذاهب ، مقرراً حكم الشرع ، ذاكراً رأى الأئمة المجتهدين ، والفقهاء المؤلفين مسايراً روح العصر ، منتقلا من فن إلى فن ، وهو فى ذلك كله كالبحر المتدفق ، حتى إذا انتهى من جولته العلمية ، ومحاضرته الفقهية ، قامت اللجنة بالبحث والتمحيص واستنباط الحكم الملائم تمهيداً لإعطائه الصفة النهائية » ! ! وإن فقيهاً علامة تكون له هذه الفتوح التشريعية لجدير أن تيسر آراؤه للناس ، لتمد القانون الإسلامى بفيض غزير .

على أنك لو وجدت من رجال الفقه الإسلامى فى عصرنا الراهن من مائل الشيخ فى إلمامه التشريعى كالسيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد بخيت المطيعى فلن تجد فى فقهائنا المعاصرين من مائله فى قوة الإيمان ، ومجابهة الباطل ، والاعتزاز بالله وحده ! ! وتلك عجيبة الرجل حقا !! فقد كان حلقة ثمينة فى سلسلة ذهبية تمتد من لدن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، وتضم فى امتدادها أبا حنيفة ومالكا وابن حنبل وأحمد بن نصر وابن السكيت والعز بن عبد السلام حتى تنتهى إلى عبد المجيد ! فتجمع نخبة مؤمنة من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأوذوا فى سبيله فما ضعفوا وما استكانوا لما أصابهم ، وارتفعت أصواتهم مجلجلة رنانة تندد بالطغيان السافر وتدعو إلى الحق الصريح !! .

فقد قدر على الأستاذ أن يعيش فى زمن منافق لئيم يسوده استعمار خارجى من أوربا الظالمة، وداخلى من فساد القصر وتشاحن الحزبية ، وكان الظن بأبناء الأزهر أن يناوئوا جميعا ذلك الفساد فى شتى وجوهه ، وأن يحاربوا الطغيان فى مختلف صوره ، ولكنهم لم يكتفوا بالسكوت على الباطل بل خب بعضهم ووضع فى الحزبية المتناحرة ، خبباً عاد على العلماء بالنكبة والخذلان ، وعلى الطلاب بالخيبة والهوان ! ! ولم يسكت الشيخ كغيره ، بل جاهر بالدعوة إلى نبذ الحزبية ، وعارض فى صراحة واضحة من يرون مشايعة القصر ومسايرته ، مهما كان لهم من السطوة والنفوذ، ورأى أن واجبه الألزم يفرض عليه أن يكون ممن يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فأعلن رأيه فى السياسة الطائشة ، وتزعم فئة من ذوى الاتجاه الصائب والثقافة اللامعة ، والحفاظ الغيور ، وهى اليوم بفضل الله تسيطر على الأزهر ، وترسم له طريق التوثب والنهوض، فكافح بها البغى ما استطاع ! ! وقد دفعته رجولته النادرة أن يعلن رأيه الصريح فى القصر الباغى والحزبية العمياء وهو شيخ

للأزهر دون أن يحرص على منصب زائل ، أو يخاف مغبة متربصة ، فقال من حديث طويل نشرته جريدة الأهرام فى ذكرى الأستاذ المراغى تحت عنوان « إمام يحيى ذكرى إمام » .

« لقد كنت أنا والشيخ المراغى صديقين حميمين ، كلانا يحب صاحبه ، ويقدر فيه مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة ، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لأى من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافنا معروفا للخاصة والعامة من الأزهريين ، وسببه الجوهرى ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك فإنى أرى أن الخير كل الخير أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ومتاعبها التى تفضى إلى ما لا يحمد من العواقب » .

ومعنى هذا الكلام بصريح العبارة أن الأستاذ المراغى قد دفع بالأزهر إلى تأييد القصر ومعاونة من يرتضيه من رجال الأحزاب وليست تلك مهمة رجل الدين ، فالأجدر به أن ينأى عن مشايعة ذوى المآرب المريضة والأهواء المغرضة من الناس ، وقد هاج القصر وماج لذلك الحديث الجرىء . وسلط من أذناب الكتاب من يهاجمون الشيخ على صفحات الجرائد ويزعمون دون استحياء أنه يتجنى على سلفه الراحل ! ! وكأن الحديث يدور على قضية غامضة تختلف حولها آراء الباحثين ، وليست مأساة معاصرة يعرفها الكبير والصغير على السواء » .

ولم يكن القصر يجهل ما للشيخ من صلابة فى الحق ، وإباء للضيم ، فقد ذاق فاروق من حملاته السافرة قبل المشيخة وبعدها ما أرق مضجعه وأزعج هدوءه ، وأذكر أن مجلة المصور قد نشرت تحت عنوان مات الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤ م) مقالا منصفا عن الأستاذ الأكبر فألمت بكثير من مواقفه الرائعة ، وكان مما ذكرته أن الشيخ إذ كان مفتياً للديار المصرية تلقى سؤالا عن حكم الشرع فى رجل يراقص النساء ويشرب الخمر فى الحفلات ، ويرتكب أعمالا يحرمها الإسلام ، وقد أدرك المفتى أن المقصود بهذا السؤال هو فاروق . فقد كانت الجرائد آنئذ تتحدث عن حفلات ماجنة تقيمها (شويكار) احتفالا بمسرته ، ولكنه لم يتراجع ، بل أصدر فتوى جريئة وصف فيها المسئول عنه وصفاً يشين ويجرح ، ويقول المصور : إن الدوائر الرسمية والسياسية قد اضطربت لهذه الفتوى واتصل الملك السابق بالشيخ المراغى فطلب إليه أن يطلع منذ الآن على كل فتوى يصدرها الشيخ عبد المجيد قبل السماح لها بالذيوع ! ! » .

ولم تكد الأيام تمر على تربص حذر من

القصر بالشيخ وآرائه حتى حاول فاروق أن يعين المغفور له الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر ، وكان القانون الرسمى للمشيخة لا يسمح بذلك ، لأن الأستاذ عبد الرازق على جلالة خلقه ووافر علمه وأدبه ، لم يكن عضوا فى جماعة كبار العلماء ، كما أن تعيينه فى هذا المنصب الخطير ، يعتبر دفعا جديدا للأزهر فى أتون السياسة الحزبية المتصارعة ! ! لأن الرجل عضو بارز فى حزب الأحرار الدستوريين ، ووزير ممتاز من كبار وزرائه ، وله فى السياسة هوى خاص يميل مع قوم دون آخرين ؟ فلابد أن يكون عصره امتدادا محتوما لسياسة الأستاذ المراغى فى الانضمام إلى القصر وشيعته ! ! لذلك نجد الأستاذ عبد المجيد - نضر الله وجهه - يرفض فى عنف هذا اليقين ! ! وقد استدعاه النقراشى باشا كما ذكرت مجلة المصور وحاول أن يغريه بالمال ، إذ كان للشيخ عدة آلاف من الجنيهات بوزارة المالية ، مكافأة شخصية على مشيخته للأحناف بالأزهر مدة طويلة ، وقد تجمدت تلك المرتبات بالوزارة لاعتراضها على أن يجمع الشيخ بين مرتبين فى وقت واحد ! ! فلوح له رئيس الوزراء بصرف تلك الألوف المتجمعة سريعا إذا وافق على تعيين مصطفى عبد الرازق ، فغضب الشيخ فى وجهه غضبة أزعجته ، وصاح به فى انفعال : أتريد أن تساومنى فى الحق ؟ . ثم خرج ساخطا دون استئذان ، ! ولم ييأس القصر بعد . فأوفد إليه بعض رجاله يهدده بالعاقبة ويقول فى صراحة : إن معارضة الملك خطر عليك ! فقال الشيخ فى إيمان : أسيحول هذا الخطر بينى وبين المسجد ؟ ! فخجل رسول القصر ولم يجب ! ! وكان الشيخ جريئا حين أعلن نبأ هذه المحادثة بإمضائه فى بيان أصدره للناس ! وهى من الذيوع بحيث لا يجهلها مصرى واحد عاصر هذه الأحداث .

أما حملته على استهتار الملك ومجونه ، فقد كانت شديدة منكرة ، ففى الوقت الذى تسابق فيه الزعماء إلى تمجيد فاروق وتقديسه ، كان شيخ الأزهر يصيح صيحته الغاضبة ، تقتير هنا وتبذير هناك ، منددا بما ينفقه الملك فى كابرى من الكنوز على الخمور والقمار والنساء ! ! وكان رجال الحكومة إذ ذاك لا يسالمون الشيخ ، لاعتراضه الصريح على تدخلهم المنكر فى شئون الأزهر ، وتعيينهم اثنين من أنصارهم فى مجلسه الأعلى ليقوما بتنفيذ رغباتهم الحزبية مهما أجحفت بالعلم والعدالة والمساواة ! ! فانتهزوا الصيحة الغاضبة وطاروا بها إلى فاروق ، فأقيل الأستاذ من منصبه ، وقد ثبتت محبته فى القلوب وما ضره عزل دنىء عن منصب رسمى يسمو بالشيخ دون أن يسمو به ، فهو من جلالة مكانه فوق المناصب دون استثناء ! !

تلك دروس مثالية يجب أن تلقن للناشئة من أبناء الإسلام؛ لتكون موضع الأسوة الحسنة والندوة المصطفاة ، وهى فى حاجة ماسة إلى من يتناولها بالدرس والتحليل فى مؤلف مبسوط فهيهات أن يتسع المقال الواحد لغير الرد السريع ! على أنه لا يحيط بكل ما كان ، بل ينتخب من الحوادث المتزاحمة ما يغنى عن سواه ، ولن أغفل هنا موقفه الخالد من الملك فؤاد ، فقد حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجديبة . أرضا مخصبة من أملاك الأوقاف ، وتلمس الفتوى الميسرة من عبد المجيد فأعلن الأستاذ فى تحمس صادق أن الاستبدال باطل لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف ! ! وهى هنا مفقودة ، بل إن الخسارة متحققة ، وقد ملأ رحمه الله فتواه الرائعة بنصوص ثاقبة وافية قطعت كل اعتراض ، وتركت طاغية القصر من أطماعه المحرمة فى مأساة نكراء .

إن الرجل الأبى الذى يحتقر الآلاف المتجمدة ، فى سبيل مبدئه ، ويضحى بالمنصب الرائع إذا جر إلى ضياع مثله ، ليحرص كل الحرص على أن تكون موارد رزقه طاهرة مطهرة ، حتى فيما ضؤل وهان ! فقد ذكر أستاذى الكبير أحمد حسن الزيات بإحدى أعداد الرسالة أن إدارة الترام قد أهدت إلى فضيلته تصريحين بالركوب فى الدرجتين الأولى والثانية ، أولهما للشيخ وثانيهما لخادمه ، فحرم الأستاذ على نفسه أن يستبيح شيئا ما دون مجهود متكافئ وقد تسرع خادمه فاستغل التصريح مرة واحدة ! فغضب الشيخ وركب عربته حتى وصل إلى محطة الترام واشترى تذكرة ثم مزقها دون استعمال ؛ لتؤدى عن الخادم ثمن ما استهلك !! وللباحث النفسى أن يجد فى هذا التصرف المتحرز ما يكشف عن أطواء تلك الروح الطاهرة التى تتجنب الشبهات ، وتحرص على أن تكون مثالا مبرءا للمسلم الورع الأبى ، ونبراسا وضيئا للحقيقة المؤمنة بشتى صفاتها الساحرة من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ... ويالها من صفات .

محمد رجب البيومى

المدرس بالمنصورة الثانوية

---

[١] مجلة الهدى النبوى ربيع أول سنة ١٣٧٤ هـ

العصر الذهبي للتصوف الإسلامي

للدكتور محمد غلاب

يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر ازدهار لأشهر المدارس الصوفية إلى حد أن أطلق عليه المستشرقون اسم « العصر الذهبي » .

وفى الحق أنه بعد أن كانت الحركة التنسكية تتمثل فى أفراد منعزلين ، أو فى مدارس ناشئة تأسست فى الكوفة أو فى البصرة ، أصبحت فى ذلك العصر قوة صوفية يحسب حسابها قد اتخذت عاصمة العلم والثقافة مركزاً لها جعلت ترسل منه أشعة فتوحاتها الربانية ، وأنوار فيوضها الصمدانية إلى بقية الأصقاع الإسلامية فتضىء ظلماتها ، وتبدد حنادسها .

كان أعلام الصوفية فى تلك الحقبة من مشاهير أهل الحديث ، وكانوا يبذلون جهودهم فى أن يعيدوا الطقوس الدينية الظاهرية والحياة العملية للجماعة إلى المثل العليا التى تركها النبي الجليل والتى كانت مصابيح الأفكار والألباب والسلوك قبل أن تنشأ البدع ، وتستيقظ الفتن . وكانوا أساتذة لعلوم السنة ومعارفها ، وكان لهم تلاميذ يجتمعون حولهم ، ويقتسمون حياتهم ، ويتسابقون إلى خدمتهم . ولكنهم كانوا يمتازون عن بقية الأساتذة بالزهادة والانصراف عن أعراض الدنيا ، وبقوة الشكيمة والصبر على المكروه .

غير أنهم إلى ذلك العهد لم يكن لهم قواعد خاصة ولا مذاهب سرية ، ولا تعاليم مضنون بها على غير أهلها مما جعل التصوف منذ ذلك الحين ينشأ وينمو ، ويتخذ أعماقا رصينة ، وأغواراً بعيدة ، ويرتدى صوراً متنوعة تبدو تارة تحت اسم الأحوال ، وأخرى بعنوان المقامات إلى غير ذلك مما كان له فى تاريخ الحركة التنسكية العالمية شأن عظيم وأهمية قصوى كما سنشير إلى كل ذلك فى مواضعه .

وقد شئنا أن نبدأ حديثنا اليوم عن هذه النماذج العليا بالمحاسبي . وإليك عنه هذه الإلماعة :

المحاسبي :

هو أبو عبد الله الحارثى العنزى ، وقد ولد بالبصرة فى سنة ١٦٥ هـ . ولما نشأ ارتحل إلى بغداد وفيها تلقى ثقافة واسعة ، ودرس فقه الشافعية ، فكان أحد أعلامهم الممتازين ، ثم تبحر فى علم الكلام .

ومما يبدو جلياً للباحثين أن تكون عقليته الممتازة ، ومعارفه الواسعة كان نتيجة لجهود عدد غير يسير من الأساتذة دفعتهم الأقدار إلى التضافر على تربية هذه العقلية . ولكن الذى يلفت النظر فى دراسة شخصيته ، هو أنه

لم يحاك أحداً من أساتذته . ولقد كان من أنصار العقل ، ولكنه كان يهاجم المعتزلة فى آرائهم المتطرفة . وكان يستخدم مفرداتهم ومنطقهم فى حملته عليهم . ولعله بهذا هو الذى رسم الخطة البارعة التى سلكها الإمام الغزالى فيما بعد فى هجومه على الفلاسفة بسلاحهم ومنطقهم وعبـــاراتهم واصطلاحاتهم مع وجوب تسجيل فروق الزمن وانتشار الثقافة ، واتساع الأفق ، ولكن العناصر الأولية لا ينبغى أن تمر أمام الباحث مهملة ، أو أن تسحب عليها أستار التغاضى والنسيان .

ولقد ظل يزاول التعليم والوعظ حتى نيف على الستين . وكان أول من تفرد بإحراز الاحترام العميق للموروثات الإسلامية والتنقيب الدقيق عن الكمال الخلقى الباطنى ، والانشغال التـــام بالتعريفات الفلسفية المضبوطة . وأنه لم يكن يرى بين هذه العناصر التى تبدو أمام العامة متعارضة ، أى تنافر أو اختلاف ، بل كان مؤمنا بأن اجتماعها وتضافرها هما الوسيلة المثلى لنصر الدين والرفع من شأن الكمال البشرى الذى يجب أن يؤسس على العقل الذى وصفه الخالق جل وعلا بأنه أعز خلقه ، وعلى الوحى الذى هو تاج المعارف الإنسانية .

وأخيراً هجر التعليم فى سنة ٢٣٢ هـ واعتزل الحياة العامة زهاء عشرة أعوام ألقى بنفسه أثناءها بين أحضان التصوف بعد أن تأمل ردحا من الزمن فيما هو مقبل عليه . وبيان هذا أنه اهتدى إلى التصوف بعد أزمة باطنية حدثنا عنها فى كتابه « الوصايا » ، وهو نوع من الاعترافات السيكولوجية يشبه كتاب « المنقذ من الضلال » لأبى حامد الغزالى . إذ أنبأنا فى ذلك الكتاب بأن القلق قد استولى على مشاعره النفسية حين رأى أن الجماعة الإسلامية قد انقسمت إلى اثنتين وسبعين فرقة دون أن يعرف أحد أيها على حق . وإذ ذاك جعل يتأمل فى القرآن طويلا ، فقذفت به تأملاته العميقة ، وملاحظاته الدقيقة فى بحر التنسك ، إذ أيقن بأنه هو الوحيد الذى يحول بين المرء وتلك اللذائذ الدنيوية التى هى منشأ الشرور ، ومصدر الأهواء التى مزقت جمع المسلمين ، وفرقت صفوفهم . كما آمن بأن هذا التنسك هو الضمان الوحيد الذى يحتفظ بالشخص فى إطار الحقيقة .

اشتهر المحاسبى بالزهد القاسى فى عصره حتى لقد قيل إنه كان إذا اشتهى لونا من الطعام ، ومد إليه يده تحرك فى إصبعه عرق إنذاراً له فيمتنع عنه . وقد أطلق عليه لفظ المحاسبى لكثرة محاسبته نفسه على ما تأتيه من الأعمال . ولقد قال عنه القشيرى : « إنه كان عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا » .

غير أن هذا الزهد ـ حتى فى عصر اعتزاله المجتمع ـ لم يحل بينه وبين استمرار الاستزادة من العلوم الظاهرية والارتواء منها ،

بل إن مؤلفاته فى علم الكلام قد احتوت من النظريات ما أحنق عليه فقهاء عصره ، كما أحنق عليه جميع علماء الكلام . وقد ظهر هذا الحنق فى حملة أحمد بن حنبل وأنصاره عليه ، تلك الحملة التى كان من نتائجها أن اضطهد المحاسبى وانقطع عن المجالس العلمية العامة حتى توفى فى سنة ٢٤٣ هـ .

ونحن لا نستطيع أن نقف صامتين بإزاء هذه المآسى التى كانت تمر ولا تزال نشاهدها من حين إلى آخر مرتدية ثوب الدين ، والدين منها براء ، لأن مامصدره السماء يجل عن الفتنة والإيقاع . ويتعالى عن الأغراض الخاصة والأهواء الشخصية . ونحن - فيما يتعلق بالمحاسبى - إذا جزمنا ببراءة الإمام أحمد ابن حنبل لما نعلمه من نقائه وإخلاصه فيما يقول ويفعل ، ويرى ويحكم ، فإننا لا نستطيع الجزم ببراءة أشياعه ولو من التعصب والحدة وسرعة الغضب على أقل تقدير . وفوق ذلك فإن نزعة أولئك الأشياع كانت معادية للصوفية ميالة إلى المادية حتى وصلت بغلاتهم إلى منطقة التشبيه والتجسيم

أما مؤلفاته فمن أهمها كتاب « الرعاية لحقوق الله » وهو كتاب جليل فى المبادئ التى يجب على المتصوفة اتباعها . ويعتبر منهجا كاملا للإرشاد النفسانى . وقد عكف الغزالى قبل أن يؤلف كتاب الإحياء على دراسته والعمل بما فيه زمنا طويلا . وظلت تعاليمه زاهية فى البيئات الصوفية ، ولا سيما لدى الشيعيين عدة قرون رغم ما وجه إليه من حملات الخصوم المغرضين . ولقد وصفه الأستاذ ماسينيون بأنه : « مرشد جدير بالإعجاب للحياة الباطنية » .

أما آراؤه فمن أهمها وجوب العمل على تطوير القوة الباطنية للإنسان بوسيلة قاعدة مرنة تقتاد سلوك الحياة الخارجية ، وتخضع أنظمة أعمالنا الفردية وعلائقنا الاجتماعية لذلك الواجب الأساسى الأول ، وهو العبودية لله وحده ، وتخلية القلب من كل من عداه وما عداه . ولا ريب أن قاعدة الحياة هذه إذا اتبعت كما ينبغى ، فإنها تولد فى الروح أحوالا وفضائل يرتبط بعضها ببعض حسب نظام محدد .

أما تأثير مدرسته ، فقد كان قويا إلى حد بعيد ، وعلى الأخص فى تنقية الوجدان البشرى . وقد كان له عدد ضخم من التلاميذ المباشرين وغير المباشرين ، فقد استلهم الجنيد من معارفه . واستضاء بأنواره ، وانتهل ابن عطاء من معين فتوحاته . ورأى الأشاعرة فيه طليعة إصلاح مدرستهم ، وداوم الغزالى على الالتجاء إلى تعاليمه ، وأكثر الاستشهاد بمنتجاته . وأخيرا كان أحد الأعلام الثلاثة الذين انعقد لهم لواء زعامة الشاذلية .

نشأة المقامات ونموها:

مما لا سبيل إلى الريب فيه أن منهج الصوفى الحقيقى هو بحث باطنى شخصى ، وتأمل فى حكمة الأوامر الإلهية ليبرزها فى صورتها الحقيقية الناصعة ، وليظهر عبادة الله فى كمالها الذى خفى على العامة والجماهير ، فأحاطوه بكثير من الخرافات والأساطير .

وقصارى القول أن قوة أفكارهم تتولد من تأملاتهم المتوحدة المستأنية العميقة المتحمسة العملية التى يديمونها فى تدبر معانى القرآن . ولا جرم أن الموفقين منهم يظلون عاكفين على هذا التأمل حتى لكأنهم يشعرون برنين القرآن يجلجل فى قلوبهم على صورة مصغرة مما كان يحدث للنبى صلى الله عليه وسلم .

ومما هو غنى عن البيان أن غاية أعلام الصوفية من بسط نظرياتهم ، وعرض عظاتهم هى العمل المستمر المؤسس على الفكر الدائم والصادر عن قوى النفس الثلاث : أى العقل والذاكرة والإرادة ، ولا شك أن العمل الذى هذا شأنه هو الذى يحقق اتجاه الفرد إلى ربه والسير نحوه من خلال الليل المظلم المخيم على الحياة المادية .

ومهما يكن من الأمر . فإن هذا التأمل العميق من جانب صوفية المسلمين فى معانى القرآن ، وفى الحياة الروحية للرسول قد انتهى بهم إلى الاستيقان بأن الزهادة التامة ، والإخلاص المطلق يلتقيان بقلب المؤمن على مسراج النقاء ، وأن الحالات السيكولوجية لهذا القلب تصير ثابتة ، وأن الوصول إلى هذه المرتبة يتحقق عن طريق التقدم المنظم المطرد الذى يؤلف المقامات المتتالية التى تسمح للسالك بأن يقتاد تأملاته فى نجاح حتى ينتهى إلى عتبة الاتصال المراد . ولا ريب أن هذه المقامات تختلف باختلاف أعمال الصوفية وثقافاتهم الخاصة ، ونزعاتهم الشخصية ، واستعداداتهم الفردية ، ولقد كانت تلك المقامات فى مبدأ الحياة الصوفية الإسلامية قليلة العدد ، ولكنها - بوساطة التحليلات السيكولوجية المثابرة - جعلت تنمو وتتضاعف حتى لقد وصلت عند بعض أولئك الأعلام إلى مائة كما سجل ذلك عبد الله الأنصارى فى كتابه القيم : « منازل السائرين إلى رب العالمين » .

ولما كان هذا الكتاب من أروع الكتب التى عرضت لهذا الموضوع . فإننا نؤثر أن نقف عنده هنيهة قصيرة نجملين منه ما يعيننا فى هذا الموقف على النحو التالى :

يقسم الأنصارى المنازل الصوفية إلى عشرة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشرة منازل أو عشر مقامات .

فالقسم الأول يدعى بالبدايات ، ويبح الأنصارى - كما يلح جميع رؤساء الصوفية -

على ضرورة العناية بمقامات هذا القسم ؛ لأنها هى الأساس الذى عليه يقام البناء كله وبالتالى لا يكون هـذا البناء متينا إلا بمقدار متانة أساسه ، وهذه العناية تتلخص فى أنها يجب السالك أن يراقب نفسه فى دقة ونية طاهرة وعزيمة صادقة بإزاء تنفيذ أوامر الكتاب الكريم ، ومتابعة السنة الغـراء . أى أن يكون مسلما بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ومن مقامات هذا القسم اليقظة وهى تهدف إلى دعوة القلب إلى هجران نوم الغفلة بأن يتنبه إلى النعم التى حباه الله بها . وأن يدرك خطورة الذنوب ونتائجها ، وأن يتأمل فى الأوقات الماضية الضائعة ، وفى ضرورة العمل على تعويضها بالعمل الصالح فى الحاضر والمستقبل . ومن هـذه المقامات : التوبة والمحاسبة والإنابة والتذكر ، ومعناه مراقبة النفس والحيلولة بينها وبين النسيان .

والقسم الثانى هو المسمى بـ « الأبواب » وهى المنافذ التى يدخل منها السالك إلى الرحاب الأسمى ومنها الإشفاق والخشوع والزهد والرجاء :

والقسم الثالث هو المعاملات ومعناها الخطط التى يسلكها المريد فى تصرفاته لمتابعة طريقته الأولى بعد أن يجتاز الأبواب ومن مقامات هذا القسم التوكل :

والقسم الرابع هو الأخلاق ، ومؤداها أن سلوك الصوفى المخلص مع ربه ، ينتهى به إلى اكتساب أخلاق فاضلة . ومن مقاماته : الرضى والشكر والحياء والصدق والإيثار والتواضع وما إلى ذلك .

والقسم الخامس هو الأصول ، ومجملها أن مجرد اكتساب الأخلاق الفاضلة يمنح الصوفى الرغبة الزائدة فى شدة الاتصال بربه . وهو لتحقيق هذا يجب عليه أن يختار أحـد تلك المبادئ العشرة التى هى مقامات هذا القسم ، وهى المقامات التى يؤسس عليها تقدمه فى طريقته الصوفية . وأهم هـذه المبادئ : « الإرادة » التى بها يتم له الاختيار .

وهنا ينتهى الجانب الإيجابى من حياة الصوفى بوصف أنه مريد ، فيدخل فى إطار جديد ينتظر فيه الفضل الإلهى . أو الفيض الربانى .

وقد آثرنا أن نقف اليوم عند هذا الجانب الإيجابى ، وربما عدنا فيما بعد إلى الجانب السلبى الذى يكون فيه الصوفى مراداً بعد أن كان مريداً ، ومحبوبا بعد أن كان محبا ، وإذا تقرب منى عبدى شبرا تقربت منه ذراعا » . وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا » . وما هذه المقاييس المادية إلا تقريب للأذهان . تعالى الله عنها علوا كبيرا .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام فى أستراليا

للأستاذ عطية صقر

فى الجنوب الشرقى من خريطة العالم تقع قارة صغيرة نائية ظلت مجهولة للغرب آلاف السنين ، فلم يعرفها الأوربيون إلا فى القرن السادس عشر حين مربها البرتغاليون ، وارتادها الهولنديون فى القرن السابع عشر ، ثم بدأ الانجليز فى استعمارها فى نهاية القرن الثامن عشر عندما ضاعت ممتلكاتهم فى أمريكا سنة ١٧٨٣ ، فأنشئوا بها مستعمرات للمجرمين الذين ضجت انجلترا من حوادثهم ، فأقلعت بهم إحدى عشرة سفينة فى سنة ١٧٨٨ وأنزلتهم بهـذا المنفى ، وبدءوا بالفعل استغلال هذه القارة التى يسكنها قوم من الجنس الماورى آخذون فى الانقراض ، وإن كانت الجهود تبذل للإبقاء عليهم للإفادة منهم فى دراسة النوع البشرى وتطور الحضارات .

ولم يكن أحد من سكان القارات الكبرى يرغب فى السفر إلى هذه الأرض الجديدة . التى تكسو أرضها الغابات وتمتد بها الصحارى وتقسو الطبيعة ، حتى كان اكتشاف مناجم الذهب سنة ١٨٥١ فبدأت البعثات العلمية والاستكشافية تفد إليها ، وتطلعت الأنظار من كل جنس ودولة إلى خيراتها البكر ، فتتابع سيل المهاجرين من الباحثين عن العيش والراغبين فى الثراء . وكان نزول هؤلاء أولا على السواحل ، فلم يستطيعوا المخاطرة بارتياد قلب القارة نظراً لوعورة الطرق وكثافة الغابات وعدم وجود الوسائل الكافية للانتقال .

وكان من هؤلاء المهاجرين جماعة مسلمون قدموا من الهند وأفغانستان وبلوخستان حملوا معهم دين الإسلام لأول مرة إلى هذه القارة ، وكان ذلك فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٠ أو سنة ١٨٦٩ على اختلاف فى الروايات ، وقد أرادت البعثات العلمية والاستكشافية أن تدخل قلب القارة ولكن وسائل الانتقال تنقصهم ، ففكروا فى استخدام هؤلاء الأفغان الوافدين ، الذين مهروا بحكم طبيعة بلادهم فى ارتياد الصحارى وتحمل مشاق السفر وتقلبات الجو ، فقاموا ومعهم دوابهم وإبلهم بتسهيل مهمة البعثات وانتقلوا معها فى كل

مكان . وكانت هذه المهمة وسيلة لانتقال الإسلام وانتشاره من جوانب القارة من أديليد Adelaide إلى داروين Darwin ومن برث Perthe إلى سيدنى Sydney . وفى هذه الأماكن كلها نودى باسم الله فى كل أذان ، وذكر اسمه فى كل صلاة .

وكان من سياسة هذه الطليعة الإسلامية أن يجتمعوا حول الآبار ، متخذين منها مراكزاً لنشر الدعوة الإسلامية ، وما لبثت أن تكونت حول هذه النقط مدن صغيرة مثل ماريه Marree ، أليس Alice ، ويلز Wells بردسفيل Dirdsville ، كاترين Katherine. واستدعى المسلمون أسرهم وكونوا جاليـــة إسلامية اعترف بها رسمياً فى البلاد .

وأول مركز إسلامى أنشئ فى القارة فى مدينة « أديليد » على الساحل الجنوبى ، ففى سنة ١٨٨٩ اشترى الحاج « ملامير بين » Mairbain وهو أحد مهاجرى الأفغان ، قطعة أرض أقام عليها مسجداً ساهم فيه المسلمون الذين كانوا يبلغون إذ ذاك ٤٠٠ مسلم وكان ذلك سنة ١٨٩٦ . وهو لا يزال إلى الآن تقام فيه الشعائر ويحمل اسم صاحبه ، وتشرف عليه الجمعية الإسلامية . وبعد وفاته وفد على المنطقة كثير من المسلمين واصلوا أعماله الخيرية فى الإشراف على المسجد ، فأنشئوا كثيراً من الممرات وعملوا عدة تحسينات فى الساحات الملحقة به وغرسوا الأشجار فى ساحته ، وأنشئوا دورة مياه بجواره يفيد منها المترددون على المسجد ، خصوصاً كبار السن، الذين يلازمونه فى أغلب الأوقات .

كما أنشئ مسجد فى مدينة « ماريه » ، غير أنه لسوء الحظ أصبح لا يؤمه المصلون بعد أن تصدعت جدرانه وأهمل شأنه ، وقد كان هذا المسجد آخر ما ينظر إليه الإنسان وهو يغادر جنوبى استراليا . وبعد سنة ١٩٥٢ أصبح عدد المسلمين المهتمين به قليلا ، ولم يشأ الجيل الناشئ أن يعيد إليه سابق عهده ، بل تركوه للرياح وعوامل الطبيعة تقتص من أطرافه ، حتى اختفى إلى الأبد هذا المعقل الإسلامى العظيم .

وفى بداية القرن العشرين نزح بعض المسلمين إلى غربى استراليا ووصلوا إلى ميناء « فريمانتل » Freemantle لينتقلوا منه إلى سهول « نولابور » فوضعوا الحجر الأساسى لمسجد « برث » سنة ١٩٠٥ . وما يزال هذا المسجد قائماً ، وقد ألحق به مسكن يأوى إليه المسلمون ، الذين يرفض الأهالى إيواءهم بسبب التعصب العنصرى وهو يبعد عن ميناء « برث » بنحو نصف ميل ، وقد استطاع هذا المسجد ، الذى ظل مهجوراً عدة سنين أن يسترد نشاطه كسابق عهده ، بعد أن تعهده الأوروبيون الذين اعتنقوا الإسلام .

وعلى الشاطىء الشرقى للقارة يوجد مركز إسلامى ثالث فى « بروكن هل Broken Hill فقد أنشىء فى سنة ١٩٠٨ مسجد صغير مازال يتردد عليه القلة الباقية من المسلمين والمسنين فى هذه المنطقة، كما هو الحال فى مسجد « برسبين Brisbane »

ويلاحظ أن كثيرا من المساجد تقام عند ما يحل المسلمون بالمنطقة . فإذا ارتحلوا عنها إلى حيث النشاط الاقتصادى كاكتشاف منجم أو غير ذلك . أهمل المسجد . وترك مأوى للضالين والحيوانات المتوحشة . أو استعمل لغرض آخر . كما أهمل مسجد « ماريه » سنة ١٩٣٢ . ومسجد « تاسمانيا » الذى اتخذه الجيش الأسترالى معسكرا له فى الحرب العالمية الثانية ، ولم يستأنف نشاطه بعد .

ولا توجد إحصاءات رسمية دقيقة تبين عدد المسلمين فى القارة ، نظرا لكثرة تنقلهم، وعدم وجود رابطة تجمعهم ، كما أن عددهم يختلف من آن لآخر بالهجرة ، والبعثات التعليمية والتجارية لا تطول مدة إقامتها هناك كثيرا .

ففى سنة ١٨٨١ كان عدد المسلمين فى جنوبى استراليا ٤٧٦٢ ، وفى سنة ١٩٣٣ كانوا ٤٤٩ ، وفى سنة ١٩٤٥ كانوا ٦٠٠ وفى سنة ١٩٥٥ كانوا ٣٠٠ كما كان عددهم ٢٥٧ فى فيكتوريا وتسمانيا ٢١٦ ، وفى سنة ١٩٠١ كانوا ٤٦٧ ، وفى سنة ١٩٥١ كانوا ٧٠٢ . وفى سنة ١٩١٦ قدر بعض الباحثين عدد المسلمين جميعا بنحو ٣٩٠٨ نسمة (١) . غير أن عددهم زاد بعد هذا التاريخ ، فقد هاجر إلى استراليا كثير من مسلمى الهند والملايا والصين وشرقى إفريقيا ، وفى سنة ١٩٢٤ عقب الحرب العالمية الأولى هاجر إليها عدد من مسلمى ألبانيا وشبه جزيرة البلقان . ثم أوقفت الهجرة سنة ١٩٤٥ ولم تأت سنة ١٩٤٨ أى بعد الحرب العالمية الأخيرة حتى بدأت الهجرة مرة ثانية فوفد المسلمون إليها من أوروبا والشرقين الأقصى والأوسط . ويوجد الآن مسلمون من بولندة وألمانيا وانجلترا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا ولبنان وفلسطين وغيرها . ومن بين هؤلاء طلاب من الملايا والهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان . يعودون إلى بلادهم بعد انتهاء بعثاتهم . كما يوجد بحارة مسلمون يتصلون بالمسلمين فى الموانئ . وبهذا يكون فى استراليا حوالى خمسة آلاف مسلم من المقيمين وحوالى ألف من الطلاب . هذا ما يقوله رئيس الجالية الإسلامية فى أديليد (٢) . وقد زار أحد المصريين استراليا سنة ١٩٤٨ وألقى محاضرات فى « ملبورن » ونشر بيانات عن الإسلام .

---

(١) دليل العالم الإسلامى ، الطبعة الثالثة .

(٢) Islamic Rev Fe, 1956.

ويقول إن كثيرا من الأهالى اعتنقوا الإسلام. ويقدر عدد المسلمين بنحو ١٢ ألفا .

ومهما يكن من شىء فإن المسلمين هناك لهم جمعيات فى الأماكن التى يكثرون بها فى فيكتوريا وسوث ويلز . وكوينزلند . وأهمها جمعية « أدليد » التى يرأسها مسلم انجليزى الأصل يدعى : حسين . و . ل . بريستلى Pristly . اعتنق الإسلام سنة ١٩٤٧ عند ما زال من نفسه الشك الذى ظل يساوره منذ الصغر ولم يجد له جوابا شافيا فى الديانات الأخرى حتى ألجأته الظروف إلى الانخراط فى سلك الجندية فى قوات الأمن بفلسطين واختلط بعلماء المسلمين ووجد فى الإسلام إنصافا لجميع الأنبياء واعترافا بهم فأسلم [1] ونائب رئيس الجمعية بولندى وأمين الصندوق ألبانى . والجمعية تقيم الشعائر وتحتفل بالأعياد والمواسم الإسلامية وتلقن الكبار والصغار بعض الدروس الدينية وأصول العبادات . وقد اشتغل المسلمون أول ما نزلوا القارة بالزراعة والرعى والتجارة والعمل فى المناجم وتعبيد الطرق . وبفضلهم اكتشفت مناطق مجهولة . وأمكن للبعثات أن تقوم بمهمتها فى الكشف واستغلال موارد الثروة . وعند ما كان المسلمون يقومون بذبح الحيوانات راجت تجارة اللحوم المحفوظة وتصديرها إلى الخارج . فلما صرفوا عنها وقف تصديرها إلى البلاد الإسلامية. وبرز نشاطهم فى أعمال الملاحة بالموانى . فيوجد فى ميناء «ملبورن» ٧٠ مسلما من بين عمال الشحن والنقل والتخليص .

وقد نقلوا إلى البلاد زراعات لم تكن موجودة كالبلح وأدوا خدمات جليلة للبعثات الاستكشافية ، وبرز منهم فى هذا المضمار « بيجاه درويش » الذى كان سبباً فى نجاة بعثة « ويلز » بعد أن أشرفت على الهلاك إذ ضلت الطريق . فوجهها درويش بالبوصلة واقتفاء الأثر وواصل بها السير فى تحمل وصبر بالرغم من أن سنه جاوز التسعين ، فنجت من الهلاك .

ومثله فى ذلك ابنه « جاك بيجاه » الذى عبر ببعثة الدكتور «مادجان madigan» سنة ١٩٣٩ مجاهيل صحراء « سيمبسون » إلى « أليس سبرنجس » .

وقد نقل الألبانيون إلى استراليا صناعة الدخان وإن كانوا هم قد انصرفوا عنها إلى الزراعة . وقام مهاجرو البلقان بإدارة الفنادق والمقاهى .

ومما يدل على آثار المسلمين الطيبة التى تركوها فى البلاد ما سجل من الأسماء لبعض المدن والأماكن التى حلو بها . ولعل من أهمها اسم « خان » الذى أصبح يطلق على سكة

---

(١) IsIamic. Rev. Sep. 1957.

حديد « أدليد » منذ أن أدخل فيها القطار البخارى وقطار الديزل ، كما يطلق على تل هناك اسم « تل بيجاه » نسبة إلى بيجاه درويش ، تخليدا لذكره .

ومن الرجال الذين خدموا الإسلام فى استراليا شيخ مسن يدعى « محمد على » وهو انجليزى الأصل وكان كبير الجالية الإسلامية الموجودة الآن فى جنوبى استراليا . و « محمد أيوب خان » الذى يرعى المسلمين فى مينا « برث » والمرحوم الحاج ملا مربين السابق ذكره ، و « عبد الوديع الأفغانى » و « غلام ريزل » . و « سعيد نيز محمد » و « باهى خان » وقد عاد هؤلاء إلى بلادهم وتركوا الإشراف على الجمعية إلى ابن عبد الوديع الذى بقى هناك يواصل نشاطهم . كذلك من خدموا الإسلام « محمد علوم » الذى قام بطبع النشرات لصالح الدعوة الإسلامية فى « أدليد » و « عبد القادر » وهو من « ماريه » الذى أدخل زراعة النخيل إلى البلاد .

هذا والمسلمون متمسكون بدينهم ويدينون بمذهب أهل السنة . ويؤدون الشعائر على مذهب الإمام أبى حنيفة الذى حمله إليهم الأفغان كما يوجد نحو ٥٠٠ مسلم فى غينيا الجديدة التى تقع تحت الانتداب الأسترالى ، قدموا من إندونيسيا ، ومذهبهم شافعى .

تلك نبذة عن الإسلام فى ماضيه وحاضره ، فهل نستطيع أن نقدم للمسلمين فى مهجرهم هذا شيئا يفيدون منه فى مستقبلهم ؟ أعتقد أن أية خدمة يؤديها الأزهر إليهم ؛ سيكون لها صدى بعيد الأثر فى نفوس هؤلاء الذين ينظرون إلى الأزهر كمصدر إشعاع روحى وثقافى على العالم الإسلامى أجمع ، والله الموفق والمعين . ؟

عطية صقر

كسب المعاش

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوى القربى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من حيث تبتغى ... من الناس إلا من أعد وشمرا
فلا ترض من عيش بدون ، ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا ؟

من شعراء الوحدة :

القاضى الفاضل

للأستاذ على العمارى

٥٢٩ — ٥٩٦ هـ

— ٣ —

حياته :

هو عبد الرحيم بن على بن الحسن ، ولقبه مجير الدين ، وكنيته أبو على ، وشهرته القاضى الفاضل ، ولد بعسقلان إحدى مدن فلسطين ولذلك ينسب أحيانا إليها فيقال العسقلانى وتولى أبوه قضاء بيسان ، وهى من مدن فلسطين أيضا ، وكثيرا ما ينسب القاضى إليها ، فيقال عبد الرحيم البيسانى ، وبهذا الاسم سمى الشارع الصغير ، فى حى المنيرة بالقاهرة وينتهى نسب هذه الأسرة إلى لخم إحدى القبائل العربية ، ولذلك يقال فى نسبها (اللخمى) .

نشأ القاضى بعسقلان ، وتلقى بها علوم العربية ، وشدا شيئا من الأدب ، ثم أرسله والده القاضى الأشرف إلى مصر ليلتحق بديوان المكاتبات ، فى زمن الخليفة الحافظ الفاطمى وكان يتولى ديوان الإنشاء فى ذلك الوقت الموفق بن الخلال الذى وصفه العماد الأصبهانى بقوله : « هو ناظر مصر وإنسان ناظرها ، وجامع مفاخرها » وهذا الرجل يعتبر الأستاذ المباشر للقاضى الفاضل :

ويروى عبد الرحيم قصة وفوده إلى مصر فيقول : كان فن الكتابة بمصر فى زمن بنى عبيد غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبيانا ، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا . وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع ، فأرسلنى والدى ، وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ وهو أحد خلفائها ، وأمرنى بالمصير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته

من أنا وما طلبى رحب بى وسهل . ثم قال : ما الذى أعددته لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندى شىء سوى أنى أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة ، فقال : وفى هذا بلاغ ، ثم أمرنى بملازمته ، فترددت عليه وتدربت بين يديه ، ثم أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرنى أن أحله مرة ثانية فحللته (١) » .

وبعد أن تخرج كتب لقاضى الإسكندرية ابن أبى حديد . ولما ظهر فضله استدعى للعمل بديوان الإنشاء بمصر وكان الذى استدعاه الملك العادل بن رزيك ، وزير الخليفة الفاطمى (العاضد) ، وقد أثنى عمارة اليمنى فى كتابه (النكت) على الملك العادل فقال : « ومن محاسن أيامه وما يؤرخ به عنها ، بل الحسنة التى لا توازى . واليد البيضاء التى لا تجازى ، خروج أمره إلى والى الإسكندرية بتسيير القاضى الفاضل الأجل أبى على عبد الرحيم بن على البيسانى إلى الباب واستخدامه فى حضرته ، وبين يديه فى ديوان الإنشاء (٢) » .

ثم كتب بعد ابن رزيك لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبى ، ثم لصلاح الدين وأصبح وزير دولته ، وصاحب الأمر الأول فيها كما خدم ابنه العزيز ، ثم اعتزل فى بيته وعكف على التلاوة وقراءة القرآن ، ويبالغ العماد الأصبهانى ، فيقول إنه كان يختم القرآن فى كل ليلة . وكان بينه وبين العادل أبى بكر بن أيوب وحشة ، وكان الفاضل يخشى أن يتولى العادل ملك مصر ، فلما بلغه مجىء العادل ملكا على مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله ، ويقال : إن العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة [١] . وكانت وفاته فى سنة ٥٩٦ هـ عن سبعة وستين عاما . وقد أجمع مؤرخو الفاضل أنه كان دميم الخلقة فكان أحدب أوقص [٢] قصيراً . ويروى أنه دخل حماما ذا قبة فقال بيتين يصف فيهما نفسه :

ما كان يكمل حر ذا الحمـــــام
حتى ازداد قبـــــة

(١) الروضتان ج ١ ص ١٩٢ ، وقد نقله عن ابن الأثير فى أول كتابه (الوشى المرقوم) . حيث قال إن القاضى حدثه بهذا الحديث .

[٢] النكت ص ٥٣ عن كتاب دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ص ٢٠٧ .

[١] زويلة كجهينة أو كسفينة ، قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد من المغرب ، ويطلق على باب بناه بدر الجمالى ، وهو قائم إلى اليوم وتسميه العامة بوابة المتولى ، حيث كان يجلس فى مدخله متولى حسبة القاهرة .

[٢] الوقص بالتحريك : قصر العنق وقصر له وقص كفرح ، وتواقص : تشبه بالأوقص .

فكأنني فيه خرو
خروف شوأ ومن فوق مكبة

مكانته :

لا يكاد أحد شدا فى تاريخ الأدب شيئاً يجهل القاضى الفاضل ، فهو يقرن بابن المقفع والجاحظ وابن العميد فى أن لكل منهم طريقة فى الكتابة الفنية عرفت باسمه ، والسمات البارزة فى الطريقة الفاضلية هى الإكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والسجع والتورية والطباق ومراعاة النظير ، واختيار الألفاظ الجزلة ، والتلاعب بالألفاظ والإسراف فى الصناعة حتى ولو أدى ذلك إلى التكلف والثقل ، وقد أشرت إلى هذه الطريقة فى الحديث عن العماد الاصبهانى .

وطريقته امتداد لطريقة كتاب الدواوين فى العهد الفاطمى ، وقد أصبحت هذه الطريقة موسومة فى كتب الأدب باسمه ، ولكن بعض الباحثين المحدثين ينكر أن يكون فن القاضى الفاضل أهلا لكل ماقيل عنه ، وعنده أن نسبة المذهب إليه لون من ألوان التعسف فى الحكم النقدى والتاريخى وأن الذى حمل الناس على أن يرفعوا من شأن القاضى ، هو أنه كان وزير مصر الأول فى الأيام الصلاحية ، ولو لم يكن هو صاحب السلطان الفعلى فى البلاد ما كان المؤرخون والنقاد يشيدون بفنه على هذا النحو الذى نجده فى كتب معاصريه أو فى الكتب التى نقلت عن معاصريه ، فالحقيقة التاريخ تقول إنه لم يبتدع هذه الطريقة التى نسبت إليه بل كان مقلداً لمن سبقه ، وأصل هذه الطريقة عنده الكاتب ابن عبد كان من كتاب الطولونيين[1] .

قلت : ومن من هؤلاء الذين نسبت إليهم طرائق الكتابة كان مبتدعا لها ، لم يكن ابن المقفع مخترعا لطريقته ، وإنما كان مقلداً فيها ، ثم عرف بها لما أكثر منها ، وبرز فيها ، وكذلك كان الجاحظ ، وكذلك كان ابن العميد ، فالطرق الكتابية لم تعرف بمبتدعيها ، وإنما عرفت بالذين برزوا فيها . وهكذا كان الشأن فى القاضى الفاضل ، صحيح أن معاصريه امتدحوه وأشادوا به وغلوا فى مدحه ، ولكن الرجل كان مع ذلك أهلا لكثير مما امتدح به ، وقد بالغوا فى عدد الرسائل التى أثرت عنه ، ومهما يكن من شىء فما أظن أن لأحد من معاصريه أو ممن سبقه هذا القدر من الرسائل ، ولقد شهد الفاضل أقوى فترة فى تاريخ محاربة العرب للصليبيين ، وكان فيها اللسان الناطق ، والكاتب المؤرخ ، والرأى الرشيد وتكاد تكون رسائله تاريخا دقيقاً

[١] دكتور محمد كامل حسين فى كتابه [فى أدب مصر الفاطمية] و [دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين] .

مفصلا لهذه الفترة من حياة مصر ، فعنى بها المؤرخون والأدباء فى حين اندثرت أو كادت رسائل السابقين له وكتاباتهم ، فكان طبعيا أن تنسب إليه هذه الطريقة فى الكتابة ، ولا يكون فى ذلك إجحاف بأحد ، لأنهم لم يبالغوا فيها كما بالغ ، ولم يكتب لأدبهم الخلود كما كتب لأدبه ، وليست تعنينا الأسباب التى خلدت أدبه ، وإنما يعنينا أنه خلد . وقد جاء فى كتاب طبقات الشافعية هذه العبارة : (أجمع أهل الأدب على أن الله تعالى لم يخلق فى صناعة الترسل من بعده مثله ولا من قبله بأكثر من مائتى عام وهو بينهم كالشافعى وأبى حنيفة بين الفقهاء ، بل هم له أخضع) . قد يكون فى هذه العبارة مبالغة لسبب أو لآخر ، ولكن الذى نقطع به الآن أنه لم يؤثر عن أحد من معاصريه ولا من السابقين له مثل ما أثر عنه ، وهذا يكفى فى نسبة الطريقة إليه ، على أنها إذا كانت فى عصره وظلت قرونا بعد ذلك شرفا وفضلا فإننا الآن نعيبها ونتنقصها ، ونعتبرها جناية على الأدب .

ولقد كان للقاضى الفاضل ، فضل على كثير من نوابغ الكتاب والشعراء فى عصره ، وقد أظلهم بجناحه ، ووصلهم بمعروفه ، ونفعهم بجاهه ، فامتدحوه ، وبالغوا فى الثناء عليه ، ولعل أكثرهم امتداحا وثناءا للعماد الأصبهانى ، فقد ألف كتابه (الخريدة) وقال فى أوله : (وقبل شروعى فى ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأماثل العصر ، كالقطرة فى تيار بحره ، بل كالذرة فى أنوار فجره ، فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع) . وطريقة العماد فى المبالغة واضحة ، ولكنها طريقة قديمة أيضاً ، شرعها الثعالبى فى كتابه (اليتيمة) ، فكل كاتب عنده بكر الدهر ، وإنسان عين الفضل .

وقد كان صلاح الدين يجل الفاضل . ويحرص عليه ، ويمثل هذا الحرص موقفه منه حينما أراد الفاضل الحج ، فقد استأذن من السلطان ، فكتب إليه السلطان بخطه توقيعا (على خيرة الله تعالى ، يا ليتنى كنت معكم فأفوز فوزاً عظيما) ثم كتب السلطان إلى بعض النواب بخطه أيضاً : « وصلنى كتاب القاضى الفاضل وهو يذكر أنه مصمم على الحج ، الله يجعله مباركا ميمونا ، ولكن لا أفسح له فيه إلا بعد اثنتين ، واحدة ، أنه لا يركب بحر ، يسير من العسكر إلى أيلة ، ومنها يتوجه ويقيم العسكر على أيلة ليلة ، وعلى أرم ليلة ودون أرم ليلة ، وقاطع أرم ليلة ، فيكون هو قد بعد وما يبقى عليه خوف ، إن شاء الله تعالى ، وثانية تأخذ يده ، وتحلفه برأسى

أنه لا يجاور ، وثالثة تعطيه من مال الجوالى ثلاثة آلاف دينار ، وتقول له لابد أن يخرج هذا عنى لا عنك فى المجاورين بمكة والمدينة وفى أهلها ، هذا أمر لابد منه ، فإن الناس لابد لهم من الطلب . ولابد لك من العطا ، وإن قال إن الشيء قليل فأنت تقرضنى مثل هذا المبلغ من مالك وتعطيه إياه ، فلابد ، وإلا فلا إذن له فى الرواح إلى الحج إلا على هذه الشروط التى قد شرطتها ، وأما مجيئه فيجيء إلى الشام ؛ فأنا ما بقى لى دار إلا هى حتى يقضى الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين (١) » .

فهذا الكتاب من أدل الوثائق على ما كان يحمله صلاح الدين من الإكبار والإجلال والحرص على القاضى الفاضل ، فهو يشترط عليه ، إذا سار إلى الحج ألا يركب بحرا ، خوفا عليه وضنا به ، ثم يؤمن طريقه فيرسم خطة إقامة العسكر حتى يبعد القاضى ويأمن ، وينجو من الخوف . وثانيا يشترط عليه ألا يبقى بمكة بعد الحج ، وألا يجاور فيها ، وما ذلك إلا لأن الدولة فى أمس الحاجة إليه .

أما إكرامه له ، وإعطاؤه من المال ، فواضح الدلالة ، حتى إن السلطان بذل ما عنده وطلب من نائبه أن يقرضه إذا احتاج الفاضل إلى أكثر مما أمر به .

ومع كل الاحتياطات التى اتخذها السلطان للمحافظة على حياة وزيره ومستشاره ، فقد جرى فى الطريق التى سلكها خطوب وشئون وأحاديث كلها شجون ، وتعرض لهم العدو . ولكن كانت العقبى إلى سلامة - كما يقول القاضى - ووصل إلى السلطان ، فوجده فى الغزاة جاهدا ، وللعدو مجاهدا .

ولعل سر قوة هذا الرجل أنه كان معتزا بشخصيته ، محبا للخير ، مخلصا لبلاده وسلطانه مؤثراً للحق ، صادعا بالرأى الذى يراه . ولولم يكن فيه هوى السلطان ، حدثوا أن صلاح الدين ضاق ذات مرة بكثرة الوفود التى تفد على بابه ، ومل وضجر من كثرة المطالب التى تقدم إليه فشكا إلى القاضى ، وذكر أن الملوك قبله كانت تخافهم الرعية ، وتتوقع منهم البلية ، فى حين أنه إذا ركب أو نزل تعاوره الناس بالقصص ، وساوروه بالغصص ، فنصحه الفاضل بأن يشكر الله ، وأفهمه أنه كان بمصر خليفة كان يرتع الخلق فى رياض إنعامه ، وكان بالشام فى كل بلد وال له على أهله نعم ومواهب ، وقال له : أنت اليوم سلطان الجميع ، وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك فعليه أن يكرمهم ، فبكى صلاح الدين وأقسم أنه ما عاش لا يرد قاصدا ولا يصد وافدا ، وكتب القاضى إليه مرة يعرض بأنه قطع رزق بعض الفضلاء فكتب السلطان بخطه : وقفت على رقعة الفاضل وما يقطع لأحد رزق إن شاء الله تعالى .

(١) الروضتان ج ٢ ص ٧ .

شعره :

للقاضى الفاضل ديوان لا يزال مخطوطا ، وفيه أشعار فى مختلف الأغراض من مدح ورثاء وهجاء وغزل ووصف ، وقد أخل فيه وأحض ، وهو فى جملته ركيك الصياغة قليل الرواء ، ضحل المعانى ، وربما ظفرت فيه ببيت أو بيتين ، فى القينة بعد القينة ، تكون عليها مسحة من الجمال ، ولو كانت شاحبة ، أما جمهرة شعره ، فلا خير فيها من الناحية الفنية . ومما يستحسن قوله فى الشيب :

داء ولكنه داء بلا ألم
شيب ألم برغم العين فى اللمم
أما وقد قيل ضيف للمشيب فلا
يلقاه - والله - وجهى غير مبتسم
إن تطلب العيش إن ولى الصبا فلمن ؟
أو تنكر الهم إن فات الهوى فلم ؟

وقوله .

وأكثر هم المرء من أهل وده
ألم تر أن الخمر مظهرة السر ؟ !

وقوله :

يقولون إن الصبر صفقة رابح
فقلت ولكنى خسرت بها العمر !

وقد نسب إليه صاحب النجوم الزاهرة هذان البيتان :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل
واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وذكر ابن خلكان أنه كان يتمثل بهما وليسا له ، وأنا أرجح رأى ابن خلكان فإن البيتين أعلى طبقة من شعره .

وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره فى أنواع كثيرة ، ولكن ذلك لا يدل على أن الشعر جيد .

وله مدحة طويلة فى شاور الوزير الفاطمى وكان شاور قد طرد الصليبيين من بلبيس إبان وزارته الثانية .

وفى كتب المختارات بعض قصائده ، ولكنها أيضا لا تصلح للاختيار ، كهذه القصيدة التى اختارها أصحاب المنتخب والتى مطلعها (قضى نحبه الصوم بعد المطال) .

وأحسن ما فيها فخره بنفسه فى قوله :

ولست لسانا لذل السؤا
ل وما زلت صدرا لعز السؤال
حديث يناجى فروع السحا
ب وأصل يناجى أصول الجبال

عمره فى وعرة البعوض :

سبقت الإشارة إلى مكانة الفاضل فى دولة صلاح الدين ، وإذا كان هذا السلطان قد وحد البلاد ، وطرد الصليبيين ، ودانت له مصر والشام واليمن وغيرها ، فإن القاضى

الفاضل يزاحم فى هذا الفضل بمنكب ضخم ، فكل ما تم على يد صلاح الدين ،من الشئون الداخلية والخارجية كان برأى وزيره الفاضل ، وقد اعترف صلاح الدين نفسه بهذه الحقيقة فكان يقول - كما روى صاحب النجوم الزاهرة : « لا تظنوا أنى ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » وردد أحد الشعراء وهو ابن الذروى هذا المعنى ، فقال فى مدحه :

لرأيك هذا النصر للدين ينتمى
فلا ينتحله كل عضب ولهذم
وإن كان فيه للأسنة والظبى
مساعدة فالفضل للمتقدم

وكان صلاح الدين إذا هم بغزاة بدأ بزيارة الفاضل يستضىء برأيه فيما يريد فعله، وكان - كما يقول أبو شامة فى الروضتين - لا يأتى أمرا إلا من بابه .

وأكثر الشعراء من مدح الفاضل بهذا المعنى ، ومن ذلك ما تردد فى شعر العماد من أن قلم الفاضل يقوم مقام الكتائب .

والذى يطالع رسائل الفاضل ، وهى كثيرة لو جمعت لكانت مائة مجلد ، تبدو له هذه الحقيقة واضحة ، فقد كان يرسم الخطة للقتال فى بعض المعارك . وكان يرسل الكتب للأقاليم تدعو إلى توحيد الصفوف،ومواجهة الأعداء بقلب متحد ، ويرسلها إلى دار الخلافة يؤكد بها عمل صلاح الدين على لم الشعث ، وتجميع المتفرق ، وقد كان صاحب الموصل نازع فى بعض الولايات ووسط بينه وبين الفرنج جماعة من المارقين، فكتب الفاضل عدة كتب يتأسف على الأوقات التى تضيع فى جهات صاحب الموصل، وأولى بها أن تصرف فى محاربة العدو : وقد علم الله أنا لهدنتهم كارهون ، وفى مصلحة أهل الإسلام وفى مصالحهم راغبون . ولكننا بلينا بقوم كالفراش وأخف عقولا وكالأنعام أو أضل سبيلا ، إن بنى معهم فعلى غير أساس ، وإن عدد الغدر منهم فهو أكثر من الأنفاس .

قلت : والتاريخ يعيد نفسه ،وما أقرب بغداد وعمان من الموصل .

وقد أعلن القاضى فى هذه الأزمة موقف صلاح الدين،فقال : وما يريد إلا من تكون عليه يد الله وهى الجماعة ، ولا يؤثر إلا ما يتقرب به إليه وهو الطاعة .

ويمتنع صاحب اليمن عن دفع مال المجاهدين فيكتب إليه الفاضل كتابا يبين له فيه مدى الضرر الذى يلحق بالمجاهدين من احتجاز الأخوال عنهم ، ويقول له : أنت مؤتمن على مال الله فأده إلى من يجاهد به أعداء الله ، ويقيم به كلمة الله ، وينصب وجهه بين الهجير والزمهرير عاما فى إثر عام .

ويكتب إلى بغداد عن السلطان بعد فتح حلب ، فيكون أهم ما يعنيه أن ينص على

وحدة الأمة، فيقول: (والأمة بمجموعة الشمل بإمامته جمع السلامة لا جمع التكسير) . وكل ذلك يدلنا على مدى شعور هذا الوزير الخطير بخطر الوحدة ، وما لها من أثر فى جمع الكلمة ، وطرد الأعداء .

ويتخذ من يوم إعادة الخطبة للخليفة العباسى عيدا ، يترنم فيه بكلمة الوحدة ، ويكون أقوى ما يسب به الدولة الزائلة وأنصارها إنهم (تقطعوا أمرهم بينهم شيعا . وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعا) .

ويتجلى شعور الفاضل بالوحدة، وخطورتها حين يكتب إلى الملك الظاهر معزيا فى أبيه صلاح الدين فيقول فى آخر الكتاب : (وأما الوصايا فما يحتاج إليها ، والآراء فقد شغلنى المصاب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم . والسلام) .

ولكن وقع ما كان يخشاه الفاضل واختلف أبناء صلاح الدين فيما بينهم على تملك البلاد وكان ذلك نذيراً بتشتت الشمل ، وتفريق الكلمة ، فنهض الفاضل لير أب الصدع ، ويحول دون الكارثة ، ولكنه لم يفلح ، فلزم بيته واعتزل الناس .

وللفاضل شعر فى مدح صلاح الدين أكثره كان تهنئة بالفتوحات التى تمت على يده ولكنه لا يبلغ درجة نثره ، ومن ذلك قوله فى وصف أسياف صلاح الدين .

ماضيات على الدوام دوامى
هى فى النصر نجدة الإسلام
فى يمين السلطان إن جردتها
أشبهتها صواعق فى غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشبه
هذى السيوف بالأقلام
فى محاريب حربه البيض صلت
وركوع الظبى سجود الهام

وجماع الأمر أن هذا الوزير الخطير ، والأديب الكبير ، قد خدم الوحدة أجل الخدمات ، برأيه الثاقب ، وأدبه البارع ، وتمكنه من الدولة الصلاحية ، وبجمعه حوله الشعراء الذين تغنوا بأناشيد الوحدة ، وأشادوا بفتوحات صلاح الدين ، وكانوا من أقوى العوامل فى تحميس الجيوش لاسترداد البلاد التى استولى عليها الفرنج .

وقد كتب العماد فصلا رائعا يذكر فيه وفاة القاضى الفاضل ، وضمنه عظم الرزية فيه : وذكر جلائل أعماله ، وإن كتابته كانت كتائب النصر ، وبلاغته كانت ميزة العصر الصلاحى ، وقد أشار إلى إقالته عثرات الكرام وأن الكرام كانوا فى ظله يقيلون ، ومن عثرات النوائب بفضله يستقيلون

رحمه الله رحمة واسعة . ؟

على العمارى

كيف نُصلح النّحو العربى؟

للأستاذ عبد الله درويش

يكاد يكون هناك اتفاق على أن قواعد النحو فى كتبه الموسوعة التى بين أيدينا ، وبأسلوب علمائها الذى كتبوه منذ قرون تقرب منا أو تتباعد فى حاجة إلى تعديل ما وليس هذا يعنى أبداً تغييراً فى اللغة نفسها أو تعديلا فى نصوصها . . والكل متفق على ذلك . ولكننا نحاول أن نبعد الشبهة التى قد يفهمها البعض من أن تعديل النحو بوضع ما سيؤثر على اللغة العربية نفسها التى هى لغة القرآن والحديث والدين الإسلامى ، ولغة القومية العربية ويحاول أن يؤثر على عواطفنا بإدخال ما ليس من البحث فيه . .

والذى استرعى نظرى أننى لم أجد بيئة معينة من البيئات العلمية اختصت بشىء واحد معين من إصلاح النحو . .

فى الأزهر الشريف أكثر من رأى ، وفى داخل كلية دار العلوم أكثر من رأى ، وفى المجمع اللغوى أكثر من رأى ، وفى وزارة التربية والتعليم أكثر من رأى .

وليس تعدد الآراء فى المكان الواحد أو الأمكنة المتعددة يعنى التضارب دائما . وسوف تدهشون عندما أعرض عليكم بعض الآراء التى تعد جزئية فى الموضوع وهى لعلماء أجلاء ، قد يشاء البعض من الذين يريدون أن يبقوا النحو كما هو أن يسميهم بالمحافظين .

وبعض هؤلاء العلماء الأجلاء تناول جانبا واحداً من المسألة وبعضهم تناول الأسس العامة لهذه المسائل . .

وأول محاولة جزئية كانت لابن مضاء فى هجومه على نظرية العامل ، ولكنه استبدل العامل ـ وهو الفعل أو شبهه بعامل آخر وهو الله سبحانه وتعالى ولعله كان متأثراً بمذهبه فى التوحيد وهو مذهب أهل الظاهر . . لدرجة أنه رمى من يقدرون عوامل محذوفة فى القرآن ، بالكفر ؛ لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه . .

أولا : أما صاحب إحياء النحو وهو الأستاذ ابراهيم مصطفى فقد نظر لنظرية العامل من زاوية أخرى فألغاه ولم يحل محله شيئا . كما استعار اصطلاح أصحاب المعانى ـ المسند والمسند إليه للمبتدأ والخبر والفاعل ونائبه . .

وكذلك تأثر باللغة الانجليزية والفرنسية فسمى المفاعيل والحال والتمييز مكملات . . وهى ما يسميها النحويون ـ الفضلة وقد طالب صاحب إحياء النحو بألا يقتصر الكلام على الإعراب بمعنى حركة أواخر الكلمات ، بل يتسع فيشمل ـ إلى جانب هذا دراسة تأليف العبارة والتقديم والتأخير ، وجمع أساليب الكلام المتشابهة كالاستفهام والنفى والتأكيد لأن النحو عنده « هو قانون تأليف الكلام وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة . والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدى معناها » .

كما طالب باستبعاد الفلسفة الكلامية التى تطفلت على هذه الدراسة . والتى ساعد على توغلها ناس تأثروا بها وأعجبوا بأساليبها . .

وكانت المقومات الأساسية لمنهج الأستاذ ابراهيم مصطفى فى كتاب إحياء النحو هى :ـ

١ ـ ليس الإعراب حكما لفظيا خالصا ، يتبع لفظ العامل وأثره ، بل هو إشارة إلى معنى وإلقاء ظل على صورته . .

٢ ـ الحركات أعلام لمعان ، فالضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة ليست علما على شىء بل للتخفيف .

٣ ـ ليس هناك علامات أصلية وعلامات فرعية . بل الكل واحد .

٤ ـ التنوين علامة التنكير .

٥ ـ التوابع تابعان فقط . النعت والبدل . فيدخل فى النعت الخبر ، ويدخل فى البدل التوكيد وعطف البيان . أما عطف النسق فليس من التوابع لأن المعطوف يشارك المعطوف عليه .

وقد أدى التشابه فى نظرية العامل بين إحياء النحو والرد على النحاة إلى القول بأن الأول مأخوذ عن الثانى .

وقد قال الأستاذ على النجدى فى ذلك بالحرف الواحد .

« ليس « فى إحياء النحو » ما يدل على أن مؤلفه رجع فيه إلى « الرد على النحاة » وإن كان لينحو منحاه ويستهديه فى بعض المباحث وقد رد العلامة الأستاذ محمد عرفه على إحياء النحو ، وكان من أهم ما قال : إن أغلب ما ورد فى إحياء النحو موجود فى حواشى الكتب النحوية الكبيرة . .

ولكن الأستاذ ابراهيم مصطفى كان حريصا فى بعض الأحيان فذكر أن هذه المسألة من كتاب أو تلك موجود نظيرها فى كتاب كذا من الكتب القديمة ، مما يعده النحويون رأيا مرجوحا أحيانا . .

والباحث المدقق يرى رغم التشابه منهجين مختلفين تمام الاختلاف عند ابن مضاء وعند صاحب إحياء النحو .

وقد رُد عليه العلامة الأستاذ محمد عرفه ـ النحو والنحاة ـ بين الجامعة والأزهر .

ثانياً : الأستاذ أمين الخولى فى بحث ألقاه فى مؤتمر المستشرقين بعنوان (الاجتهاد فى النحو العربى) واقترح فيه .

(ا) إعادة النظر فى جمع الثروة اللغوية ؛ لأن جمع القدماء إياها بالرغم مما بذلوه من جهود كان غير مستكمل كما صرح به القدماء أنفسهم .

(ب) الاستفادة من علم اللغة العام ومن فروعه الخاصة . بحيث يضع الدارس دراسته اللغوية على درجة السلم التى تقف فيها الحياة اليوم .

(ج) التخلى عن التعليلات النحوية ، والتخلى عن الصيغ التلقينية فى الإعراب (الكلاشيهات) كقولنا : « النون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد ، وهذا لا ينصرف لعلتين هما ... » .

ولكن الأستاذ الخولى فى محاولة أخرى . طالب بتصحيح بعض اللهجات العامية وإدخالها ضمن الفصحى ، وقد اعتمد فى ذلك على بعض الآراء اللغوية التى تقول كل اللغات حجة . فمثلا هو يرى أن بعض العرب تعرب الأسماء الخمسة بالألف وإنما فلنلتزم هذا وكذلك المثنى والجمع نلتزم فيهما الياء وباقى الكلمات يسكن آخرها .

ولكن هذا يتناول اللغة نفسها لا النحو وقد سبق أن قررنا أن النحو هو الجانب التحليلى للغة العربية ـ التى تتمثل فى القرآن الحديث ومأثور كلام العرب .

ثالثا : محاولة ثالثة ظهرت فى كتاب النحو الجديد .

فقد ذكر المؤلف الفاضل فى آخر كتابه نموذجا موجزا قسم فيه الفعل إلى قياسى وسماعى . وأغفل تقسيم الكلم إلى معرب ومبنى ، وجعل المبتدأ ثلاثة أنواع . مرفوع دائما منصوب دائما مبتدأ يرفع وينصب . وهكذا سار على هذا النحو . جعل بعض المصطلحات عامة وألغى البعض الآخر . وكان ذلك فى ٢٨ صفحة من صفحات الكتاب .

وصاحبه هو العلامة الاستاذ عبد المتعال الصعيدى . وكما قال زميله فى « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » . قال الأستاذ الصعيدى : إن إخوانه الأزهريين يسرهم أن واحدا منهم وصل إلى هذا التجديد فى النحو قبل أن يصل إليه غيرهم .

رابعا : محاولة استطرادية فى كتاب « سيبويه إمام النحاة » هو للأستاذ على النجدى جاء فيها ... والآن مالى لا أنكر من النحو شيئا كأنى عنه راض ، وإليه مطمئن . والواقع أنى عند رأيى الذى قلت آنفا فى

شوائب النحو . لا أنكرها ولا أضيق بها وإنما أنكر الإسراف فيها والافتتان بها ، كما تتمثل فى أسفار القرون الأخيرة ، قرون التزيد والتكرار فانهمت المسائل واضطرب النظام ، وغمت المعالم والأصول .

فالذى علينا أن نصنع له أمران :

الأول : أن نرجع النظر فيه من جديد لا على أنه فاسد مختل ، يستحق الهـــدم ، ولكن على أنه صاخ مشوب ، يغشاه غبار الزمن ، يختلط فيه الجوهر بالصدف ، والنافق بالزيف ـ حاجته أولا وآخرا أن ينفض عنه الغبار وتنفى عنه الشوائب ، ويعرض عرضا جديدا .

نرجع النظر فى أبوابه فنقدم منها ونؤخر ونضيف إليها ونحذف ، على نور من المنطق وتساوق النسق ، ونرجع النظر فى مسائله فنلغى الشروط المنقوصة ونوحد الأساليب المكررة ، ونطلق الأصول المقيدة عند الحاجة المقتضية . وفى الحدود المرسومة . وعلى هدى من أقوال الأئمة .

ثم استطرد :. ونرجع النظر فى شواهده فنمحصها ونحقق رواياتها ونعززها أو نتبدل بها غيرها أو نحذف منها ما نراه حقيقا بالحذف كشواهد اللهجات البائدة ، والزوائد اللاحقة .

ونرجع النظر فى علله لا نبقى منها إلا ما يتصل بالمعنى ويتفق مع طبيعة البيان الرفيع ، إلى أن قال ص ٤٢ :

فإذا خلصت الحالة واستقامت على ما نريد رجعنا إليها نسلكها فى نظام التأليف الحديث ونجلوها فى معرض من لغته العتيدة عسى أن يكون بذلك سفر العصر فى مكتبة النحو ، يدعوه فيلبى الدعوة فى غير إعنات ولا إضاعة وقت . ونخلفه لمن بعدنا كما خلف لنا من قبلنا .

وهذا هو رأى الأستاذ على النجدى فى كتاب سيبويه إمام النحاة ولكنه عقب فقال هذا وغيره يكلف الجهد والمال .

أما الجهد فمن الممكن توفره .. وأما المال فعليه عند أصحاب أمره والقادرين على تدبيره .

خامسا : رأى للأستاذ عباس حسن (عالم جليل آخر معاصر) فقد نشر عدة بحوث فى مجلة « رسالة الإسلام » بعنوان :

« صريح الرأى فى النحو العربى ـ داؤه ودواؤه » وقد نعى الباحث الجليل على النحاة تعدد الآراء النحوية فى المسألة الواحدة . واختلاف الأحكام فيها لدرجة أن من يسمع رأيا فى مسألة ما يمكنه أن يقول وهو آمن : إن هناك رأيا آخر يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع الى أن قال : فلم تتفق أحكامهم على شىء من كليات النحو أو جزئياته فقد تصل فى بعضها الآراء إلى عشرة أو تزيد .

ومرد هذا التشعب فى الآراء إلى أشياء منها كما يقول « ٤ /٣٨٩ » : إنهم عند جمع اللغة لم يتبعوا منهجا سليما ، فهم قد غفلوا أكثر القبائل وأهملوا الأخذ عنها مع مالها من تراث لغوى فياض . فهم قصروا القبائل الفصيحة على ست . وبديه أن لغات القبائل الست ولهجاتهم لا تحوى جميع اللهجات فى باقى القبائل الكثيرة . فذلك ينافى طبيعة اللغة . ومن هنا ندت كلمات أصيلة وأساليب كثيرة صحيحة عما جمعه اللغويون .

ثم استطرد يقول :

إما أن نضع نحواً خاصا لكل قبيلة ، ولكننا إذا استعملنا واحداً من هذه الأنحاء تفككت الروابط بين العالم العربى .

وإما أن نضع نحواً موحداً للقبائل كلها . لا يحوى لهجاتها مجتمعة . ولا يضم فى ثناياه خصائص كل لغة منها . وإنما يكون أساسه من لغة واحدة ممتازة يعترف الجميع لها بالسمو وليست لغة قريش هى المعينة .

وإنما عنى لغة القرآن الكريم التى لا تنتسب لقبيلة واحدة بعينها ثم الحديث ثم ما اشتهر من كلام العرب فنطلق بعض القيود مثلا لا نشترط فى المبتدأ حين يقع أول الجملة ألا يكون نكرة . وهذا يؤذن بوقوعه نكرة ومعرفة وكذلك الحال لا نذكر أنه يمتنع مجيئها من المصدر ، وهكذا ثم تعرض لأصالة الكلام العربى بعد ذكر الخلاف وانتهى إلى الموافقة فى تحديد عصر الاحتجاج بما قرره المجمع .

إن العرب الذين يوثق بعربيتهم . ويستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى ، وأهل البدو إلى نهاية القرن الرابع .

ثم انتقل إلى مشكلة القياسى والسماعى ذاكراً عدم تحديد اللغويين لمصطلحات المطرد الشاذ القليل الكثير الشائع ٣ / ٢٨٤ ، من مخالفاته للقدماء قوله :

فأما النوع المطرد قياسا لا استعمالا فنذهب فيه مذهب أشباهه ونرده إليها ، سواء أكان العرب قد سبقونا للرد أم لم يسبقوا فنقول : أبقلت الأرض فهى مبقل ، وودعته ووذرته من يدع ويذر . كما أنه صحح المطرد فى الاستعمال دون القياس ، فيقيس عليه ما لم تنطق به العرب فنقول : استبيع واستصوب كما هو جار على ألسنة الناس فى مصر ثم تناول مشكلة العامل وخلص منها إلى قوله :

لا يعنينا من العامل أن يكون هو المتكلم أو المعنوى أو اللفظ ظاهراً أو مقدراً أو محذوفا فذلك أمر سطحى شكلى بحت .

ولكن للسهولة على المتكلم والقارئ نميل إلى اختيار العامل المعنوى واللفظى ونكتفى بهذا دون الخوض فى التأويل الذى يستتبع الخوف أو التقدير فمثلا :

« لمية موحشا طلل » .

وقوله تعالى « وأن هذا صراطى مستقيما » .

فموحشا ومستقيما كل منهما حال منصوب بالمبتدأ على رأى سيبويه ولا داعى للتقدير كما هو رأى الجمهور .

وكما فى قوله تعالى «وكانوا فيه من الزاهدين . إنى لكما لمن الناصحين» لاداعى لتقدير محذوف فلا نتأول .

ومثل : «إذا السماء انشقت» . فهو يقول النحويون يحرمون أن يكون المرفوع فاعلا مقدما أو مبتدأ فلا ينبغى أن تتأول «محمد هند مكرمها» خطأ عند البصريين إلى أن يقول لعل فيما أوردناه من الأمثلة ما ينهض دليلا على أن العامل قد تجاوز حدود اختصاصه حين أخرجه النحاة من دائرته المحمودة إلى التحكم فى الألفاظ والتراكيب مما يدعو إلى الدهش بل السخط ، مما أساء إلى اللغة وجعلها عسيرة على المتعلمين والراغبين فيها والناطقين بها ، فيجب أن نتخلص من كل هذه الفكر السقيمة التى أوحت إلى بعض أصحابها قديما أن يقولوا : لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الخبير .

مشكلة التعليل :

ناقش الأستاذ الجليل النحاة الأقدمين فيما ذكروه فى العلل الثوانى والثوالث .

فمثلا يقولون : لم نبحث هذه الكلمة ؟ ولم بنيت على حركة ؟ ولم كانت هذه الحركة فتحة مثلا ؟ ولم كان الاسم ممنوعا من الصرف ؟ ولم ولم ... الخ .

واستشهد بأمثلة كثيرة تخالف تعليلات النحويين فى تركيب نعم وبئس ثم ذكر ما يترتب على تعليلات النحويين من فهم إجماع القراء السبعة على مرجوح فى آية : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» .

إلى أن قال :

وكل التعليلات تنطق بأوضح بيان بما أصاب اللغة والنحو من إساءات بالغة بسبب إخضاعها للعلل والتعليلات واستبداد هذه بتلك . . ومن تعليلات أوسعت الخلاف وعددت الآراء تعديداً ليس مصدره لهجات العرب ولكن مصدره المجادلات والمماحكات اللفظية . وينبغى أن نستعرض التعليلات فى مواطنها ونبحثها فى تؤدة ونصفة . ونقضى قضاء مبرما على ما لا خير فيه وما أكثره - غير مترددين ولاهيابين . بهذا وذاك مما أشرنا إليه نطهر النحو من عيب أى عيب ونصفيه من أدناس وأوشاب طغت عليه وأساءت إليه وإلى المشتغلين به والراغبين فيه .

سادساً : ولنغادر القاهرة لندخل إلى دمشق وبغداد .

١ - فى دمشق : كتب الأستاذ سعيد الأفغانى كتاب : «فى أصول النحو» تناول فيه أربع مسائل هى :

الاحتجاج . القياس . الاشتقاق . الخلاف بين الكوفة والبصرة فهو يرى أن عصر الاحتجاج كما صورته الكتب القديمة فى الانتهاء به عند ابراهيم بن هرمة غير صواب .

وأخذ على جامعى اللغة ما يأتى :

(ا) لم يصدروا فى تنسيق شواهدهم عن خطة محكمة شاملة . فهم خلطوا بين لهجات القبائل ولم يميزوها ..

(ب) لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ولم يوثقوهم كما فعل رجال الحديث .

(ج) لم يحققوا من النصوص . ومن هنا تعددت الروايات فى الشاهد الواحد .

تناول فى القياس مسائل المولد والمحدث والدخيل والأصيل وانتهى إلى أن قرار المجمع اللغوى فى مصر بهذا الخصوص يعد مبتورا إذا لم تقم طائفة من العلماء بتطبيق نظرياته ..

أما الاشتقاق فانتهى إلى التوسيع فيه حيث وردت من المادة صيغة أو صيغتان . وعلى هذا فتأميم وتصنيع صواب وقد ذكر مادة ش ق ق كنموذج واستعرض أوزانها .

أما مدرستا الكوفة والبصرة فانتهى إلى تقاربهما تقاربا كبيراً استمع إليه يقول :

ولا تظن أن ما مر بك من مشاحنات بينهم كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض وحسبك أن تعلم أن الفراء - كوفى مات وتحت رأسه كتاب سيبويه .

٢ - أما فى بغداد :

فهذا هو الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع اللغوى العراقى يعرض لمسائل جزئية من صميم النحو ليحلها على ضوء الاستقراء الذى قام به هو فى كتب اللغة مثلا .

النسب إلى فعيلة مثل طبيعة غريزة ، وفعيلة مثل جهينة .

النسب للجمع دُوَلى - دولى - عمالى .

فهو يأخذ برأى ابن قتيبة أن الياء تحذف عند الشهرة والعلمية مثل مدنى حنفى . أما سليقى طبيعى غريزى فليست أعلاما وقد استعمل الجاحظ وأبو حيان كلمة الكرم الغريزى أما الجمع فهو يقول : إن المعنى يختلف بين صحفى وصحفى وبين عملى وعمالى إلخ مثلى الجواليقى .

كذلك ذكر تطور معانى الكلمات من عصر إلى عصر . وذكر أيضا أوزان المطاوعة وقال : إنه لا يتوقف معنى المزيد على المجرد وغير ذلك من المسائل الاستقرائية المهمة .

سابعاً : رجال التربية والتعليم .

وهؤلاء لهم غرض تربوى خاص . وهو تيسير قواعد النحو ، بحيث تناسب مدارك التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة . فلا يصح أن نلزمهم والحالة هذه ، بذكر الخلافات والشواهد والتعليلات ، لأن ذلك لا يدخل فى منهجهم وقد بدأ التيسير بصورة جدية ممثلا فى مؤلفات حفنى ناصف ، ثم على الجارم ،

ثم فى لجنه تيسير النحو ، ثم الكتب المقررة التى وضعها المدرسون ومفتشو اللغة العربية . ثم كتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . الذى ألفه للمدرسين . وآخرها النحو المنهجى والنحو الإعدادى للأستاذ محمد برانق وزملائه . ويتميز هذا المؤلف الأخير بالتعديل فى بعض القواعد المتوارثة . وفى إدماج بعض المصطلحات فى البعض الآخر .

وإذا أدخلنا فى الاعتبار أن رجال وزارة التربية والتعليم لهم هدف تربوى خاص أمكننا أن نتركهم لييسروا النحو حسب مراحل التعليم المختلفة ولكن دون إفراط فى تعديل المصطلحات إلا بعد أن يبحث ذلك المختصون أو يقوموا هم ببحثه كمختصين . فهم يحمدون على مجهودهم فى الوصول إلى هدفهم . أما المادة العلمية التى فى «النحو المنهجى . أو الإعدادى» فنخالفهم فيها بعض الشىء . ولنا معها مجال آخر .

ثامناً وأخيراً : محاولات المجمع اللغوى .

فقد أصدر المجمع الموقر بعض قرارات فى سبيل تعديل بعض القواعد النحوية . ولكنها جميعا أخذت طابع التيسير الذى يخدم الغرض التربوى . وبعض البحوث القليلة العدد ، العظيمة القيمة كتبها أصحابها ونشرتها مجلة المجمع ، ولكنها ظلت كرأى فردى لم يكتسب صيغة القرار . وكنا نأمل أن يأخذ المجمع الموقر على عاتقه وضع الأسس والمبادئ لإصلاح النحو على مختلف أوضاعه ، ويقدم نموذجا لذلك . كما فعل المجمع مشكورا فى « المعجم الكبير » .

كلمة صريحة :

إلى أين تصل بنا هذه المحاولات ؟ إن هدفها هو الإصلاح ولا شك ، ولكن ما موقف دار العلوم ، والأزهر ، والمجمع اللغوى ؟ . إنها وما يشبهها هى التى يجب أن تأخذ على عاتقها « النحو التحليلى » .

وما من شك فى أنه قد جدت مذاهب فى البحث اللغوى يعرفها أكثر من فرد فى أكثر من هيئة . ومن الممكن تطبيق بعضها فى النحو العربى ، فإذا لم تسعف النواحى الرسمية ، فلا أقل من أن يتكتل هؤلاء الأفراد ليتعاونوا على وضع منهج يصلح لتعديل ما اتفقوا عليه مما هو فى حاجة إلى تعديل ، ولماذا لا نرى إحدى المحاولات الجزئية التى تطبق منهجا معينا على باب من أبواب النحو ، أو بعض مسائل متشابهة متفرقة فى أبواب مختلفة .

وعلى سبيل المثال أذكر هناك نظرية المنهج الوصفى أو نظرية « النحو القالبى » Formal Grammar . وقد ترجمها زميلنا الدكتور

(بقية المقال فى ذيل الصفحة التالية)

أزهرى فى روسيا

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

مصرى مغامر وأزهرى جرىء خرج على الطريقة الأزهرية القديمة ومهد لتدريس الأدب والشعر فيه ، ثم ترك التدريس ، وغادر وطنه مرتحلا إلى بلاد لم يكن الوصول إليها سهلا ولا مبلغ علمنا عنها إلا قليلا ، وهناك قضى بقية حياته يجاهد فى سبيل نشر لغته وآدابها ، حتى أدركه الموت ودفن هناك فى مقابر المسلمين .

ذلكم هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى ولد فى إحدى قرى مديرية الغربية ونسب إلى عاصمتها (طنطا) ويقال إنه ولد حوالى سنة ١٨١٠ م كما أن نشأته غير معلومة تماما .

ولما شب عن الطوق التحق بالأزهر وحضر على الشيخ حسن العطار الذى كانت له نزعات أدبية لم يألفها جل علماء الأزهر مما جعل كثيراً منهم يتعصبون عليه .

ولما أتم الشيخ الطنطاوى دراسته فى الأزهر وتصدى للتدريس فيه حذا حذو

(بقية مقال كيف نصلح النحو العربى)

أيوب بالنحو الشكلى . ولكن كلمة « الشكلى » من معانيها ما يقابل الجوهر وكلمة « From » المنسوب إليها هذا اللون قد تكون التكوين أو الشكل أو القالب . فهذه النظرية يمكن أن تحل لنا كثيراً من المشاكل المعقدة . إذ أنها تنفى عن النحو « الشوائب والعلل والفلسفة » وغيرها مما شخصه الباحثون كأدواء للنحو .

وقد ترتب على هذه النظرية أن نقول بأن المضارع مبنى مع نون التوكيد فى حالة المفرد والجمع كذلك وأن أواصل فى الصرف وزنها أفاعل لا فواعل . وأن جوار وغواش فى حالتى الجر والرفع مثل قاض . وأما فى حالة النصب فقط فهى ممنوعة من الصرف . وأن قضايا وزنها فعالى كما قال الكوفيون . انظر نقد النحو للدكتور أيوب ، ودراسات فى علم الصرف لكاتب هذا المقال : أما التفصيلات عن هذه النظرية وأضرابها فله مجال آخر .

وبعد : لعلنا بذلك نكون قد ألقينا ضوءا على المشكلة ونرجو أن تمكننا الظروف من الإسهام فى حلها أو حل بعضها حلا إيجابيا . ؟

الدكتور عبد الله درويش

العطار ، فأخـــذ يدرس لطلابه مقامات الحريرى وديوان الحماسة لأبى تمام ويشرح لهم غريب الألفاظ ويبصرهم بمواطن الجمال والقبح فيها .

ولما كان الشيخ الطنطاوى عربى الثقافة لم يعرف شيئا عن التيارات الأدبية الجديدة التى وفدت على مصر مع أعضاء البعثات الأزهرية العائدين من الخارج فى ذلك الحين، فقد كان معتدلا فى نزعته ولذلك لم يلق المعارضة الشديدة التى قوبل بها هؤلاء ، ولكن قاومه بعضهم فاضطر إلى ترك الأزهر إلى التدريس فى المدارس الأجنبية ، فاشتغل بالتدريس فى مدرسة (الإرسالية البروتستنية) بالقاهرة سنة ١٨٣٥ ، وهناك تعرف الشيخ على كثير من المستشرقين الأوربيين الوافدين على مصر أمثال الدكتور (فراهن) الألمانى الذى كان أبوه مدرسا للشرقيات فى كلية قازان . والدكتور (برون) الفرنسى الذى كان يقوم بتدريس الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية وكان يجيد العربية كتابة وقراءة وحديثاً . والأستاذ (فلمانس فرنيل) الفرنسى الذى ترجم لامية العرب للشنفرى إلى الفرنسية . و (جوستاف ويل) الذى كان مدرسا لتاريخ المشرقيات فى كلية هيدلبرج .

ولفصاحة الشيخ ولباقته وارتقاء ذوقه أصبح أثيراً عند كل من اتصل بهم .

* * *

ولما كانت روسيا قد أنشأت فرعا للغات الشرقية وبدأ اهتمامها بهذه اللغات يظهر شيئا فشيئا حتى إنه حوالى سنة ١٨٣٦ خصص قسم كبير منظم فى جامعة بتروغراد لتدريس اللغة العربية بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالصينية والمغولية والتركية والفارسية ، وذلك بفضل وزير المعارف فى ذلك الوقت (م . بوشكين) وقد رأى هذا القسم إتماما للفائدة ، ولتكون دراسة اللغات الشرقية متمشية مع دراسة تاريخ أقطارها ، أنه يجب الاستعانه بأساتذة من الشرق نفسه فهم خير من يقوم بتعليم اللغات الشرقية للطلاب الراغبين من الروسيين وغيرهم من الأوربيين.

لهذا كلفت روسيا قنصلها فى القاهرة ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة ، فاتصل بالشيخ وعرض عليه الفكرة وطلب منه الموافقة ولكن الشيخ تردد فى أول الأمر . غير أن إلحاح القنصل وسخاء عرضه جعل الشيخ طنطاوى يوافق على السفر . وفى حوالى سنة ١٨٤٠ غادر الشيخ وطنه ليحتل مقعداً بين أساتذة اللغات الشرقية فى بطسبرج . وهناك قوبل

بالترحاب والتعظيم ورتب له مرتب سخى ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة الكبرى وبديوان الخارجية فى بطرسبرج .

قضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدا فى تدريس اللغة العربية ، ثم عين بعد ذلك فى سنة ١٩٤٧ تقريبا مدرسا أولا لمادة اللغة العربية فى كلية بطرسبرج وعين المستشرق الروسى (نفروتسكى) مساعدا له .

وقد تخرج على الشيخ محمد عياد الطنطاوى عدد غير قليل من المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الفنلاندى الأصل (فالن) الذى أسهم بنصيب كبير فى الأدب العربى هو وغيره ممن تعلموا فى جامعة بطرسبرج على يد الشيخ .

ومما يذكر أن المستشرق فالن قدم إلى بلاد العرب سائحا فاتخذ اسم عبد الولى وتبودلت بينه وبين أستاذه عدة رسائل جمعها (فالن) وطبعها مترجمة إلى اللغة الإسوجية كما أن هناك مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة جامعة هلسنجفور عاصمة فنلندا .

ولقد ظل الشيخ يقوم بعمله خير قيام حتى وافته المنية سنة ١٨٦١ تقريبا .

* * *

ويعد الشيخ محمد عياد الطنطاوى من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر للطريقة التى أنتهجها فى التدريس بالأزهر إذ اتجه إلى دروس الشعر والأدب واللغة .

وقد عده بعضهم من النحويين لأنه ترك بعض الكتب المخطوطة فى اللغة العربية مثل كتاب (حاشية على متن الزنجانى) فى الصرف وكتاب (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) فى النحو وكتاب (حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى) .

أما فى الأدب فلم يترك شيئا على الرغم من أنه شرح لطلابه فى الأزهر كما ذكرنا مقامات الحريرى وديوان الحماسة كما ترك رسالة إلى صديقه رفاعة الطهطاوى . يذكر فيها إعجابه بحياة الأوربيين وطرق معيشتهم وحسن ترتيبهم وتربيتهم وجمال ريفهم بما فيه من أنهار وبساتين .

والزائر لمقابر المسلمين فى مدينة لينجراد يشاهد قبرا قائما رشاهدا على عربية وجلد وبأس شديد ، فى بلاد العجمة والجلاد والجليد) .

عبد الموجود عبد الحافظ

(أسيوط)

الدين فى عصر الحضارة الصناعية

للأستاذ محمد فتحى عثمان

لم تكن الحضارة الصناعية كلها شرا على الدين والروح كما يظن البعض . . . لقد حملت الحضارة الصناعية فى طياتها هذه المزايا بغير جدال ! .

تقدم المناهج العلمية فى البحث النظرى والتجريبى .

رقى وسائل النشر والإعلام . من طباعة وصحافه وإذاعة . إلخ .

نهوض سبل المواصلات وتهيئتها الفرصة لتحقيق الوحدة العالمية ورفع الحواجز المادية والمعنوية التى تعزل الأمم عن بعضها .

كثرة الخدمات الآلية ، التى توفر للإنسان جهده ووقته للمتعة النفسية والذهنية .

تقرير مبدأ التخصص وتقسيم العمل . الذى أعان على الإتقان والتجويد بأقل التكاليف والجهود .

ونتيجة هذا كله . يتوفر وقت فراغ للإنسان يتيح له الراحة كما يمنحه فرصة تنمية طاقته وشحنه قواه وإن كان قد تخلف عن الحضارة الصناعية تزايد فى حساسية الإنسان للقلق .

وينبغى أن ينتفع الدين من هذا كله فى تقديم نفسه للناس ، مستفيدا من مناهج العلم ووسائل النشر وسبل المواصلات ، مستغلا فرص الفراغ وأزمات القلق ، ولم يتحقق هذا فى أول الأمر ، ووقف فى طريق الدين رد الفعل المباشر الذى حدث فى بداية عصر النهضة ...

وظن أناس أن العلم قد حمل معه الكفر . وأن المعابد لا بد أن تفسح مكانها للمعامل والمصانع ... وأنه لم يعد مجال فى حضارة الآلة للأنقياء والقديسين ! ! واستفادت من تمهيد طرائق البحث والنشر والاتصال صرخات الإباحة والتحلل ، والإلحاد والعربدة ... لكن جاء الدمار الذى أحدثته الحروب قاضيا على كل ثقة فى الآلة العجيبة وحضارتها الهائلة .

* * *

« ويبدو أن بعض العلماء الاجتماعيين قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما : الانحلال أو التقهقر ، وظهور الفروق بين الوظائف التى كانت مختلطة فى أول الأمر فظهور الفروق هو بحق قانون التطور الدينى ، ومع ذلك فليس ثمة صلة بينه وبين التقهقر . فالدين يفقد بعض مناطق نفوذه ، لأنه يتخلى

عن بعض الميادين التى لا صلة له بها ، ولكن ما يفقده من جهة الامتداد يكتسبه من جهة العمق . حقا كان الدين يحتل مكانا كبيرا جدا لدى البدائيين ، ولكن ذلك يرجع إلى أنه كان مختلطا بعناصر أخرى اقتصادية وسياسية وأسرية ، ومن ثم كان مجراه متسعا ، فى حين أن مياهه كانت محملة بالأورام فليس القانون الأكبر فى علم الاجتماع هو السير إلى الفناء ، بل هو الاتجاه نحو استقلال الوظيفة الدينية الى تحقق اتصال المرء بربه » .

تلك كلمات دقيقة ، وضع بها (باستيد) الأمر فى نصابه .

وقد تحدث هذه الكلمات شيئاً من لبس . عند من يحبون أن يعرفوا الدين على أنه شامل لكل شىء ، وما فرط من شىء ، دين ودولة وعقيدة وشريعة وروح ومادة ومعاد الله أن يحصر الإله المعبود وهو رب كل شىء فى نطاق لا تتعداه ألوهيته . وأحكامه وشريعته ، وليس من الصواب أن يجعل الإنسان أوزاعا وأشتاتا تتنازع السيطرة على أشلائه الآلهة والأرباب .

إن الله الواحد يمنح الإنسان بكل قواه وطاقاته ونوازعه عقيدة شاملة كلية تجعله يراقب الله فى اتصاله بالناس ، ويلتمس الآخرة طلب الدنيا ، ولكن هذا لا يعنى أن الوحى قد أتى بخطة مفصلة للإنسان يعمل بها فى حقول الهندسة والطب والطيران والبترول والذرة ... وإنما أتى الوحى بخطوط رئيسية فى العقيدة والشريعة هى مفتاح الطريق وأساس السلوك وملاك الهدى ، لا يستطيع المؤمن أن ينفصل عنها وهو يكدح فى فجاج الأرض ويعمل على الانتفاع من نواميس الكون ، لكن هذه الخطوط العامة لا تسد عليه مسالك فكره ولا تجثم كابوساً على عقله ولا تعوقه عن بحثه وسعيه . « وكما أودع الله سر الحياة فى النواة والبويضة والبيضة ، لتتولد عنها كائنات لها أجهزتها وأعضاؤها ووظائفها ، ثم لا تلبث تنتقل بين دور ودور ، حتى تترك وراءها سر الحياة فى حلقة جديدة من سلسلة الأحياء ، وكما يتسع امتداد الخلق والحياء فى الزمان والمكان ، فلا يأخذ من سر الخلق وبذرة الحياة إلا القوة الدافعة والخصائص الكامنة دون الشكل الظاهر والمظهر الخارج . . . كذلك الدين : انطلاق للحياة على الأرض ، يشـــع الدين خلاله على النفس والعقل والسلوك والتشريع ، دون أن ينحصر فى مجموعة من الكلمات والتعاليم والمظاهر الجامدة المتناهية التى تضمها الأوراق وتتناقلها الشفاة !! . . . إن الدين يخلق حضارة فى كل أرجاء الحياة ، حضارة تتجدد وتتطور كلما تتابعت الأجيال وتطورت البيئات ، لا مجرد رسوم وتعابير هامدة تتكرر

نفسها دون جديد ! ! [1] ولا أجد إيضاحا لهذه الحقيقة أوفى مما أدلى به الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى حديثه لجريدة (أخبار اليوم) عند ما سئل عن محاولات الوصول إلى القمر ، قال :

« هذا جانب بشرى تركه الإسلام فى ذاته وفى وسائله للعقل البشرى . ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم ، حث الإسلام بوجه عام على النظر فى الكائنات وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى ، وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية ، وأقرب مثال لنا أن القوم فى زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئاً اتجه بعضهم إلى النبى يسألونه ، فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث فى هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره « يسألونك عن الأهلة . قل : هى مواقيت للناس والحج . وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله »[1] .

وشريعة الإسلام القانونية كذلك قد أتت بالقواعد الكلية والأحكام الثابتة ، وتركت للناس التأويل والاستنباط ، والاجتهاد والقياس فى الفروع المتغايرة والجزئيات المتجددة . يقول ابن القيم فى (إعلام الموقعين) : « قال ابن عقيل : السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحى ... قلت : هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام ، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرأوا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من الطرق التى يعرف بها المحق من المبطل وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع ، والذى أوجب لهم ذلك نوع تقصير فى معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها ...

(١) رسالة « الدين للواقع » .

(١) مجلة الأزهر - رمضان ١٣٧٨ هـ .

وأفرط فيه طائفة أخرى فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله ، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها فى معرفة ما بعث الله به رسوله . فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته فى نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التى هى أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق وعرف العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التى هى المقاصد ، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ... ولا نقول : إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة ، بل هى جزء من أجزائها وباب من أبوابها وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلا فهى من الشرع » .

* * *

الدين إذن لا يتراجع ولا ينحسر ، إلا عن مجالات كانت تظن البشرية فى طفولتها أن حلها فى السماء لا فى الأرض . فلما عرف الإنسان أن الحل بيده اضطرب قليلا كرد فعل لفهمه السابق الساذج المعكوس ورد بصره عن السماء وتملكه الزهو ... ثم شرع يعود إلى توازنه من جديد .

والإسلام لم يقحم نفسه فى كل شىء ليحول بين الإنسان وبين أن يفكر أو يبتدع فى أى شىء ربما يكون المسلمون قد تخلفوا فهيأت لهم أوهامهم شيئاً من ذلك ، ولكن الحقيقة الصافية تسفر فى ينابيع الدين الأصيلة : من كتاب وسنة .

فالناس أعلم بأمور دنياهم فى دين الإسلام ... إذا أردنا يوما أن نستحدث وجهة نظر دينية جديدة عن الحياة والعالم تحتل من جديد أذهان الأحرار وتوقظ مشاعرهم . وأول التغييرات إقامة أسس أخلاقية إيجابية ، لا أسس تدعو إلى الخنوع والتسليم . أخلاق يتسامى بها الأمل ، لا أخلاق يرتكس بها الخوف . إن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة ليكون كل عمله فيها أن يتسرق منها حثيثا لكى يتجنب غضب الله ، إن الدنيا هى دنيانا نحن ، ويتوقف علينا نحن أن نجعلها فردوسا أو جحيما ، والقوة اللازمة لذلك هى قوتنا . والحياة الدينية التى يجب أن نجرى وراءها لن تكون شيئا من هذا الوقار العارض أو الحرمات الخرافية ،

إنها لن تكون حياة حزن أو زهادة . . إنها يجب أن تستلهم الصورة التى يمكن أن تكون للحياة الإنسانية ، وأن تسعد بهجة الإنشاء مستروحة أنفاسها فى عالم شاسع حر قائم على البناء والأمل . إن أساس هذه الحياة ينبغى أن يكون محبة البشر لا لمظهرهم ، ولكن لما يتوسمه الفكر من الخير . إنها لن تدين بسرعة بل توجه الثناء للعمل الإيجابى أكثر مما توجهه للبداءة السلبية من الذنب . إنها ستسبح ببهجة الحياة وبالود الأصيل وبالبصيرة البناءة .

لقد قاست حياة الروح فى الأزمنة الحديثة بالجمع بينها وبين الدين التقليدى ، وبعداوتها الواضحة لحياة العقل ، وبما أخذ يبدو من أنها تتركز فى إنكار الذات . إن حياة الروح تتطلب الاستعداد لإنكار الذات حينما تتاح الفرصة ، إلا أنها فى جوهرها يقينية بقدر ماهى قادرة على إغناء الوجود الفردى ، شأنها فى ذلك شأن العقل الغريزى . إنها تجلب معها بهجة الرؤيا ، وما فى هذا العالم من بهجة الغموض والعمق وبهجة التأمل فى الحياة . وكل فوق شىء ، بهجة الحب العالمى . . . إنها تحرر الذين يحصلون عليها من سجن العاطفة الشخصية الملحة والاهتمامات الدنيوية ، إنها تمنح الحرية وسعة الأفق والجمال لأفكار الإنسان ومشاعره ، ولجميع علاقاتها بالآخرين . إنها تهيئ الحلول لشكوكنا . . . إنها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة وترد الشارد إلى مكانه فى حياة الإنسانية . إن الذين ولجوا يوما فى عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الروح » اهـ . (نحو عالم أفضل) . .

تلك كلمات بصيرة هادية . . . للفيلسوف الرياضى العملاق .

وعلماء الدين عندنا كانوا مندمجين مع الجماهير متفاعلين معهم ينطقون بآمالهم وآلامهم . . . هكذا رأينا ابن تيمية والعز ابن عبد السلام وجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى . « وفى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده دارا لشخص ظلما وعدوانا فثارت ثائرة الأهالى واتفقوا على الالتجاء إلى الإمام الدردير فقال : أنا معكم وغدا تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، فأرسل ابراهيم بك نائبه للدردير معتذرا ووبخ شفت وطلب حصرا بما نهب لرده . . . وفى ذى الحجة سنة ١٢٠٩هـ اشتكى فلاحو قرية من بلبيس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشكوى إلى مراد وابراهيم فلم يفعلا

شيئا، فدعا إلى عقد اجتماع للعلماء بالأزهر فلبوا دعوته وأغلقوا أبواب الأزهر، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعدادا للمقاومة بالقوة، وركب الشرقاوى ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير ... وتحرج الموقف، وفى اجتماع بين العلماء وابراهيم ومراد تقرر ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب وأن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم وألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من الأمة إلا بالحق والشرع، وكان القاضى الشرعى حاضرا فحرر حجة وقع عليها الأمراء ...».

وشعائر العبادة فى الإسلام - وكما أوصت كتب الله المقدسة - كلها يقصد بها الجوهر لا المظهر. «وفرائض الشعائر الأساسية محدودة معدودة، وهى لا تخلو بعد ذلك من رخص تخففها عند قيام الأعذار ... وما يزيد على ذلك من قربات ونوافل متروك لتباين الأفراد والعصور ويرتبط كل الارتباط بمدى (الفراغ) والواجب فى شغل الفراغ، كما يرتبط بمستوى التكوين الأساسى للفرد. إنها دعوة للفلاح كما هى دعوة للصلاة، أوصى بذلك الإنجيل كما أوصى القرآن»[1].

والعبرة بما تسكبه الشعائر فى أغوار النفس والضمير، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام جنة، والحج لا رفث فيه ولا فسوق.

والأخلاق فى الإسلام إيجابية ... «فما أظلم الصورة الشائعة بين الناس التى تحدد الأخلاق الدينية بأنها أداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر، والتى استفزت كاتبا من العلماء حتى قال: إن الأخلاق الدينية لا تكفى أو لعلها لا تصلح مطلقا كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ... إن القيام بالشعائر واجتناب الخمر والميسر من أحكام الإسلام، لكن ليست وحدها هى الأخلاق الدينية ... هناك أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم وتنفر من التقليد والتضليل. ثم هناك أخلاق للنفس تأمر بالصدق والأمانة والإحسان، وهناك أخلاق للسلوك وهى الآداب العامة وقواعد اللياقة»[1]. والقرآن جعل من وصف المؤمنين «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم بشهاداتهم قائمون». والمؤمن مأمور دائما بأن يكون إيجابيا[2]،

(١) رسالة (الدين الواقع).

(٢) مقال «الإيجابية الفعالة» مجلة الأزهر شوال سنة ١٣٧٦ هـ.

فى علاقته بالكون وفى علاقته مع الناس : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وأخلاق الإسلام الإيجابية هى أخلاق السماحة واليسر وليست انفعالات التعصب والتزمت « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والإسلام لا يسرق الإنسان من الدنيا ... إنه يعلن أن الله جل وعلا قد استخلف الإنسان على الأرض وسخر الكون للإنسان « إنى جاعل فى الأرض خليفة » « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » « وسخر لكم ما فى الأرض جميعا منه » « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » . والدنيا فى ديننا هى معبد الآخرة « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » ... والإسلام لا يجعل الصورة المثالية للمؤمن هى العكوف على شعائر العبادة ، والانقطاع عن الدنيا . واعتبار كتابه المنزل مورد العلم الوحيد ! ! إنه لا يصرف الإنسان عن الدنيا ، ولا يحجزه عن العلم . وشعائره لا تستهلك الوقت ، إنه يجعل طلب العلم فريضة ، ويجعل السعى والعمل فريضة ، ويلفت النظر دائما إلى التدبر فى الكون والنفس والتاريخ « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » .

إن الدين يقدس العقل إذ هو نفحة من صنع الله ، والمؤمن يتعبد بأعمال عقله تحدثا بنعمة الله ، ويقدر النتائج التى يتوصل إليها إخلاصا فى أداء الأمانة التى ائتمنه عليها الله ... والإسلام لا يفتأ ينمى طاقة العقل ويبارك ثمارها ، وكيف لا يكون هذا موقفه وقد ائتمن العقل على أخطر قضية فى الوجود - قضية إدراك حقائق الدين الأساسية نفسها فهل تستغنى عن هذا الهدى حضارة رشيدة ؟ ؟

فتحى عثمان

حول الخطوة الثانية

للأستاذ عبد الرحمن العدوى

نشر الأستاذ الدكتور طه حسين مقاله الثانى فى « الخطوة الثانية » . وهو ليس من الموضوعات التى يكتفى فيها برأى فرد . ذلك لأنه يتصل بكيان أقدم وأكبر جامعة إسلامية حملت لواء علوم الدين واللغة العربية أكثر من ألف عام بل يتصل اتصالا وثيقاً بمستقبل الثقافة الإسلامية وعلوم اللغة العربية لا فى جمهوريتنا فحسب بل فى العالم الإسلامى الذى يوفد أبناءه لينهلوا من معين الأزهر ويبدى حاجته إلى علمائه يذهبون إليه مرشدين ومعلمين .

ولخطورة هذا الموضوع لا يكون من الخير أن نتسرع فى الحكم أو العمل قبل أن يدرس دراسة وافيـــة تستبين منها مواطن الخطأ .

يقول الدكتور : « ليس يكفى أن تكون الدراسة الابتدائية والثانوية فى الأزهر ملائمة للدراسة فى وزارة التربية والتعليم » . وإنما ينبغى أن تشترك وزارة التربية والتعليم مع الأزهر الشريف اشتراكا فعلياً فى الإشراف الدقيق على التعليم الابتدائى والثانوى ، وعلى ما يكون من امتحان أثناء هذا التعليم ، وأن تكون الشهادة الثانوية التى يظفر بها التلميذ الأزهرى حين يتاح له أن يظفر بها صادرة من وزارة التربية والتعليم » .

وقد رأى أن يحدد الاشتراك الفعلى بإعطاء الوزارة حق التفتيش والإشراف على الامتحان ، وحق إعطاء الشهادات والإجازات .

فأى شئ بقى للأزهر فى هذا الاشتراك ؟ . ألم يكن من الصواب أن يقول سيادته : « وإنما ينبغى أن تنفرد وزارة التربية والتعليم بالإشراف على التعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر كما انفردت به فى غير الأزهر .

فإذا كان الغرض هو توحيد التعليم الابتدائى والثانوى فى الدولة كلها ، وأن يكون التخصص فى الأقسام العالية فحسب ، فما معنى أن تنشئ الدولة المدارس الإعدادية والثانوية الفنية التى تؤهل أبناءها للدراسة الفنية العالية ؟ ... وما معنى أن يكون فى المدارس الثانوية قسمان أحدهما علمى وثانيهما أدبى ؟ أليس معنى

ذلك أن الدولة تريد فى وقت مبكر من سن التلميذ أن تهيئه للدراسة العالية التى يرغب التخصص فيها ، ولن تعطى عناية خاصة للمواد التى سيكون فيها تخصصه فيما بعد ، فيكون لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يأخذه التلميذ من ألوان الثقافة الأخرى ؟ وإذا كان الوضع كذلك فى وزارة التربية والتعليم ، فلم يعاب على الأزهر أن يهيئ طلابه للتخصص فى علوم اللغة العربية والدين فيجعل لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يدرس لهم من العلوم المدنية الأخرى ؟ وما يظن أحد أن الأزهر قصد أن يجعل من طلاب الثانوية الأزهرية نسخة مكررة لطلاب الثانوية العامة. فللأزهر رسالته التى هو حفيظ عليها ضنين بها مرابط فى سبيل أدائها فى صدق وإخلاص .

وهو يعد أبناءه لتحملها من أول يوم تخطو أقدامهم فيه عتبة الأزهر الشريف ، وليس من الإنصاف أن نقول : إن صناعة ما أو حرفة ما يحتاج التخصص فيها إلى دراسة مبكرة تبدأ من التعليم الإعدادى ثم نقول فى الوقت نفسه : إن التخصص فى علوم الدين واللغة العربية لا يحتاج إلى مثل هذا التبكير فى الدراسة ، وليس من الرأى فى شىء أن نقول: إن المتخصص فى علوم الدين يكفيه ما يقضيه من سنوات التعليم العالى بينما ذلك لا يكفى طالب الطب أو الصيدلة أو الهندسة مثلا.

والأزهر برامجه الخاصة التى يعد بها أبناءه لغير ما تعد له الوزارة أبناءها ويهيئهم للون من العمل فى الحياة غير ما تهيئ الوزارة أبناءها له ، ولا يعيبه فى ذلك أن هذا الإعداد يبدأ من سن مبكرة فى حياة طالب الأزهر ، كما أنه ليس من الحق أن يقال : إن طالب المدارس الثانوية قادر على أن يدرس فى إحدى كليات الأزهر ليتخصص فى علوم الدين ، وكيف يمكن لفرد أن يتخصص فى علم لم يسبق له دراسته وتحصيل شىء فيه ؟ هل يكفى فى تأهيله لهذا التخصص أن يكون لديه ميل لهذا العلم كما يذكر سيادة الدكتور ؟ وأى ميل هذا الذى يدفع الطالب إلى الإثقال على نفسه وزيادة أعباء دراسته والاتجاه إلى طريق لا تؤهله له برامج مدرسته ولا يملك شيئا من مقومات النجاح فيه ؟ وهل تعتمد الكليات الأزهرية فى بقائها على مثل هذا الميل بعد أن قطعت روافدها وفصلت عنها معاهدها ؟ .

لعله يقول : أنا لم أدع إلى تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل دعوت إلى إشراف وزارة التربية عليها إشرافا دقيقا يتمثل فى التفتيش والإشراف على الامتحان وإعطاء الشهادات باسم الوزارة لا باسم الأزهر ، وهذا لا يمنع الأزهر من أن يضيف فى معاهده من المواد ما يراه ضروريا

لتهيئة طلابه للتخصص فى كلياته إن أرادوا ذلك . ولكننا نسائل أيكون لما يضيفه الأزهر من علوم الدين واللغة اعتبار فى نجاح الطالب ورسوبه وفى المجموع والترتيب والتقدير العام أم لا ؟ إن كان له هذا الاعتبار فقد أثقلنا كاهل طالب المعاهد الأزهرية بدراسة مزدوجة تقلل فرص النجاح أمامه وتزيد متاعب دراسته فتسوء نفسيته ويحسد زميله الذى انتسب إلى المدارس الثانوية ، ويرى فى علوم الدين واللغة عبئا ما كان أغناه عن الارتباط به والانتساب إليه ، وهذا ولا شك وضع مهين لهذه الدراسة يأباه كل غيور على دينه ولغته . وإن لم يكن لعلوم الدين واللغة مدخل فى النجاح والترتيب والتقدير فسينصرف الطالب عنها إلى ما يؤثر فى نجاحه ، ويكثر درجات مجموعه ويأتى به فى مقدمة الصفوف المتراصة أمام أبواب الجامعات .

وعند ما يقول الدكتور : « وما الذى يمنع الطالب من أن يجمع بين الدراستين إن استطاع » ، « ولم لا يتاح لرجال الدين من المسلمين ، إلى جانب إتقانهم لعلوم الدين ، أن يتخصصوا فيما يميلون إليه ويجدون القدرة على التخصص فيه من العلوم المدنية » عند ما يقول ذلك أراه عائدا على « خطوته الثانية » بالنقض مطالبا أن يتاح للتخصص فى علوم الدين أن يتخصص فى العلوم المدنية متى أراد ، وذلك لا يكون قطعا بتحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل الرأى فى ذلك أن تمكن وزارة التربية والتعليم أبناء الأزهر من الحصول على الثانوية العامة بعد أن تجرى لهم امتحانا فيما تراه من المواد التى لم يدرسوها فى معاهدهم أو درسوها بمقدار لا تكتفى به الوزارة ، على أن يتخذ الأزهر خطوة مماثلة بتمكين طلاب المدارس الثانوية الذين لديهم ميل للتخصص فى علوم الدين من الحصول على ثانوية الأزهر بعد أن يجرى اختبارهم فيما يراه ضروريا لكلياته من علوم ، وبذلك تفتح الأبواب على مصاريعها بين الأزهر والجامعات ، ويتاح لرجال الدين أن يتخصصوا فى العلوم المدنية كما يتاح لرجال العلوم المدنية أن يتخصصوا فى علوم الدين واللغة . لو عدل الدكتور خطوته على هذا النحو لكانت أثبت وأقوى وأدعى إلى القبول .

عبد الرحمن العدوى

من العلماء

قال شداد بن أوس : نصح لك من أسخطك بالحق ، وغشك من أرضاك بالباطل .

الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان

للأستاذ عباس طه

الأمة الإسلامية بحكم الأعباء التى عهد الله بها إليها ، وهى جعل كلمته العليا فى الأرض قدر لها أن تخالط من الأمم من يباينها أصلا ولغة وعادات ودينا . وتلك الأمم لها نظم مقررة وقوانين وتقاليد خاصة . فإخضاعها جميعا لشريعة واحدة لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشريعة بالغة أرقى ما يدركه العقل من معنى العدل وما تطمح إليه النفس من نعمة المساواة وتهفو إليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة ـ وهذا ما لا سبيل إليه إلا إذا كان أساس تلك الشريعة الحقوق الطبيعية . لا الحقوق التى تمليها المصالح المادية وتحدها الأثرة القومية وتتحيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل فى الوحدة يجب أن لا تجد فى ذلك ما يثير حميتها ويهيج أنفتها ويجرح كرامتها ويدفعها دفعا إلى التخلص مما وقعت فيه . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد نتجت من ذلك فتوق يتعذر على قاهريها رتقها فيضطرون للإيغال فيها قتلا وسلبا ثم يلجئون إلى أحد أمرين : إما الإمساك بخنقها بالحديد والنار وإما تركها وشأنها أشبه بحثة هامدة يؤول أمرها إلى ما يؤول إليه . هذا كان شأن الأمم الضعيفة عندما كانت تقع تحت براثن أمة فاتحة ، وهذا نفسه كان حال الشعوب التى حملت نير استعمار الرومان ، وهى الأمة التى كان لها الزعامة فى الأرض قبل المسلمين مباشرة فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا وكانت كثيراً ما تثور عليها فتحدث بين الفريقين معارك تسيل الدماء فيها أنهاراً فلما أدرك الدولة الرومانية الوهن انفصلت تلك الشعوب عنها مكنة فى أعماق قلبها أقصى ضروب الحقد عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التى كانت نازلة فى أطرافها من الهونيين والبلغار والفندالين وغيرهم لم تمتد إليها يد بمعونة ولا أمدها قلب بعاطفة ، وكان التاريخ أقسى عليها حكما من الناس — فقد جاء فى دائرة معارف لاروس الفرنسية عند ذكرها نظم الرومانيين :

ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينيهما فى صوره

قوانين . أما من جهة فضائل روما القديمة عاصمة الرومان يومئذ مثل الشجاعة والمكر والنظام والإخلاص المطلق للجماعة فهى بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص ؟ أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية فقد كان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبى ، وتجرد من عاطفة الرحمة الإنسانية ، أما العظمة فى روما والفضيلة فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيف فى العالم ، والحكم على أسرى الحرب بالتعذيب والأسر وعلى الأطفال والشيوخ بجر عربات النصر » انتهى .

قارن هذا بحكم المسلمين ، قال العالم الكبير جوستاف لوبون فى كتابه « تاريخ العرب » « لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من المسلمين » .

على أن لسان الحوادث فى هذا الشأن كان أبلغ من لسان التاريخ فإن هذه الشعوب التى خضعت لحكم المسلمين فضلا عن أنها لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية النكاية قد تهافتت على الدخول فى دينهم فأصبحت بلادها معاقل للإسلام ولما يمض عليها غير سنين معدودة حتى نبغ فيها حفظة للغته ، وأئمة لشريعته مما لم يحدث له مثيل فى أى عهد من عهود البشر .

فما سبب هذا الأمر الجلل الذى لم تر البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ إلى اليوم ؟ سببه سمو الشريعة الإسلامية سموا أذهل الشعوب عن قومياتها وتقاليدها وموروثاتها فألقت بنفسها بين يديها تستمدها روحا تحيا بها وتنعم بالوجود تحت سلطانها . ولم يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على أساس الحقوق الطبيعية المجردة من كل صبغة قومية وجنسية وفردية ، الرئيس والمرءوس فيها سيان ، والقوى والضعيف عندها متكافئان .

لم يحدث فى تاريخ العالم الإنسانى أن أمة توخت العدل المطلق فى سن تشريعها فنظرت إلى الناس من حيث هم أمثال فى الإنسانية لا فضل لواحد منهم على آخر لأى اعتبار من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبياً عنها يخالفها أصلا ودينا ولونا ولغة . لم توجد أمة سلكت هذا المسلك فى وضع شريعتها حتى ولا بالنسبة لآحادها المؤلفين لمجموعها إلا فى أخريات القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية وإعلانها حقوق الإنسان ومحوها الطبقات الاجتماعية .

انفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعميم فى حقوق الإنسان ، فهى تعتبره من حيث هو إنسان لا من حيث هو خاضع لسلطانها أو داخل فى ملتها . وهذا من أجل الأدلة على أنها وحى إلهى لا وضع بشرى ، فقد دل

الاستقراء على أن الارتقاء فى إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر إلى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم معاملتهم لأنفسهم ، ولا أن يطبقوا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التى أدركتها عقولهم — ولكن الإسلام سبق العالم أجمع إلى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على الكافة ، ولم يستثن أحداً حتى الأرقاء فكان المثل الإلهى الأعلى الذى سينتهى إليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرقى إلى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوصى المسلمين باتباع هذه المبادئ فى معاملة الناس أجمعين « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

وقد بين الله تعالى فى آية أخرى بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل الخلق كافة إلا الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهادا لهم وعدوانا عليهم فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

فهو فى هذه الآية لا يوصى بمعاملتهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصى أيضاً ببرهم ، والبر هو أوكد الصلات التى تربط الناس بعضهم ببعض ، أمرها بالتوحيد بينهم فى الوجهة والغاية ، وهذا أقصى ما يرمى إليه الفلاسفة والمصلحون ، وقد أصاب الإسلام هذا المرمى فكانت نتيجة ذلك أن انقلبت الأمم التى كانت تناجزه إلى أمم صديقة له ، بل مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة فى تاريخه تطوراً لم يحدث له شبيه فى نفسيات الشعوب المتباينة أصولا ولغات وتقاليد وعادات ، إذ تحولت كلها إلى أمة واحدة مؤلفة لأكبر امبراطورية عالمية تجرى وراء غاية واحدة هى المثل الأعلى لوجود إنسانى كريم .

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذى جعله الحق أساساً لشريعته العامة الخالدة ، فانظركم كانت تنجو الأمم لو عممت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية . ومن كوارث استعمارية ، وكم كانت تقتصد من أموال لا تنفقها اليوم إلا على التسلح بمبيدات للبشرية من قنابل ذرية ، وصواريخ موجهة وقنابل هيدروجينية خشية أن يبغى بعضها على بعض . إن الفيلسوف الانجليزى برناردشو لم يعد الحقيقة حين قال : « إن أوربا لا تتماثل ولا

ولا تبرأ من أوصابها التى تكاد تودى بها إلا إذا أخذت بأصول الإسلام وعملت بها».

إن الإسلام لم يمد رواق سيادته على الأمم التى تدين به اليوم إلا بالعدل المطلق الذى أوصى شيعته بالقيام عليه . فوجدت تلك الأمم فيه ماتحلم به من حياة اجتماعية لاتشوبها شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات المتناظرة والطبقات المتحاقدة ، بل ما آنسته فى أصوله من مطابقة العقل ومسايرة الدليل وفى آدابه من سمو ليس بعده غاية ولا وراءه مذهب ، فألقت بنفسها فى جماعته ، ورأت الخير كل الخير فى مناصرته والذود عن بيضته .

ولا تزال الدعوة الإسلامية باقية حتى يكسف القمران وتسكن هذه الأرض من دوران ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما على أن قبولها هو الدواء الشافى لأدواء الأمم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

عباس طه

القوة فى التضامن

كان فى أجمة أثوار ثلاثة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شىء لاجتماعهن عليه .

فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا فى أجمتنا إلا الثور الأبيض ، فإن لونه مشهور ، ولونى على لونكما ، فلو تركتمانى آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فكله . فلما مضت أيام قال للأحمر : لونى على لونك ، فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة . فقال : دونك فكله .

ثم قال للأحمر : إنى آكلك (لا محالة) .

فقال : دعنى أنادى ثلاثة . فقال . إفعل . فنادى ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

فعيل فى معنى مفعول

يأتى فعيل فى معنى مفعول جاريا مجرى الأسماء لا يجرى على موصوف ، وذلك إذ لا يراد وقوع الفعل عليه ويتخصص فى بعض المعانى فيخرج عن إبهام الأوصاف . وهذا الضرب فى أغلب أمره تلحقه تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية . ومن ذلك الذبيحة لما يعدّ الذبح من الحيوان ، وإن كان حيًّا لم يذبح ، ويستوى فى ذلك الذكر والأنثى . ومنه النطيحة للحيوان ينطحه آخر فيموت بالنطح وقد تخصص هذا بإضافة الموت إلى النطح فالتحق بالأسماء . ومنه اللقيطة فى قول الشاعر الحماسى :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى
بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

قال المرزوقى فى شرحه (ص ٢٥) : « ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كانت فعيلا فى معنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسما . وهذا كما يقال : النشيطة والذبيحة والبنية فى الكعبة » . والنشيطة ما يغنمه الغازى فى الطريق قبل بلوغه الوجه الذى يغزوه . وكان هذا فى نظام الجاهلية . وهى فى الأصل وصف من نشط الشىء : اختلسه.

وقد يجرد هذا الضرب من التاء كما قال ابن أحمر :

تهدى إليه ذراع الجدى تكرمة
إما ذبيحا وإما كان حلاما

فالذبيح : الجدى الذى كبر وصلح أن يذبح والحلام : الجدى الصغير لا يبلغ أن يذبح .

فأما فعيل الذى لم يجر مجرى الأسماء وبقى على وصفيته فقد جاء عاريا من تاء التأنيث مع المؤنث إذا وجد فى الكلام ، نحو امرأة قتيل وامرأة صريع . وقد اشتهر فى هذا النوع أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث : ويعلل ذلك بعض النحويين بأنه جاء على زنة

المصدر كالزئير والصهيل فالتحق به فى التعرى من التأنيث . وهذا التعليل غير صحيح ؛ فإن فعيلا فى معنى فاعل فيه هـذا المعنى ، ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو استعمال العرب ، وسننهم فى الكلام . وهـذا ـ كما اسلفت ـ إذا كان فى الكلام ما يدل على الموصوف المؤنث ، فأما إذا لم يكن فيه ذلك فيؤتى بالتاء مع المؤنث دفعا للبس ، تقول : هذه قتيلة بنى فلان .

وهـذا الحكم الذى أوردته نراه فى كتب متأخرى النحاة ، ولا يوردون فيه خلاف البصريين والكوفيين وهذا يدل على اتفاقهم عليه . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢ / ٢١٢ : « وأما فعيل إذا كان فى معنى مفعول فهو فى المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فعول .. وتقول : شاة ذبيح كما تقول : ناقة كسير ... وتقول : شاة رمى إذا أردت أن تخبر أنها قد رميت . . وقالوا : نعجة نطيح » . فترى من هـذا النص أن سيبويه إمام البصريين يقول بتجريد فعيل هـذا من التاء إذا تبع المؤنث قياسا لاحبا ، ومنهجا مطردا .

على أنه يروعا أن ابن جنى وشيعة له ينسبون إلى البصريين القول بعدم التعرية إلا فيما جاء وسمع عن العرب ، وأن القول بالتعرية على الوجه السابق مذهب الكوفيين.

فقد جاء فى الحماسة قول الشاعر يهجو بنى أسد:

ولما رأيناكم لئاما أدقـة
وليس لكم من سائر الناس ناصر
ضممناكم من غير فقر إليكم
كما ضمت الساق الكسير الجبائر

فقال ابن جنى فى كتابه التنبيه [1] على مشكل إعراب الحماسة : « الكوفيون يقيسون تذكير فعتل إذا كان فى معنى مفعول وجرى وصفا على مؤنث ؛ نحو امرأة قتيل وصريع وجريح ؛ فعليه جاء (الساق الكسير) . وقياس مذهبنا نحن (يريد البصريين) ألا يجوز قياسه ؛ بل يروى المسموع فيه بحاله » . ويقول المرزوقى فى شرحه [2] للحماسة : « وقال الكسير والساق مؤنثه لأنه فعيل فى معنى مفعولة . وعن أصحابنا البصريين هذا لا ينقاس ، بل يتبع فيه المحكى عنهم » . ويقول التبريزى فى شرحه [3] : « وقال : الساق الكسير وهى مؤنثة لأن فعيلا إذا كان فى معنى مفعول ووصف به المؤنث كان بغيرها قياس مطرد عند الكوفيين . وعند البصريين لا ينقاس ، بل يتبع فيه المحكى عنهم » .

---

[1] انظر الورقة ١٧٠ من مخطوطة دار الكتب .

[2] ص ١٤٨٥

[3] ج ٤ ص ٦٠ من طبعة المكتبة التجارية.

على أن التبريزى سرعان ما ينسى ما ذكره هنا فيجعل التجريد من التاء هو القياس . فقد جاء فى الحماسة بعد القطعة السابقة قول وضاح بن إسماعيل :

مَن مبلغ الحجاج عنى رسالة
فإن شئت فاقطعنى كما قطع السلى
وإن شئت فاقتلنا بموسى رَميضة
جميا فقطعنا بها عُقَد العُرَا

فقال التبريزى فى الشرح [1] : « رميضة : حادة ، رمضت النصل إذا رفعته وحددته . وكان القياس أن يقول : رميضا ، إلا أنه جاء على الأصل المتروك ، مثل أعوز واستنوق الجمل » .

وأذكر هنا أن تجريد هذا الضرب من فعيل من تاء التأنيث ليس ضربة لازب ، فإن مالك يجعله أمراً غالباً فى قوله :

ومن فعيل كقتيل إن تبع
موصـــوفه غالبا التا تمتنع

ويقول الأشمونى فى شرحه : « وأشار بقوله : غالباً إلى أنه قد يلحقه تاء الفرق حملا على الذى بمعنى فاعل ، كقول العرب : صفة ذميمة وخصلة حميدة » . ويقول الرضى فى شرح [2] الكافية : « ولشبهه لفظاً بفعيل بمعنى فاعل قد يحمل عليه فيلحقه التاء مع ذكرة الموصوف أيضا ، نحو امرأة قتيلة » . والأصل فى هذا قول سيبويه فى الكتاب : « وقالوا : نعجة نطيح ، ويقال : نطيحة ، شبهوه بسمين وسمينة » .

وجاء فى اللسان (ذمم) فى حديث الشؤم والطيرة ذروها ذميمة أى ذروا الدار . فذميمة فعيلة فى معنى مفعولة وقد جاءت على التأنيث . وجاء فيه (رأى) قول الشاعر :

وما ذاك من ألا تكونى حبيبة
وإن ربّ بالإخلاف منك صدود

وفيه فى (جحم) قول الشاعر :

فيا جحمى بكى على أم مالك
أكيلة قلّوب بإحدى المذانب

الجحمة : العين . والقلوب : الذئب ، والمذانب : مجارى الماء . فانظر كيف جاء التأنيث مع الموصوف المؤنث . وعلى هذا ليس من الخطأ أن يقال : مصر الحبيبة ، والفضيلة الصريعة .

ومن مباحث فعيل فى معنى مفعول أنه يثنى ويجمع ، غير أنه يتجنب به جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم أى يجمع جمع التكسير فقط . فيقال : هما صريعان وهم صرعى . ولا يقال : هما صريع وهم صريع ويقول سيبويه فى الكتاب فى شأن هذا

---

[1] ج ٤ ص ٦٥ . [2] ٢/١٦٦ .

الوصف : « ولا تجمعه بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ؛ لأن قصته كقصته . وإذا كسرته كسرته على فعلى . وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى . وسمعنا لأن العرب من يقول : قتلا شبهوه بظريف ؛ لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته » .

وقد عرضت لهذا البحث لأنه سبق لأحد علماء العربية فى العصر الحديث الأستاذ حفنى ناصف عليه رحمة الله أن منع تثنية هذا الضرب وجمعه . فجاء فى جواب [١] له عن بعض الأسئلة النحوية أنه لا يقال : جريحان ولا جرحى ؛ إذ كان جريح يستوى فيه الواحد وغيره كما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

وقد استند فى ذلك إلى قول الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل فى مبحث النعت : « محل مطابقة النعت للمنعوت إذا لم يقم مانع ككون الوصف يستوى فيه المفرد والمذكر وأضدادهما ؛ كصبور وجريح » . ويقول [٢] الأستاذ حفنى ناصف عقيبه : « وهو صريح فى أنه يقال بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، مع كونه لواحد أو اثنين أو جماعة » .

وقد علمت من كلام سيبويه الرد على مثل هذا الكلام ، وقد جاء فى كلامه التمثيل بجرحى الذى يرده الأستاذ حفنى ناصف تبعا للخضرى .

وينزع الأستاذ حفنى إلى الاستدلال على فتواه فى منع التثنية بأنها محمولة على جمع المذكر السالم . فإذا امتنع أن يقال : جريحون امتنع أن يقال جريحان . وهذا الاستدلال لا يقوم على النقد ألا ترى أنه لا يقال : أسودون ويقال أسودان ، والأسودان : التمر والماء عند العرب . وإنما يعنى النحاة بأن المثنى وجمع المذكر السالم من باب واحد أنهما يعربان بالحروف .

وقد يذكر النحويون أن فعيلا يستوى فيه المفرد وغيره ذكروا ذلك فى قوله :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا
مقالة لهبى إذا الطير مرت

وقوله تعالى : والملائكة بعد ذلك ظهير . والبيت الأول نزع البصريون إلى هذا القول فيه خروجا مما ألزمهم به الكوفيون ، فهو جواب جدلى . وقيل فى الآية : إن المراد أن الملائكة فى إعانتهم له يد واحدة فهم كالظهير . وأيا ما كان الأمر فإنما قالوه فى فعيل فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول .

على أنه جاء قول أبى ذؤيب الهذلى :

---

[١] انظر المجلد التاسع من المقتطف ص ٣٦٧ .

[٢] انظر المقتطف فى المجلد التاسع ص ٦٧٦ .

وسرب يُطلى بالعبير كأنه
دماء ظباء بالنحور ذبيحُ

وجاء عقبه فى اللسان : « ذبيح وصف للدماء ، وفيه شيئان . أحدهما وصف الدم بأنه ذبيح ، وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد ، فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه (كذا والصواب : ظباؤها) ثم حذف المضاف وهو الظباء فارتفع الضمير الذى كان مجروراً لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح .

وأما وصفه الدماء وهى جماعة بالواحد فلأن فعيلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة . قال رؤبة : (دعها فما النحوى من صديقها) وقال تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وهذا كلام لغوى أراد به تخريج كلام عربى جاء على خلاف المألوف والمعروف من أمرهم . وليس فيه دقة النحويين وحسن بصرهم ، ألا ترى أن ما استشهد به من كلام رؤبة والآية الشريفة فعيل فيه فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول . وفى الحق أن العرب جعلت العدو والصديق فى معنى الواحد إذ كانت العداوة والصداقة تتضمن التعاون والتوحد ، فأعداء المرء يجتمعون على عداوته كأنهم واحد ، وأصدقاؤه يتعاونون على نصرته ، فمن هذا جاء قوله تعالى : « فإنهم عدو لى » ، وجاء قول رؤبة . فأما قريب فالأمر فى تذكيره مع أنه فى معنى فاعل أن المراد بالرحمة الغوث والعون أو نحو ذلك .

والأحسن فى تخريج بيت أبى ذؤيب أن يقال : إنه أراد تشبيه العبير بدم الظبى ، فإن المفرد يشبه بالمفرد ، فلما أعجزه الوزن أن يأتى بدم الظبى أتى بدماء الظباء وهو يريد دم الظبى وجاء الوصف (ذبيح) مفردا على ما نوى وقدر وهو دم الظبى . ومثل هذا كثير فى العربية . ومنه ما يحتاج إلى تأويل فى كلامهم .

وقد عقد لهذا ابن جنى فى الخصائص بحثا سماه شجاعة العربية ؟

محمد على النجار

رأى فى نبى الإسلام بين الأنبياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أشهر المطبوعات المتداولة عند الغربيين سلاسل التراجم والسير التى ينفرد كل كتاب منها بالترجمة لنخبة من قادة الإنسانية فى ميادين الدين والحكمة أو ميادين العلم والفن ، أو ميادين الحرب والسياسة ، مشتملا على عظماء كل ميدان فى المشرق والمغرب وفى الزمنين القديم والحديث .

وهذه التراجم تنتشر وتنفد وتعاد طبعتها من حين إلى حين ، وآخر ما أعيد منها فى العام الماضى كتاب القادة الدينيين Religious loaders لمؤلفيه هنرى ثوماس ودانالى ثوماس Henry Thomas and Danalee Thomas .

وفيه تراجم ثلاثة من الأنبياء الكبار وثلاثة من أئمة الديانات الكبرى فى الهند والصين والمشرق ، ونحو عشرة من المصلحين الدينيين فى المذاهب المسيحية أو البرهمية ، آخرهم « المهاتما غاندى » زعيم الهند السياسى الدينى المعروف .

أما كبار الأنبياء فهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وأما أئمة الديانات الشرقية فهم زرادشت وبوذا وكنفشيوس .

وأما المصلحون فى مذاهبهم فمنهم بولس ولوثر وليولا زعيم الطائفة اليسوعية .

ويظهر من آراء المؤلفين وتعليقاتهما أنهما يكتبان عن الأديان جميعاً كتابة المؤرخ الذى يحترم العقيدة الدينية ولا يتبع عقيدة خاصة منها ، لأننا إذا قابلنا بين كتابتهما عن محمد وكتابتهما عن موسى أو عيسى عليهم السلام ، كدنا نفهم منها أنهما أقرب إلى الإعجاب بنبى الإسلام وإن كانا قد ولدا وتربيا على مطالعة التوراة والإنجيل ، ولكنه إعجاب تقدير واستحسان يتساوى فيه الإعجاب بالعظمة حيث كانت فى مقامها الرفيع من قيادة بنى الإنسان .

تبتدئ ترجمة النبى العربى بالأسطر التالية :

« فى القرن السابع ، حين بدا على الدنيا أنها قد أصيبت بالجفاف ، وحين فقدت اليهودية مولدها واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية ، نبع فى المشرق - فجأة - ينبوع صاف من الإيمان ارتوى منه نصف العالم ... وإن حكمة الله لعجيبة ذات قوة فى قضائها العجيب ، فإن هذا الينبوع الصافى قد انبثق من أجدب بقعة بين بقاع الأرض قاطبة : صحراء الجزيرة العربية » .

قال المؤلفان : « وتروى الأخبار المأثورة كثيراً من المعجزات والخوارق التى صحبت مولد محمد وطفولته ... ولكن محمداً لم يذكر هذه المعجزات ولم يذكر قط معجزة تتصل بشخصه أو برسالته ، لأنه لم يأت كما قال بغير معجزة واحدة هى معجزة القرآن الذى تلقاه من وحى الله ... وقد جاء بالدين ليدعو إلى ملة إبراهيم وموسى والمسيح على هدى جديد » .

قالا : « وقد كان محمد محباً لإخوته من بنى الانسان ، بسيطاً فى معيشته يأكل خبز الشعير ويخدم نفسه وإن اجتمعت له أسباب الثراء ، ويتورع أن يضرب أحداً أو يسوءه بكلمة تقريع ... ولم يغتفر لنفسه أنه أعرض ذات مرة عن سائل ضرير ... وقد حاول أن يقابل كراهة أعدائه بالحب لأنه يعلم الناس أن أحب الخلق إلى الله أحبهم إلى خلق الله ، ولكن عباد الأوثان بمكة لم يستمعوا لدعوة الحكمة والمحبة ونظروا إليه فلم يفهموا من قوله ولا عمله إلا أنه ثائر عليهم يسفه أحلامهم ويحطم أصنامهم ، فصادروه وتوعدوه واعتدوا على حريته وأوشكوا أن يعتدوا على حياته .

ويتأدب المؤلفان فى وصف الهجرة إلى المدينة فيختاران لها اسماً باللغة الإنجليزية غير الاسم الذى اصطلح عليه المبشرون والمترجمون للسيرة النبوية فى لغات الغرب وهو اسم الفرار أو الهرب Flight ... فقد سميا الهجرة باسم المفارقة أو الانطلاق Departure وذكر الكلمة المصطلح عليها قديماً لاشتهارها

ويقول المؤلفان : إن صاحب الدعوة الإسلامية لم يبدأ المخالفين له بالحرب بل هم الذين بدأوه بها واضطروه إليها ، وكان من خلائقه المعروفة أن يرحم الضعيف ويأمر بالرحمة ويرفق بالحيوان وينهى عن التحريش بين البهائم ويدعو أتباعه إلى إدخال السرور على قلوب المحزونين ، وهو القائل : « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضى عنه ديناً أو تطعمه خبزاً » . والقائل : « فكوا العانى وأجيبوا الداعى وأطعموا الجائع وعودوا المريض » .

واشار المؤلفان إلى الخبر الذى ورد عن وقوف النبى لجنازة اليهودى ، وإلى الأخبار الكثيرة التى وردت عن أدبه عليه السلام فى معاملة الضعفاء والأتباع ، ومعاملة اليتامى والأيامى فقالا : إن هذا الأدب هو أدب النبوة الإسلامية فى لبابها ، وليس أدب القتال عنواناً لها كما حسب بعض الناقدين للإسلام على السماع .

أما الجهاد فهو فريضة يؤمر بها المسلم ويتعلم معها من نبيه أن « أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه » .

ويشير المؤلفان فى هذا السياق إلى كلام كارليل عن استخدام السيف لنشر الدين فيعيدان قوله : إن شرلمان لم ينشر الدين بين قبائل السكسون بالدعوة والموعظة ، وإن العبريين لم ينشروا بهما الدعوة بين قبائل

كنعان وأن من السخف أن يقال عن محمد إنه نشر دينه بالسيف ، لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلا واحداً قائماً وحده يحمل السيف ويشهره على أمة كاملة تعاديه وتنكر دعواه ، وهى صورة غير معقولة يرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك المتأمل ، ولا بد له من النظر قبل ذلك إلى الدعوة المقنعة التى آمن بها عدد من الناس كاف لحمل السيف والجهاد به للدفاع أو الإقناع ، وعبارة كارليل فى هذا السياق أن محمداً دافع عن نفسه دفاع الرجل ودفاع العربى ودفاع الرسول المستجيب لدعوة السماء .

ويلتفت الكاتبان التفاتة حسنة إلى المثل الأعلى فى الحياة الباقية كما وصفها القرآن الكريم ، فيذكران أنها هى الحياة التى تصفو فيها القلوب « ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار » وأنها هى الحياة التى يتساوى فيها الناس « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون » ومثل هذه القدوة السماوية لا توجد فى عقيدة تقوم على البغضاء وسفك الدماء ، ولكنها هى الصورة المنشودة لكل حياة يتحراها المسلم فى دنياه ، ويذكرها كلما ذكر الإله المعبود : باسم الله الرحمن الرحيم .

قالا : « إن من الحق أن يلاحظ أن صدق محمد لا يتجلى فى كتاب مقدس فحسب ، بل هو متجل كذلك فى حياة مقدسة . لأنه كان بأصدق معانى الكلمة نعم المثال للمسلم الفاضل الذى أسلم نفسه إلى الله إسلام السمع والطاعة ، ولم يدع قط لنفسه صفة من الصفات الإلهية ، بل كل ما ادعاه وكرره أنه بشر يعلم الناس ما يستطيع كل إنسان أن يتعلمه لو ألقى السمع إليه ، ولا يصعب تلخيص تعليمه ببضعة سطور ، فإن المسلم لا يحتاج إلى الخوض فى النظريات الكهنوتية ولا يجهل أن دينه دين عمل لتحقيق الحياة الصالحة وليس بمجرد نظريات وأقوال يطول فيها الجدل والمحال .

وبعد تلخيص الفرائض الإسلامية ختما خلاصة الفرائض والعبادات بخلاصة السلوك العملى الذى يوجبه القرآن على المسلم فقال : « إن القرآن واضح فى منهج السلوك الذى يتطلبه من المسلم ... فإن واجبه الأول أن يرتفع غاية الارتفاع الذى يعلو به إلى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على إدماج النزاع بين الأفراد والقبائل فى إخوة إسلامية وتوسل إلى تحقيق هذه الأخوة بتعليم كل رجل ، وكل امرأة ، وكل طفل ، منهجه الكامل من السلوك المستقيم ، فجاء بتحريم السكر والقمار . والخداع والأثرة ، والقسوة على أى وجه من الوجوه ، وألهم المسلمين أن يفرقوا بين حدود العبادة وحدود الأخلاق ، والنيات ، فليس البر أن يولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ، وإنما البر فى الإيمان والإحسان ... وعلى المسلم أن يدفع عن

نفسه ، وأن يقاتل من يقاتله ، ولكنه لا يعتدى لأن الله لا يحب المعتدين .

قالا فى ختام السيرة المحمدية : « فالإسلام لا يخالف الديانات الأخرى ، بل هو دين يجمع ويؤلف ، ولا يطرد أو يستثنى ، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره وأن يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإله واحد : هو رب العالمين » .

هذه هى زبدة الفصل الذى جاء فى كتاب القادة الدينيين عن محمد عليه السلام ، ولا إخال أن القارىء المسلم يطلع فى كتابات الغربيين المعاصرين على كلام عن نبيه ورسالته هو أدعى إلى ارتياحه ، وحسن ظنه من كلام المؤلفين أو المؤلف والمؤلفة لهذا الكتاب .

فإن كتاب الغرب على درجات فى حسن الفهم وحسن النية ، وعلى درجات فى التعصب الدينى والشعور الإنسانى الذى يشعرون به نحو أبناء الديانات الأخرى ، ولا سيما الديانة الإسلامية واتباعها من الأمم العربية .

فمنهم من يطمس الحقائق ويأبى أن ينظر إلى خبر من أخبار التاريخ يستدعى الثناء على صاحب الرسالة المحمدية ، وينفى عنه زعما من المزاعم التى أشاعها الجهلاء المتعصبون فى ظلمات القرون الوسطى .

ومنهم من ينظر إلى حقائق التاريخ ويثنى حيث يلزمه الثناء كأنه ينصف فى الشهادة على كره منه .

ومنهم من يتقبل أخبار السوء بأضعف سند يلقاه بين يديه ، ولا يتقبل أخبار الحمد والخير إلا أن تفحمه بالأدلة والإسناد التى يحار فيها الأفكار والارتياب .

أما القليل النادر جداً بين هؤلاء الكتاب فهو الذى يبحث ويطيل البحث بين المصادر المجهولة ، ليستخرج منها شواهد الحمد والإنصاف ، وهذه هى مصادر الأحاديث وأخبار السيرة المتفرقة التى عنى الكاتبان باستقصائها كما نرى من مواضع الاستشهاد بها فى الصفحات الموجزة التى خصصاها لسيرة نبى الإسلام بين قادة الأديان ، وهى لا تزيد على عشرين .

* * *

إن رد التحية بمثلها ، أو بأحسن منها ، أدب من آداب الإسلام التى نوه بها الكاتبان ، ولكنها تحية - مع هذا - تنبئنا عن شىء نحسبه فى عداد الأخبار التى لم تكلف لها مؤنة التزويد ، فإن سلسلة هذه التراجم من مطالعات الجمهور القارىء على أوسع نطاق ، ووجود هذا الاستعداد فى طائفة متعلة من ذلك الجمهور علامة لا يغفلها المسلم الذى يعنيه على الدوام ، أن يقيس موقف الإسلام من العالم ، وموقف العالم من الإسلام .

عباس محمود العقاد

فى سبيل الوطن

مسرحية وطنية فى فصل واحد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

المشهد الأول

« حجرة استقبال متواضعة ، تجلس فيها سيدة عجوز تمارس أشغال الإبرة ... يدخل إليها عصام وهو طالب أتم المرحلة الثانوية ... الوقت ليلا ... »

عصام :

يقيك أذى البرد ، والبرد قاس

أمى ... سعدت مساء

يصب على الناس سوط البلاء

الأم :

عصام .

سعدت فى كل حين ولكننا لم نزل فى الخريف ؟

عصام :

الأم :

أراك منذ ليال

وبعد الخريف سيأتى الشتاء

فى الليل لا تهجعين وقد صرت يا ولدى فى المشيب

مشغولة بخيوط

وما هو إلا طريق الفناء

من أجلها تسهرين وصارت يداى على حالة

ولست أدرى لعمرى

من الضعف . ليس لها من دواء

ماذا بها تصنعين ؟ وعيناى قد كلتا بعدما

الأم :

خبا فى حياتى بريق الضياء

لأجلك أجعل هذى الخيوط

لهذا سيكمل بعد شهور

صداراً متينا بديع الرواء

صدارك ... إن شاء رب السماء

عصام :

أماه حسبك إرهاقا يضيق به
عزم الشباب قوى المتن عملاقا
أرهقت نفسك من أجلى بلا ملل
فلا تضيقى إنى الإرهاق إرهاقا

الأم :

من أجل عينيك يانور الحياة . وريا
حر الوجود يهون الكد والتعب
أقسمت ما دام لى من نحس أثر
وفضلة من قوتى تبدو وتحتجب
فسوف أهديك من كفى ومن يدى
ما تبتغيه ... وهذا بعض ما يجب

عصام :

متعت يا أمى بطول الحياة
وأسبغ الله عليك النعم

الأم :

ودمت لى ترعاك عين الإله
فأذكر النعمى ، وأنسى الألم

« تشكها الإبرة فتتأوه »

عصام « مزيحا » :

مالك يا أماه ؟ ماذا جرى ؟

الأم :

لاتنزعج . . . ذلك شىء يسيره

« وهى تبتسم » :

شكتنى الإبرة فى إصبعى

عصام « متصنعا الجد » :

تشكك الإبرة ؟ . . هذا كثير !
هذا اعتداء . . . هذه جرأة
من إبرة ليس لها من خير
أقسمت لن أترك « تأديبها »
حتى أراها فى يدى تستجير
ولتأخذى التعويض عن جرمها
منى . بشىء ما له من نظير

الأم .

أكلما جرحت عوضتنى ؟

عصام :

نعم

الأم :

بماذا يا فتاى الصغير ؟

عصام :

بقبلة تنسيك طعم الأسى

الأم « مبتسمة » :

هذا وحق الله ربح كبير

« ثم تخاطب الإبرة مازحة »

يا إبرتى شكى كما تشتهين
فقبلة التعويض شىء ثمين

« يضحكان »

عصام « فى حد » :

أمى . . أعيرينى انتباهك لحظة
لأقول ما عندى من الأخبار

الأم :

ماذا لديك عصام ؟

أمر حاسم

نفذه ، وبه استقر قراري

« بعد لحظة »

أمي . . لقد قدمت أوراقي الى

كلية الأبطال والأحرار

الأم « مصدومة » :

تعني بها الكلية الحربية ؟

عصام

أماه . . . أعني هذه الكلية

الأم

وكيف فعلت ذلك ، وأنت تدري

بما ألقاه من هول المصاب ؟

فقدت أخاك في يوم عصيب

كئيب الوجه ، مسود الإهاب

وكان أخوك نورا في حياتي

وكان شبابه زين الشباب

عرفت بموته ثكل الأمامى

وذقت بفقده نار العذاب

ألم يك طالبا فيها ؟ أجبني ؟

عصام :

أجيبك ؟ أنت أدرى بالجواب

الأم :

ألم يذكر صعاب العيش فيها ؟

عصام :

بلى ، واجتاز مرحلة الصعاب

عصام :

وأصبح ضابطا في الجيش ، يحمي

حمى الأوطان من بغي الذئاب

وجاء المعتدون ذئاب قفر

فكنا في الصراع أسود غاب

وظل أخي مع الأبطال ، يرمي

فيعصف بالعتاد وبالرقاب

إلى أن ناله الأوغاد غدرا

فقال بموته أسمى الرغاب

شهيد في رحاب الله يحيا

فأكرم بالشهيد وبالرحاب !

الأم :

عصام . . . أخوك حين قضى شهيدا

وجدت لديك يا ولدي عزائي

وإني - إن فقدتك - سوف أحيا

مضيعة العزاء ، بلا رجاء

عصام :

تذكري أننا ملك لخالقنا

وأن أعمارنا ليست بأيدنا

والموت حق علينا ، وهو يطلبنا

فحيث كنا بأرض الله يأتينا

الأم .

تذكر أنني قاسيت وحدي

من الأيام ما يعيي الجبالا

أبوك مضى ، ولم يترك لقلبي
سوى الحسرات تشتعل اشتعالا
فناضلت الحياة ، ولم أحمل
شبابكما المشقة والنضالا
وحين مضى أخوك ، فقدت نفسى
وكدت أموت حزنا وانفعالا
ولكنى صبرت على مصابى
لأجلك كى أجنبك الوبالا
فماذا بعد فقدك سوف يبقى
لنفسى ، إن أطقت له إحتمالا ؟

عصام :

سيبقى خير ما يبقى لأم
تؤدى واجبات الأمهات
حياة بلادنا عزا ومجدا
وفيها ينطوى معنى الحياة
وإن رسالتى عمل وبذل
لرفعة موطنى ، مهد الهداة
وإنى كى أرى وطنى عزيزا
تهون على كل التضحيات
فيا أمى بربك ساعدينى
لأمضى فى طريق المكرمات
فقلبك فيه إيمان عميق
يشيع النور فى تلك السمات
وحب الله والوطن المفدى
عميق فى قلوب المؤمنات

الأم :

لديك بنى تفكير سليم
وعاطفة أرق من الضياء
حصا :
إذن وافقتنى ؟

الأم : مهلا فعندى حديث قد يريح من العناء

عصام :

فهاتى ما لديك

الأم : ألست تبغى أداء الحق للوطن المفدى ؟

عصام : بلى

الأم :

فاعلم بأن الطرق شتى
تؤدى الحق أحسن ما يؤدى
فدع عنها طريق الحرب ، واسلك
طريق السلم ، إن السلم أجدى
تريد بلادنا للحرب جنداً
وتطلب غيرهم للسلم جنداً

عصام :

أمى... قد اخترت الطريق ، وإنه
نعم الطريق لخدمة الأوطان
قد سار فيه أخى ، وإنى سائر
فيه إلى مجدى ورفعة شانى
إنى لأشعر حين أذكر صنعه
بالفخر يطفىء جذوة الأحزان

الأم :

أفلا ترق لحسرة فى أضلعى
ملأت زمانى بالأسى ومكانى ؟

أفلا ترق ، وقد عرفت فجيعتى
وعرفت أن الحزن هدّ كيانى ؟

« تبكى فيقترب منها عصام . ويربت كتفها ثم يقول » :

عصام :

أماه لا تبكى فدمعك فى الحشا
نار تهيج بمسها أشجانى
وتذكرى الأبرار من شهدائنا
فصنيعهم أبقى من الأزمان
صانوا بحرّ دمائهم أوطانهم
من كيد أهل البغى والعدوان
فلهم هنا ذكر ومجد خالد
ولهم هنالك : جنة الرضوان
وتذكرى الأحرار من أبطالنا
وبهم عززنا بعد طول هوان
حملوا على راحاتهم أرواحهم
وتسلحوا بالعزم والإيمان
وأتوا إلى الدنيا بأكرم ثورة
هدمت صروح الظلم والطغيان
عنوانها حرية وعدالة
أكرم بما اتخذته من عنوان !
أماه ... إن صنيعهم من أجلنا
أسمى من التقدير والشكران

« الأم تملك نفسها . وتمسح دموعها ... عصام ينظر فى ساعته ثم يقول » :

عصام :

والآن فلندع الحديث لفرصة
أخرى ، فعندى موعد قد حانا
وأحب أن أحظى ببسمتك التى
أبداً تفيض محبة وحنانا

« الأم تبتسم »

عصام :

أجل هكذا ... واحفظى بسمتى
إلى أن أعود من الموعد

« يروح نحو التحية وهو خارج »

الأم : عصام

عصام : نعم

الأم « باسمة » : هذه إبرتى أجابت ندائى ، وشكت يدى ،

عصام « ضاحكا » :

فهمت يا أماه ما تقصدين
وذاك تعويضى الذى تطلبين

« يقبلها فى جبينها ، فتقبله فى خده . ثم يلوح لها بالتحية ، ويخرج مسرعا »

(المشهد الثانى و العدد القادم)

آراء وأحاديث

للأستاذ الأكبر

المسلمون فى الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمكتبه السيد باراليداسان نائباً عن السيد ألنتو زعيم المسلمين بالفلبين ، وكان يرافقه بعض طلاب الفلبين الذين يدرسون فى الأزهر .

وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : إن بينى وبين مسلمى الفلبين رابطة قوية ، فأنا أميل إليهم بطبيعتى وأشعر بأنهم يحبوننى كما أحبهم

فقال السيد الزائر : إنى ليسعدنى أن ازور الأزهر وأرى فضيلتكم وأحمل إليكم تحيات المسلمين فى الفلبين ، ثم قال : إننى أعبر باسمى وباسم السيد ألنتو وباسم عامة المسلمين عن تقديرنا للجهود التى تبذلونها فى سبيل دعم الصلات الوثيقة بين الفلبين والجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كان لاتصالكم بنا فى عيد الفطر وعيد الأضحى أثره العظيم فى نفوس المسلمين عندنا ، الأمر الذى دعاهم إلى أن يحملونى إليكم تحياتهم وخالص شكرهم . وشكر أولياء أمور الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر على العناية الفائقة التى يلاقيها هؤلاء الطلاب من الأزهر .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر حريص على طلاب البعوث الإسلامية ، وخاصة أبناء الفيليبين الذين أعتبر نفسى والداً لكل منهم .

ثم أضاف فضيلته : وإنى ربما أسافر إلى أندونيسيا هذا العام . فإذا اتسع الوقت فيسعدنى أن أزور الفيليبين أيضا لأتعرف إخوانى وأبنائى مسلمى الفلبين .

هذا وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يوفد الأزهر بعض علمائه إلى الفيليبين ليعلموا أبناء المسلمين اللغة والدين . فوعد فضيلته بأن يعمل على تحقيق ذلك متى كان ذلك ممكنا .

فى مدينة البعوث الإسلامية :

ثم زار سيادته مدينة البعوث الاسلامية حيث وقف على مدى تقدم الطلاب الفيليبين

ولمس بنفسه العناية الشديدة التى يلاقيها طلاب البعوث الاسلامية . وقد خطب فيهم قائلا : « إنى ليسعدنى أن أقدم عظيم شكرى للسادة القائمين على شئون المدينة ، ثم وصاهم بأن ينهلوا من ينابيع الأزهر الفياضة ، حتى يعودوا إلى بلادهم وقد اكتسبوا علما ومعرفة لينهضوا ببلادهم . كما اعلن استعداده عن تنازله عن أربعة آلاف فدان هى كل ما يملكه لطلاب البعوث الإسلامية الذين يدرسون فى الأزهر من الفيليبين . ولقد كان لهذا التشجيع أثره العظيم فى نفوس الطلاب الذين بدا على وجوههم البشر والسرور ، ثم اختتم حديثه بشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده المشكورة نحو أبناء الفيليبين ودعائه له بدوام الصحة والعافية .

بعثة الحج الصينية :

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه أعضاء بعثة الحج الصينية المكونة من السادة الحاج إيمانوف حامد والحاج ليوكافا والحاج حكيم شريف والحاج محمود مادينى ، وهم من أعضاء الجمعية الاسلامية فى بكين .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : « ان الأزهر حريص على خدمة الشعوب الإسلامية ويأمل أن تصير اللغة العربية هى اللسان الذى يتخاطب به المسلمون فى جميع أنحاء الارض . ثم وعدهم بأن يعمل على تدريس اللغة الصينية فى معهد الاعداد والتوجيه . على أن يقوموا بدورهم بالعمل على إدخال اللغة العربية فى معاهد الصين وجامعاتها .

وكان يقوم بالترجمة السيد محمود ماويجى ، وهو أحد الذى درسوا فى كلية الشريعة على يد الأستاذ الأكبر عند ما كان أستاذاً بها .

والبعثة الروسية :

كما استقبل فضيلته أعضاء بعثة الحج الروسية الذين حملوا إلى الأستاذ الأكبر تحيات المسلمين فى روسيا ، وقد رحب بهم فضيلته قائلا : « إن الأزهر فى خدمة الشعوب الإسلامية كلها يخدمهم فى الدين وفى اللغة ويمدهم بالعلماء الذين يوجهونهم نحو طريق الإسلام الصحيح . ويسرنى أن ألتقى بإخوانى المسلمين دائما فهم إخوة فى الله .

فقال السيد رئيس الوفد : إننا ليسرنا أن نستمع لهذا الكلام القيم الذى نحب أن يستمع إليه كل مسلم ، وإننا يوم أن وصلنا إلى القاهرة وشاهدنا التطور العظيم الذى شمل معالمها تأكد لنا مدى النهضة البالغة التى تمت فى عهد الثورة المباركة . » ثم انصرف الوفد شاكراً للأستاذ الأكبر حسن استقباله دعياً له بتمام الصحة والسعادة .

المبعوث فى سيام :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه الحاج مروان أحمد صالح قاضى ولاية جالا -

جنوب سيام - الذى جاء يحمل تحيات المسلمين فى سيام إلى الأزهر وشيخه ، وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

إن الأزهر ليرحب بكم ويسعده أن يلتقى بأبناء سيام فى شخصكم ، ثم أضاف : ويسرنا أن نحملكم تحياتنا وتمنياتنا الطيبة إلى إخواننا المسلمين فى سيام داعين الله لكم بالتوفيق .

وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعمل على إيفاد علماء من الأزهر إلى سيام ، وعلى قبول طلاب سيام الذين انتهوا من دراسة المرحلة الثانوية فى كليات الأزهر أسوة بطلاب أندونيسيا ، فوعده فضيلته بالعمل على تحقيق رغبته متى كان ذلك ممكنا .

وسأل فضيلته عن التعليم الدينى فى سيام فأجاب السيد الزائر : إنهم يدرسون الفقه والنحو عن طريق الترجمة ، فأوصاه فضيلته بأن يعمل على تعليم اللغة العربية فى سيام ، فهى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورابطة بين المسلمين فإذا تعلموها استطاعوا بذلك فهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام السمحة التى تفيض بالتوجيه السديد والإرشاد القويم .

وفى باكستان :

ثم استقبل فضيلته السيد سفير الباكستان الذى حمل إلى فضيلته تحيات المسلمين فى باكستان وتقديرهم للأعمال الجليلة التى يحققها الأزهر فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى العالم وتقوية أواصر المحبة والصداقة بين شعوب العالم الإسلامى .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى لأشعر أن باكستان صنو الجمهورية العربية المتحدة فى الدعوة إلى الله وإلى مبادئ الإسلام القويمة فلها خطوات واسعة فى القضاء على مظاهر التفرقة بين الأجناس المختلفة ، وقد سرنى منكم تحدثكم باللغة العربية مما يؤكد اتفاقنا فى الهدف والغاية فوق ارتباطنا الدينى والثقافى .

ثم انتقل الحديث إلى القومية العربية فقال سيادته : إن الجنرال أيوب خان رئيس الباكستان الذى سيزور القاهرة فى نوفمبر القادم فى طليعة من دعوا إلى الاعتراف بالقومية العربية بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لسعداء بهذه الثلة سعادتنا بنبأ هذه الزيارة التى ستقوى من الروابط الأخوية الدينية بين الشعبين الصديقين ، ثم أضاف : وإن تزاور رؤساء الحكومات من عوامل تأكيد المحبة والإخاء بين الشعوب والحكومات .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصارى رئيس الوفاق العالمى للدعوة الإسلامية وأستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة كراتشى بباكستان.

وبعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قال السيد الزائر : إنها لفرصة طيبة أنعم

فيها بلقائكم وأنا أقوم بجولتى الثالثة حول العالم لتفقد شئون المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ويسرنى أن أبلغ فضيلتكم تحيات المسلمين فى باكستان ، الذين يحمدون لفضيلتكم جهودكم العظيمة فى العمل على نشر الثقافة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية .

فقال فضيلته : إنه لمن دواعى السرور أن أسمع منكم هذا التقدير العظيم الذى يعتبر صدى لمهمة الأزهر السامية التى تقوم على أساس كتاب الله وسنة رسوله ، كما يسرنا أن نلتقى فى الدعوة إلى الله ومبادئ الإسلام الخالدة .

ثم حمله فضيلته خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى مسلمى باكستان ، وكافة المسلمين الذين سيلتقى بهم عند قيامه بجولته حول العالم

من الإقليم الشمالى :

ثم استقبل فضيلته وفدا من الاتحاد القومى فى الإقليم الشمالى مكونا من السادة عبد المجيد الطرابلسى نائب رئيس اللجنة التنفيذية بمحافظة حمص ومدير المعهد العربى الإسلامى ، ورفعت الدالاتى رئيس اتحاد نقابات الصناع وعضو الاتحاد القومى ، وعبد المجيد بالى عضو اللجنة التنفيذية بالاتحاد القومى لمحافظة حمص ، وعادل معمو وفضل الله الأنصارى ، ومحمد على مشعل أعضاء الاتحاد القومى فى حمص ، وقد رحب بهم فضيلته قائلا . إن الأزهر لفخور بأن يلتقى بإخواننا أعضاء الاتحاد القومى بالإقليم الشمالى ، وبالروح الطيبة التى تسود أبناء الجمهورية العربية المتحدة الذين سلكوا طريقهم الصحيح للإسهام فى بناء مجتمع ديموقراطى اشتراكى تعاونى ، والأزهر يسره أن يضع يده فى أيديكم محييا هذه الروح التعاونية الصادقة .

ثم دار الحديث عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ومدى إسهام الأزهر فى هذا الشأن فقام أحد أعضاء الوفد وقال : إن تصريحكم القوى فى هذا الموضوع ترك أثره الحميد فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء الأرض ، وخاصة أبناء الإقليم الشمالى الذين زاد هذا الأمر من رابطتهم ووحدتهم ، وإننا لنشكركم على هذا التوفيق ، وندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتتموا هذه الدعوة التى حققت الكثير على أيديكم .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لو اعتصمنا بحبل الله جميعا ، واتحدت وجهتنا استولى الدين على القلوب وفاضت بالإيمان الكامل ، فإن محمداً لم يستول على القلوب والمشاعر بالعصى أو السيف ، بل بالحق والدعوة إلى الوحدة ونبذ الضغائن والبعد عن التفرقة ، وهذا هو فتح القلوب . فإن الإسلام لم يفتح بلاداً أو أمصاراً بقدر ما فتح القلوب . وهذا هو المعنى الذى يتجلى فى قوله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ثم قام عضو آخر من أعضاء الوفد - تخرج فى الأزهر - وقال : إننى باسمى وباسم إخوانى الذين تخرجوا فى الأزهر من الإقليم الشمالى نحيى فيكم الدعوة إلى وحدة المسلمين ويسرنا أن تعملوا على أن تكون لنا رابطة أزهرية فى الإقليم الشمالى أسوة برابطة الإقليم الجنوبى .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر ليس فى الإقليم الجنوبى فحسب ، وإنما هو فى كل مكان ، فالأزهر مؤسسة دينية - فهما وعلما وتقريبا وتخريجا - عندنا أزهر ، وعندكم أزهر ، وفى كل بلد إسلامى أزهر ، وليس طلاب الأزهر هم الذين يدرسون فى الأزهر فحسب ، وإنما يمكننا إطلاق ذلك على كل من يدرس علوم الأزهر فى العالم الإسلامى جميعه - ثم حملهم فضيلته تحياته باسمه وباسم الأزهر إلى أبناء الإقليم الشمالى داعيا الله سبحانه وتعالى أن يوثق روابط الوحدة وأن يديم على جمهوريتها العربية التوفيق والرخاء بقيادة الشاب المؤمن القوى الرئيس جمال عبد الناصر .

كاتب ايرلندى كبير :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه مستر باتريك أوكنر الكاتب الإيرلندى الكبير . وقد دار الحديث حول رسالة الأزهر وأهدافه وصلته بالعالم الإسلامى .

ولقد قال فضيلته : إن الدين الإسلامى دين الأخوة ، دين التعاون ، دين المحبة والوفاء دين التراحم والتعاطف . ولقد خلق الله الناس ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » والإسلام لا يعرف العصبية ولا الطائفية كما لا يعرف التخريب ولا التدمير ولا البغى ولا الطغيان ، وإنما يعرف التعمير والبناء ويقرر مبادئ المساواة الصحيحة والديمقراطية الأصيلة . وعلى هذا الأساس يتعاون البشر جميعا على بناء الإنسانية بناء قويما . ثم أضاف فضيلته - وإنه ليسرنى أن تتعرفوا إلى الأزهر ، جامعة العالم أجمع ، التى تركز القيم والمثل وتقيم المبادئ الصحيحة .

وقد عبر السيد الزائر عن شكره قائلا : إننى لسعيد كل السعادة بهذه الزيارة وهذه الحفاوة التى لقيتها منكم ، وأنا أذكر أننا قريبون منكم ، ففى الوقت الذى اعتدت فيه الدول الثلاث على مصر كانت « إيرلندة » من بين الدول التى ساندت مصر وأيدتها . ويسرنى أن ألتقى مع هذه العقلية الناضجة التى علمتنى المبادئ القويمة فى دقائق قليلة .

مفتى الملكية فى الاحساء :

واستقبل فضيلته الشيخ محمد بن ابراهيم

المبارك ، مفتى المالكية فى الأحساء بالمملكة العربية السعودية . وقد قال سماحته بعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر :

إننى أدعو الله من كل قلبى كما يدعوه المسلمون جميعا أن يبقى الأزهر لخير الإسلام والمسلمين ، ونحن من ورائه أمة واحدة .

قال فضيلته : إننى لمسرور بإحساس المسلمين ومعرفتهم قدر جامعتهم التى أشعت النور على العالم أجمع من مشرقه إلى مغربه . والسر فى ذلك أنها تؤدى رسالة محمد بن عبد الله وتدعو إلى أسسها ومبادئها .

والأزهر ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك المسلمين جميعا . فمن حق المسلمين عليه أن يتزودوا منه وأن ينهلوا من منهله العذب ، ولذلك فأبوابه مفتوحة لأبناء المسلمين . ورسله موفدة إلى جميع بلاد العالم ، وإن الجمهورية العربية المتحدة تعمل على ذلك وتقويه وتؤكده ، عرفانا منها بحق المسلمين عليها .

وقد أهدى إليه فضيلته بعض كتبه ومؤلفاته ، وشكره السيد الزائر قائلا . إن هذا الزاد الروحى يسرنى أن أكون حاملا له وناقلا معانيه إلى المسلمين فى بلادنا .

* * *

ثم استقبل فضيلته السيد اللواء محمد كمال الدين عبد الحميد ، ودار الحديث بينهما حول الشورى فى الإسلام والديمقراطية فى نظر الشريعة الإسلامية .

وقد أفاض فضيلته فى هذا الموضوع بما يدعم أسس الديمقراطية ونظامها ، وقد شكر السيد اللواء لفضيلته رعايته وعنايته لشأن المسلمين والإسلام .

وقد نشرنا حديث فضيلة الأستاذ الأكبر عن «الشورى» فى مكان آخر من هذا العدد .

* * *

واستقبل فضيلته السيد محمد صادق فهمى مستشار النقض السابق ، ودار الحديث بينهما حول شئون إسلامية وثقافية ، ثم قدم بعض مؤلفاته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، كما أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

* * *

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد التنفيذى ودار الحديث بينهما حول نواح عامة ، وبعض مسائل دينية عرضها السيد الوزير على الأستاذ الأكبر .

* * *

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد العزيز المسند ، المدير العام المساعد للكليات والمعاهد الدينية فى الرياض .

وقد دار الحديث حول الشئون الثقافية ، كما طلب السيد الزائر زيادة العلماء المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية . فوعده فضيلته بالنظر فى ذلك .

العالم الإسلامى يستنكر اعتراف الشاه بإسرائيل

من أسوأ الحوادث التى وقعت فى العالم الإسلامى أخيراً اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل المعتدية المغتصبة . فقد أعلن شاه إيران بنفسه فى مؤتمر صحفى يوم آخر المحرم « ٢٤ يوليو ١٩٦٠ » اعتراف إيران القانونى بإسرائيل وقال إن إيران كانت تعترف بإسرائيل من قبل على أساس الأمر الواقع .

وكان هذا الاعتراف صدمة قاسية لشعور الدول العربية والإسلامية وإيمان شعوبها وإحساساتها . تبين مدى هذه الصدمة وإيلامها لجميع هذه الشعوب من تعليقات الصحف واجتماع الهيئات .

فقد بادرت الجمهورية العربية المتحدة باستدعاء سفيرها فى طهران وقررت قطع العلاقات السياسية معها .

وكان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه أول من أنكر على شاه إيران عمله هذا الذى أسخط به الشعوب الإسلامية والعربية كافة .

فى اليوم التالى لاعتراف الشاه عقد اجتماع كبير بمشيخة الجامع الأزهر حضره كبار علمائه برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وكان فى مقدمة المجتمعين السادة أصحاب الفضيلة .

الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .
الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى مدير عام المعاهد الدينية .
الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .
« الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة .
« « عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .
« « عبد الرحمن عيسى مدير التفتيش .
« أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر .

الأستاذ الشيخ ابراهيم جاب الله شيخ معهد القاهرة .
« « محمد كرسون مدير الامتحانات .
« « محمد الدينارى وكيل كلية أصول الدين.
« « محمد شبانه مراقب تفتيش العلوم الشرعية .
« « محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد
« « عبد العزيز عيسى مراقب تفتيش العلوم العربية
« « محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد

وقد تولى سكرتارية هذا الاجتماع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة .

بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر الاجتماع باسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم تحدث عن الحادث الجلل الذى فوجئ به المسلمون وهو حادث اعتراف إيران بعصابة إسرائيل المغتصبة لحقوق جزء حبيب من الوطن العربى الإسلامى وتشريد أهله . مبينا أن الأزهر الذى عمل دائبا على توحيد عرى الوحدة الإسلامية يبدى أسفه العميق لهذا الأمر ، ويستنكره أشد الاستنكار ، وأنه يضع الأمر فى يد المجتمعين ليتخذوا فيه ما يرون من قرارات .

وبعد المناقشة وتقليب الأمر على جميع وجوهه قرر المجتمعون ما يأتى : —

أولا : استنكار موقف الحكومة الإيرانية المسلمة فى الاعتراف بعصابة إسرائيل واعتبار هذا الاعتراف نوعا من موالاة أعداء المسلمين ، وتنافيا مع ما يجب عليهم من صيانة الوحدة الإسلامية .

[illegible] الأستاذ الأكبر [illegible] من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باسم جميع علمائه .

صاحب الجلالة امبراطور إيران :

إن موقف حكومتكم فى الاعتراف بعصابة إسرائيل لموقف هز شعورنا وشعور علماء الأزهر المجتمعين بنا اليوم ، ونعتقد أنه هز شعور جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإنه لموقف يتنافى مع موقفكم السابق يوم هنأتمونا بما قمنا به من العمل على توثيق عرى الأخوة العلمية والدينية بين المسلمين فى مختلف طوائفهم .

وإنا لنبعث إليكم بهذا مؤملين أن تسارعوا إلى إعادة النظر فى هذا القرار الخطير ، صونا للوحدة الإسلامية ، وحرصا على عدم إعطاء الفرصة لأعداء الائتلاف ، والتقارب بين المسلمين .

ثالثاً : إرسال برقية إلى سماحة العلامة الإمام البروجردى كبير علماء إيران هذا نصها:

أخى فى الله سماحة العلامة الكبير الإمام الحاج محمد حسين أغا بروجردى . قم إيران .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

فإني وإخوانكم كبار العلماء بالأزهر ، المجتمعين بنا اليوم لشديدو الأسف على اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل المغتصبة لجزء محبب من الوطن الإسلامي الكبير . ويرون أن الاعتراف بها نوع من موالاة الأعداء التي حرمها القرآن الكريم بصريح نصه حيث يقول :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ».

ويرجون من سماحتكم أن تتدخلوا بما لكم في النفوس من مكانة دينية سامية لرد الأمر إلى نصابه ، والمحافظة على وحدة المسلمين ، ولنذكر قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ».

وإن لنا لأملا في أن جلالة الشاه — حين يبصر بما لهذا الأمر من عواقب خطيرة سيلبي دعوتنا ، ويعيد النظر في هذا القرار المفرق ، واضعاً نصب عينيه رضا الله ووحدة المسلمين .

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانكم العلماء.

رابعاً : موالاة الاجتماع حتى ينجلي الأمر.

الأزهر والمؤتمر الإسلامي :

ثم سجل بعد ذلك التليفزيون العربي اجتماعا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع كبار علماء الأزهر والمؤتمر الإسلامي للنظر في اقتراح اجتماع الهيئات الإسلامية بمشيخة الأزهر لتقرير ما يجب على المسلمين القيام به إزاء اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل .

وكان في مقدمة المجتمعين برياسة الأستاذ الأكبر السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز عضو مجلس الأمة .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

السيد الأستاذ سيد أبو المجد المستشار بالمؤتمر الإسلامي .

السيد الأستاذ الدكتور محمد ماضي المدير العام للمعاهد الدينية .

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة .

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد كرسون مدير إدارة الامتحانات.

وقد افتتح الاجتماع فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

« إنه ليسرنى ويشرح صدرى أن نجتمع للمرة الثانية تمهيداً لاجتماع عام نبحث فيه هذا الأمر الخطير الذى اهتزت له مشاعر العالم العربى والإسلامى ، وهو اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل . وقد اجتمعت بالأمس مع السيد الأستاذ الكبير صاحب حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين ورأينا دعوة مختلف الهيئات الإسلامية يوم ١٩٦٠/٨/٤ لتقول كلمتها الأخيرة فيما اقتحم به شاه إيران قدسية القرآن الكريم ، وقدسية الوحدة الإسلامية وإننا لندعو الله أن يوفقنا ويوفق المسلمين جميعا للقضاء على هذه الفتنة التى أثارها شاه إيران ، والتى تعتبر موالاة لأعداء الإسلام والوطن العربى ، ولا شك أن الاعتراف بإسرائيل يتضمن الإقرار بوجودها .

وقد وافق السادة المجتمعون على اقتراح فضيلة الأستاذ الأكبر وقرروا تأليف لجنة تمهيدية لوضع خطة الاجتماع الكبير الذى سينعقد يوم ١٩٦٠/٨/٤ .

وتتألف هذه اللجنة من السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

فضيلة الأستاذ عبد الله المشد .

« « عبد الحكيم سرور

وقد انفض الاجتماع فى الثانية مساء على أن تنعقد اللجنة التمهيدية فى الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٩٦٠/٨/١ .

مؤتمر الهيئات الإسلامية :

وفى صباح يوم الأحد ١٤ من صفر « ٧ أغسطس » اجتمع مؤتمر الهيئات الإسلامية الذى دعاه فضيلة الأستاذ الأكبر للنظر فى هذا الأمر الخطير .

وعقد الاجتماع فى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر وبرئاسته ، واشتركت فيه سبع عشرة هيئة هى :

المؤتمر الإسلامى ويمثله الأستاذ سيد أبو المجد .

جمعية الشبان المسلمين ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

دار تبليغ الإسلام ويمثلها المهندس محمد توفيق أحمد .

جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية ويمثلها الأستاذ عمر مرعى .

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

جماعة أنصار السنة المحمدية ويمثلها الشيخ عبد الرحمن الوكيل .

الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة ويمثلها الشيخ أمين خطاب .

مشيخة الطرق الصوفية ويمثلها الشيخ محمد محمود علوان .

جمعية مكارم الأخلاق ويمثلها الشيخ محمد أحمد عثمان .

جماعة شباب محمد ويمثلها الأستاذ محمد عطيه خميس .

العشيرة المحمدية ويمثلها الشيخ محمد زكى إبراهيم .

جبهة علماء الأزهر ويمثلها الشيخ أحمد فريد .

مركز التجمع القومى العراقى ويمثله الشيخ أحمد الجزائرى .

إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ويمثلها الشيخ محمد الغزالى .

جماعة الإصلاح الإسلامى ويمثلها الشيخ محمود المدنى .

جمعية التربية الإسلامية ويمثلها الشيخ على المنصورى .

إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ويمثلها الشيخ سيد سابق .

وافتتح الجلسة فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الكلمة :

كلمة الأستاذ الأكبر

إخوانى العلماء وممثلى الهيئات الإسلامية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :

فقد ألف الناس فى مثل هذا الاجتماع أن يتجهوا فيه أولا : بالشكر إلى الله الذى وفق إليه ، وثانيا : إلى حضرات الذين شرفوا بالحضور على تلبية الدعوة . ولكن اجتماعنا هذا لم يكن تلبية لدعوة أحد إلى أحد وإنما هو تلبية لدعوة الضمير ، ودعوة الإيمان ، دعوة الوحدة الإسلامية ، دعوة النظر فى مظهر من مظاهر التفرق اقتحم به بعض المسلمين سياج الوحدة الإسلامية ، التى قدسها القرآن وأمر بها وأعلى شأنها ، وهى دعوة الإهابة بهذا البعض للرجوع إلى خطة إخوانه المسلمين ، وما انعقد عليه إجماعهم أخذاً من الآيات القرآنية الكريمة ، التى حذرت ونهت عن اتخاذ أعداء الله وأعداء المؤمنين أولياء من دون المؤمنين ، والتى أشارت إلى أن هذا الصنيع شأن مرضى القلوب والمنافقين ، ولقد كنا نود أن يكون الاجتماع عاما يمثل جميع الهيئات والجماعات الإسلامية فى الوطن الإسلامى كله ، وسيكون هذا الاجتماع بإذن الله كما يكون اجتماعنا هذا بمثابة تمهيد له . ونرجو من الله التوفيق

وتسديد الخطى نحو الهدف الذى تتجه إليه قلوب المسلمين فى كافة الأقطار .

هذا وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا حزبهم أمر اجتمعوا له وتشاوروا فى شأنه على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . وقد حزب المسلمين اليوم أمر خطير هو اعتراف ملك مسلم لشعب مسلم بعصابة باغية طالما أوغلت فى الفتنة وأرقدت نيران العداوة ، ودبرت الكيد للمسلمين وألبت عليهم العالم بشتى الأساليب ، وإن وجود هذه العصابة نفسه إنما هو على حساب إخوة لنا كانوا فى فلسطين يعيشون آمنين مطمئنين فغزوهم فى عقر دارهم ، لا بالحرب والفتح ، ولكن بالختل والمكر ، والاستعانة بالمستعمرين .

إن اللاجئين من أهل فلسطين العزيزة يعانون ألوانا من البؤس والفقر والهوان يشيب لها الولدان ، فكيف يسوغ لمسلم مطلوب منه بحكم إسلامه أن يشترك فى إنقاذهم ونجدتهم أن يؤيد ظالميهم وغاصبيهم ومشرديهم ؟ .

لهذا دعوتكم لتتشاوروا فى هذا الأمر الخطير ، وتتخذوا فيه ماترون ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، فابدءوا على بركة الله موفقين راشدين .

وبعد أن ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر هذه الكلمة تدارس المجتمعون الموقف ثم أصدروا القرارات الآتية :

أولا — استنكار هذا القرار الخطير الذى اتخذه شاه إيران بالاعتراف بإسرائيل وهو الملك المسلم لشعب مسلم تقوم بينه وبين سائر الشعوب الإسلامية أواصر الأخوة الدينية المقدسة التى قررها القرآن الكريم حيث يقول « إنما المؤمنون إخوة » و« المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

ثانيا — إن هذا الاعتراف مخالف لنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن اتخاذ أعداء المؤمنين أولياء . وإنه عمل من الأعمال التى من شأنها التفريق بين المؤمنين ، وإظهارهم أمام العالم بمظهر المختلفين الذين لا يرمون عن قوس واحد ، ونزع هيبتهم من صدور أعدائهم .

ولذلك يجب على شاه إيران وجوبا دينيا المبادرة بالرجوع عنه درأ لهذه الفتنة عن جماعة المسلمين .

ثالثا — يسجل المؤتمر أن الاسلام لا يرى فرقا بين الاعتراف على أساس الأمر الواقع والاعتراف القانونى بالنسبة لأعداء الله ، فكلاهما علاقة عملية بيننا وبين الأعداء لا يرضاها الله ورسوله والمؤمنون .

رابعا — يدعو المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية إلى الانكار هذه الفعلة

استنكارا تبدو فيه قوة الوحدة وشدة التماسك وعظمة الرأى العام الإسلامى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغيرة على حدود الله تحقيقا لقوله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم »

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

خامسا — توجيه بيان عام من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه وممثلى الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم فى هـــذا المؤتمر إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وحكامها ومحكوميهم ، خاصتهم وعامتهم يبين فيه حكم الإسلام فيمن يتولى أعداء المسلمين ، وأن القرآن الكريم قد سوى بين اليهود والمشركين فى تسجيل عداوتهم للمؤمنين ، حيث يقول الله جل جلاله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وتوجه إليهم فيه الدعوة إلى محاربة روح التخاذل والضعف بكل سبيل .

سادسا — يستمر المؤتمر قائما لمتابعة الجهاد ضد هـذا الأمر الخطير ، حتى تنحسم الفتنة ويرجع شاه إيران عن هذا الاعتراف .

سابعا — تبليغ هذه القرارات وبيان المؤتمر إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية عن طريق السفارات وغيرها وبمختلف الوسائل حتى يقف المسلمون على جلية الأمر ويعملوا على أن يقفوا صفا واحدا أمام هذا الأمر الخطير .

ثامنا : دعوة جميع ممثلى الهيئات الإسلامية فى الأمة الإسلامية جمعاء إلى مؤتمر يحدد فيما بعد تكون كلمته الكلمة الأخيرة القاطعة فى هذا الأمر ويكون اجتماعنا اليوم تمهيدا لهذا المؤتمر الذى يعقد فى القاهرة .

تاسعا — التنويه بجهود علماء الوعظ والإرشاد وأئمة المساجد فى تبصير المسلمين بتعاليم دينهم وشئون حياتهم .

وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد قام بسكرتارية المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير إدارة الشئون العامة بالأزهر .

البيان العام :

من محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بعناية الله تعالى ، وإخوانه العلماء ، وممثلى الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم فى مؤتمر عام بمشيخة الجامع الأزهر .

إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، خاصتهم وعامتهم ، حاكميهم ومحكوميهم .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أجمعين .

أما بعـــد :

فإن الله تعالى أمر المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو كتابه العزيز ، فى ظل الألفة واجتماع الكلمة ، وحذرهم التفرق الذى أودى بالأمم من قبلهم ، مذكراً إياهم بنعمته عليهم ، إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخوانا .

وقد قرر هذا الكتاب الكريم فى شأن العلاقة بين المؤمنين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم أمرين قطعيين لا خلاف عليهما بينهم :

أحدهما : ما أثبته الله جل جلاله بقوله : « إنما المؤمنون إخـــوة » ، و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . من أن الأخـــوة بين المؤمنين ، وتولى بعضهم بعضا ، هما أساس العلاقة بين أفرادهم وشعوبهم ، وعليهم بحكم الإيمان رعاية هذا الأساس ، وتجنب الإقدام على أى شىء من شأنه أن يوهيه ، احتفاظا بما جعله الله خاصة وشعاراً لهم .

والثانى : ما نهى الله عنه من اتخاذ الأعداء أولياء ، وقد ورد ذلك فى كثير من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

إلى غير ذلك من الآيات المثبتة فى كتاب الله تعالى .

وقد قرر القرآن الكريم فى غير آية منه انطواء اليهود على الغدر والخاتلة ، وابتغاء الفتنة للمؤمنين ، وأثبت عداوتهم لهم ، وسوى بينهم وبين المشركين فى هذه العداوة ، حيث يقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ومن هذا يعلم أن اليهود هم ألد الأعداء للمسلمين .

وقد قامت عصابتهم الباغية المسماة (إسرائيل) باغتصاب قطعة عزيزة غالية من الوطن الإسلامى هى (فلسطين) الشهيدة التى شتتوا شمل أهلها ، وأخرجوهم من ديارهم ، وانتهبوا حقوقهم فلا يحل لمؤمن أن يوالى هذه العصابة الباغية المحاربة للإسلام وأهله ، ولا يسوغ له أن يقيم معهم أى لون من ألوان العلاقات ، لأن ذلك نصرة لهم وتأييد على المسلمين وتثبيت لأقدامهم فى البلاد الإسلامية

التى اغتصبوها وشردوا أهلها ، وليس للولاية معنى سوى النصرة والتأييد والتثبيت .

وقد أقدم شاه إيران على الاعتراف بإسرائيل وهو يعلم هذا كله ، ويعلم موقفها من فلسطين ، وأنها ما زالت تصر على اغتصاب حقوق أهلها رغم ما قررته هيئة الأمم المتحدة نفسها من وجوب رد الحقوق إلى أصحابها ، وإعادة اللاجئين إلى وطنهم ، كما يعلم أنها أداة استخدمها الاستعمار لمناوأة المسلمين ولتدبير المؤامرات ، وشن الغارات على بلادهم الآمنة ، إقلاقا لهم وإضعافا لجهودهم التى يبذلونها فى سبيل التحرر وبناء الوطن ، كما يعلم أنها كانت حجر الزاوية فى العدوان الذى شنه الاستعمار على مصر فى سنة ١٩٥٦ .

فى ظل ذلك كله اعترف شاه إيران بإسرائيل ، ورضى بأن يوالى أعداء المسلمين على المسلمين ، وأظهر الأمة الإسلامية بمظهر التفرق والانقسام ، وأقدم على أمر من شأنه أن يوهن العزائم ، ويحل الروابط ، وينزع هيبة المسلمين من صدور أعدائهم .

لذلك يجب عليه وجوبا دينياً أن يبادر بالرجوع عن هذا القرار الخطير ليفىء إلى أمر الله ، وينزل على حكم القرآن .

فإن لم يفعل ، وجب على المسلمين حيثما كانوا ، فى أدنى الأرض أو أقصاها خاصتهم وعامتهم ، وحكامهم ومحكوميهم ، أن يشعروه بسوء ما فعل ، وبما له من مغبة وخيمة ، وبأنهم له مستنكرون .

وأول من يجب عليه ذلك هم شعب إيران عامة ، وعلماؤه الكرام خاصة ، وإن للمسلمين لأملا كبيراً فى أن يبينوا ما أنزل الله من من الكتاب والحق ولا يكتموه ، وأن يرعوا شجرة الألفة والقربى التى اشتركوا فى غرسها وإروائها استجابة لأمر الله ، ونزولا على حكم كتابه العزيز . إنهم إن فعلوا ذلك - وهم إن شاء الله فاعلون - كانوا بأمر الله قائمين وبالحق صادعين وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين ولإخوانهم مستجيبين وعلى البر والتقوى متعاونين .

نسأل الله جل جلاله أن يهب المسلمين من لدنه رحمة وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدا إن الله سميع الدعاء لطيف لما يشاء وهو حسبنا ونعم الوكيل . ؟

محمود شلتوت

قرارات المؤتمر

ولذلك أصدر المجتمعون القرارات السالف ذكرها .

جبهة علماء الأزهر :

وأرسلت جبهة علماء الأزهر باسم عشرة آلاف من علمائه برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر أعربوا فيها عن استنكارهم لموقف شاه إيران من وحدة المسلمين وحقوق عرب فلسطين .

المجلس الصوفى الأعلى :

واجتمع المجلس الصوفى الأعلى بالقاهرة وأصدر بيانا أرسله إلى الهيئات الصوفية فى العالمين العربى والإسلامى أعلن فيه تأييده لبيان فضيلة الأستاذ الأكبر والهيئات الإسلامية باستنكار اعتراف الشاه واعتبار هذا الاعتراف مشاركة للصهيونية فى اعتدائها على المقدسات الإسلامية وأرض العروبة . كما أبرق المجلس إلى شاه إيران مطالبا بسحب اعترافه . فإن لم يفعل اعتبره العالم الإسلامى مرتدا عن الدين .

جماعة التقريب :

وأرسلت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى سفير إيران بالقاهرة البرقيه التالية :

نرجو أن تبلغوا جلالة امبراطور إيران شديد أسفنا واستنكارنا للحادث المحزن حادث اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل الباغية.

لقد حرصنا على جمع كلمة المسلمين والتقريب بين طوائفهم منذ اشتركنا فى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية مدى اثنى عشر عاما وعملنا على توطيد وحدة الأمة الإسلامية فى مختلف شعوبها وطوائفها ، ثم جاء هذا الاعتراف اليوم ضربة قاضية على جميع الجهود الشريفة التى بذلت ابتغاء مرضاة الله فلعل جلالة الامبراطور يفيء إلى أمر الله ويعدل عن هذا القرار خوفا من وعيد الله الذى يقول : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ـ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

وأرسل أئمة المساجد فى الجمهورية العربية المتحدة إلى سفارات الدول العربية بالقاهرة احتجاجاً على حكومة إيران .

الجامعة العربية :

وقد عقدت الجامعة العربية اجتماعا يوم ٢٥ يوليو للنظر فى الأمر ، وقررت بالإجماع استنكار الاعتراف ، وبحث ما يمكن أن تقوم به الدول العربية من الإجراءات ضد إيران بسبب ذلك . كما قرر المجلس بحث الموضوع فى المؤتمر الذى سيعقد فى بيروت يوم ٢٢ أغسطس القادم ، على أن تجرى دول الجامعة اتصالات مستمرة فيما بينها قبل موعد المؤتمر .

فى لبنان :

وفى لبنان استنكر الاعتراف النائب اللبنانى جعفر شرف الدين ، نجل المجتهد الأكبر السابق للشيعة فى لبنان وقال إن الشيعة تبرأ منه ، وإنه نقض لليمين الدستورية التى أقسمها الشاه وأبوه من قبل على حماية مذهب الشيعة والمحافظة عليه .

وباكستان :

وأعرب السيد خاجا شهاب الدين سفير باكستان فى القاهرة عن أسفه الشديد لقرار حكومة إيران ، وأعلن أن ذلك لن يؤثر فى موقف حكومته تجاه إسرائيل .

وأندونسيا :

وأعلن فى جاكرتا أن حزب نهضة العلماء الإسلامى - وهو أكبر أحزاب أندونسيا - أبدى أسفه الشديد لاعتراف حكومة إيران بإسرائيل ، وقال : إن هذا الاعتراف سيؤدى إلى زيادة أسباب التوتر فى الشرق الأوسط .

حكومة العراق تستنكر :

وقد نشرت صحف بغداد تصريحا أدلى به ناطق بلسان وزارة الخارجية العراقية ننشره فيما يلى :

كان للتصريح الذى أدلى به جلالة الشاه حول اعتراف إيران بالدولة المزعومة إسرائيل أثر مؤلم فى نفوس أبناء الأمة العربية جمعاء. وقد استنكر فى جميع الأوساط الاجتماعية والسياسية فى الأقطار الإسلامية نظراً لصدوره من دولة مسلمة يعتز شعبها بإسلامه وبروابطه الدينية ببقية المسلمين فى العالم .

وقد تلقينا هذا النبأ هنا فى العراق بكثير من الدهشة والألم الشديد ، أولا لعلمنا ان إيران تدرك جيداً أن إسرائيل الدخيلة تجسم عدوانا صارخا على حقوق العرب فى وطنهم فلسطين . وأنها كانت ولم تزل وستبقى عاملا رئيسيا لعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط وسببا أساسيا لتشريد مليون عربى من أوطانهم وبقائهم منذ اثنى عشر عاما فى حالة بؤس وشقاء . وثانيا لأن إيران تعلم جيداً بأن جميع الدول العربية والعرب أينما وجدوا يعارضون بشدة وجود إسرائيل فى أرض الوطن العربى وتؤيدهم فى ذلك دول وشعوب كثيرة مسلمة وغير مسلمة وأن هذا ليجد صداه العميق من العطف والتأييد الواسعين فى أوساط الشعب الإيرانى المسلم . وثالثا لأن الاعتراف بإسرائيل وتوطيد العلاقات معها مناقض تماما لما تمليه روابط الدين والتاريخ والموقع الجغرافى والمصالح المتبادلة بين إيران والدول العربية .

إن هذا الاعتراف إنكار صريح لكل ذلك ونحد للعواطف الصادقة التى يتحسس بها

لعرب تجاه الشعب الإيرانى المسلم وهو فى الوقت نفسه مسعى لعرقلة الأهداف الوطنية التى تسعى من أجلها الأمة العربية والتى لا بد وأن يؤيدها فيها الشعب الإيرانى الجبار .

هذا بالإضافة إلى أن واقع الأحوال الاجتماعية والسياسية فى منطقة الشرق الأوسط - وإيران جزء منها - يدلل بوضوح على أن إسرائيل دخيلة فيها وستبقى مصدراً للاعتداء على استقلال العرب وحريتهم فآزرتها معنويا وتقويتها ماديا يجعلان من إيران شريكا فى استمرار العدوان على الأمة العربية ومبعثا للقلق وعدم الاستقرار فى بلاد الوطن العربى كافة .

إن العراق الذى تصله بإيران أكثر من غيره من الدول صلات الجيرة التاريخية الطويلة وروابط الدين والمصالح المشتركة ليعز عليه خاصة هذا التبدل المفاجىء فى موقف إيران من إسرائيل — التبدل الذى يمثل اتجاها سياسيا غريبا ينطوى على نكران لجميع الروابط التاريخية والروحية والاقتصادية والذى لا ينسجم وموقف إيران من قضية فلسطين ذاتها فى المحافل الدولية وخاصة فى الأمم المتحدة .

ولهذا كله ونظراً لاعتقاد العراق بأن له موقعا خاصا بالنسبة لإيران تقوم الحكومة العراقية الآن ببذل الجهود لدى الحكومة الإيرانية لإيضاح واقع الأمر . ولها وطيد الأمل بأن تستدرك إيران الخطوة التى اتخذتها بشأن اعترافها بإسرائيل بالأسلوب الذى من شأنه أن يعيد ثقة الأمة العربية بها ويرد إيران إلى حظيرة الدول الإسلامية التى يحدوها العمل من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل فى فلسطين علما منها بأن الشعب الإيرانى لن يرتضى فصم عرى الأخوة الإسلامية التى تربطه بالملايين من المسلمين من أجل شرذمة معتدية مارقة من اليهود الصهاينة .

الحزب الاسلامى فى العراق

ونشرت جريدة « الحياد » التى تصدر فى بغداد بتاريخ ٣ صفر « ٢٧ يوليو » فى صدر صفحتها الأولى بيانا عنوانه : « الحزب الإسلامى يؤيد موقف عبد الناصر من حكومة إيران » .

ثم نشرت بيان الحزب الإسلامى فى العراق على لسان رئيسه السيد الأستاذ نعمان عبد الرازق ، وهذا هو البيان .

الاعتراف جريمة :

لا شك أن نكبة فلسطين تحز فى قلب كل مسلم مخلص ، وعربى صادق لأنها اعتداء صريح على حقوق ثابتة ، وهى من وجهة النظر الإسلامية واجبة الرد حتى أن كل مسلم

لتأثم نتيجة بقاء هذا العدوان الآثم على حقوق العرب فى فلسطين . فمن المعروف أن الجهاد واجب على المسلمين كافة : رجالا ونساء ، إذا ما اعتدى على شبر من أراضيهم أية أرض كانت . وأن المرأة لتخرج للجهاد فى مثل هذه الأحوال دون إذن زوجها . ومن هذا التقدير للقضية . فنحن نعتبر الاعتراف بإسرائيل جريمة وكفرا بالاسلام ومبادئه التى توجب جهاد اليهود المعتدين ، وإخراجهم من الأرض المقدسة . ولا شك إن واقع الاعتراف كان أليما جداً ، كوقع تقسيم فلسطين .

ايران والاستعمار :

ومما لا شك فيه أن ارتباط حكومة إيران بالأحلاف الاستعمارية جعلها ترضخ للضغط الموجه عليها من قبل أولئك الذين أوجدوا إسرائيل ودعموها بالمال والسلاح والتأييد الأدبى . . ولا زالوا يدعمونها ، وما هذا الاعتراف إلا ثمرة من ثمار جهودهم الخسيسة فى هذا الميدان . كما أن فقدان التأييد الشعبى لحكومة إيران جعلها تلتزم جانب المستعمرين وتنفيذ مآربهم لتبقى فى الحكم . إذ لا سند لها من الشعب ... وأن الشعب الإيرانى الشقيق لن يقبل هذا التصرف الشائن ... ونرجو أن تستفتى حكومة إيران أن تستفتى الشعب فى هذه القضية .

إن حكومة إيران قد خسرت سمعتها ومكانتها فى الأوساط العربية والإسلامية وكشفت عن وجه صفيق وقصر نظر باعترافها هذا ، لأنها قد صدمت الشعب الإيرانى وأثارت غضب واستياء الشعب العربى والأمة الإسلامية ، ولم تربح سوى رضاء المستعمرين وبئسه من ربح .

ونحن نعتقد أن هنالك مجالا واسعا لسحب هذا الاعتراف وهذا أمر طبيعى فى العرف الدولى ، فإن هى أقدمت فسوف لا تخسر شيئا . بل العكس . فإنها سوف تتلافى هذه السقطة وتستعيد رضاء جميع المعنيين بهذه القضية الخطيرة .

موقف الدول العربية :

أما بالنسبة للدول العربية ، فإن قضية فلسطين هى أخطر قضاياها . ولذلك ينبغى أن تسارع إلى الاجتماع فورا لدراسة القضية واتخاذ موقف إيجابى موحد تجاه حكومة إيران فإما أن تسحب اعترافها ، وإلا وجب على الدول العربية جميعا أن تقاطع إيران وتسحب سفراءها ، وبهذه لا تكون متجاوزة الحدود المتعارف عليها دوليا .

موقف الحزب الاسلامى :

وإن الحزب الإسلامى درس القضية وأولاها كبير اهتمامه ، وقد أبرق إلى آية الله

البروجردى ، المرجع الدينى الأعلى فى إيران مستنكراً الاعتراف ، طالباً منه العمل لإحباطه وسحبه .

وإن الحزب ليأمل بأن الشعب الإيرانى سيحبط هذا التصرف أو يطيح بالعملاء والمأجورين فى أقرب وقت ...

برقية الحزب الاسلامى:

وهذه هى البرقية التى أرسلها الحزب الإسلامى فى العراق إلى سماحة السيد آية الله البروجردى كبير علماء إيران .

إيران — سماحة آية الله البروجردى المحترم :

السلام عليكم .

لا شك فى أن سماحتكم تعلمون أن الاستعمار الكافر قد اقتطع جزءا من بلاد العرب والمسلمين وسلمها لليهود وهذا ظلم وإجرام فاعتراف حكومة إيران بإسرائيل جاء تأييدا للظلم واسترضاء للمستعمرين وقطعا لعرى الإسلام فنحضكم على التوسط لسحب هذا الاعتراف وإلا تكن فتنة وفساد فى الأرض كبير وقطع للأخوة .

علماء الازهر يستنكرون

وقد استجاب العراق لنداء فضيلة الأستاذ الأكبر فى العمل على استنكار اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية . فقد أبرق كل من السادة الامام الجزائرى والامام السيد عبد الله الشيرازى وجماعة علماء النجف إلى السيد آية الله البروجردى ، كما أبرق السيد الامام محسن الحكيم إلى السيد محمد البهبهانى من علماء إيران ، مستنكرين اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية .

وفيما يلى نص البرقيتين :

برقية الامام الجزائرى إلى للسيد آية الله البروجردى .

اعتراف دولة إيران المسلمة بإسرائيل الباغية أوجب استياء كافة الطبقات . الكل ينتظرون من حضرتكم تدارك الأمر المسيء لعموم المسلمين .

عبد الكريم الجزائرى

برقية الامام السيد عبد الله الشيرازى إلى الامام البروجردى .

اعتراف دولة إيران برسمية اليهود الغاصبين شق لعصا المسلمين وجرح فى قلوبهم . فالمسلمون كافة ينتظرون بلهفة نهضتكم الجبارة وكفاحكم الصارم ضد هذا العدوان

عبد الله الشيرازى

بريد المجلة

الأشهر الحرم

وردت هذه الأسئلة على المشيخة الجليلة فأجاب عنها فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الأجوبة .

السؤال الأول :

ورد ذكر (الأشهر الحرم) كثيراً فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فما هى هذه الأشهر ؟ وما عددها ؟ وما معنى كونها حرما ؟

الجواب :

لقد قال الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

وهذه الأشهر الحرم أربعة : هى رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد (أى متوالية) وهذا بإجماع المسلمين .

ومعنى أنها حرم : أن الله سبحانه وتعالى جعل لها حرمة خاصة ، بحيث تغمد فيها السيوف ، ويقف فيها القتال ، وتحقن فيها الدماء . كما أن الله تعالى جعل الإثم والمعصية أشد أثراً فى ظلمة القلب وإبعاده عن الله عز وجل . وبالتالى تكون الطاعة وفعل الخير أشد أثراً فى تنوير القلب وقربه من الله سبحانه وتعالى . ولذلك قال الله تعالى - بعد أن ذكر هذه الأربعة الحرم - « ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . وظلم النفس محرم فى كل شهر وفى كل وقت ، ولكنه فى الأشهر الحرم أشد حرمة وأعظم خطراً .

السؤال الثانى :

لماذا اختيرت هذه الأشهر خاصة من بين اثنى عشر شهراً لتكون أشهراً حرما ؟

الجواب :

هذا شأن من شئون الألوهية ، فلله تعالى أن يختار ويصطفى من خلقه ما يشاء . ومن يشاء مفضلا بعضها على بعض ، كما قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

وقد رأينا آثار هذا الاختيار والاصطفاء الإلهى واضحة فى الأشخاص والأمكنة والأزمنة :

فى الأشخاص نقرأ مثل قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » .

وفى الأماكن نقرأ قوله سبحانه « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا . وهدى

للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ». وفى الأزمنة نجد الأشهر الحرم، وشهر رمضان.

وهكذا يؤتى الله فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ويمكن أن نلمس بعض الحكمة فى اختيار ذى القعدة وذى الحجة خاصة وهما يقعان فى زمن الحج: أن فى ذلك تأمين الطريق للحج، وتوفير الأمن والطمأنينة على من يؤمون البيت الحرام وفى هذا تيسير للحج وتشجيع عليه، كما أن اختيار (رجب) وحده وسط العالم فذلك ليكون مذكراً للإنسان ومتيحا له فرصة أخرى للسمو الروحى وارتفاع الإنسان عن ظلمه لنفسه أو لأخيه الإنسان.

السؤال الثالث:

ما الحكمة التى يرمى إليها الإسلام من إفراغ القدسية والاحترام على بعض الأزمنة كالأشهر الحرم، وبعض الأمكنة كالبلد الحرام؟

الجواب:

مبدأ احترام بعض الأزمنة وبعض الأمكنة مبدأ سام شرعه الله فى القديم وأقره فى الإسلام كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام. هو بمثابة هدنة إلهية غرس الله احترامها فى قلوب الناس ليمنحوها حقها من الكف عن المظالم والعدوان، فتشعر النفوس بلذة الأمن والطمأنينة، وتسعى إلى إزالة التوتر والتدابر والتقاتل والخصام، بوازع دينى تمتلئ به القلوب، وتخشى من مخالفته سطوة المالك للرقاب، المهيمن بقوته وجبروته على كل قوى متجبر، والمؤيد برحمته وعطفه لكل ضعيف مستعبد.

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن فى هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذى يغشاها وينتقل بين أرجائها ويطير فى أجوائها «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم».

وقد جاء فى السنة تحريم قطع أشجار مكة كما جاء تحريم قتل حيواناتها وصيده.

السؤال الرابع:

يجرى على ألسنة كثير من الناس - وربما حل عندهم محل العقيدة - أن عقد الزواج فى شهر المحرم أمر يمنعه الدين ويحرمه، فهل لهذا الاعتقاد أصل من الدين؟

الجواب:

لا يعرف الدين لشهر المحرم صفة سوى أنه مبدأ السنة الهجرية، وأحد الأشهر الحرم المقدسة. وهو بهذين الاعتبارين يذكرنا بأمرين عظيمين.

أولهما: الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة وهى الحدث الفاصل فى تاريخ الإسلام الذى فرق الله به بين الحق والباطل.

ثانيهما : إثارة الأمن والسلام المستمدة من المدنة الإلهية ـ هدنة الأشهر الحرم .

وأعتقد أن شهراً هذا شأنه لا يمكن أن يضيق صدره بالأعمال الطيبة التى من أبرزها الزواج ، بل إن مثل هذا العمل فى هذا الشهر الكريم يكون طالع يمن . وبشير خير وبركة .

أما ماشاع بين بعض المسلمين من تلك الاعتقادات الفاسدة فهو من آثار البدع الضالة والأوهام الباطلة التى انحرفت بالمسلمين عن الطريق السوى فى عهودهم الأخيرة .

وأولى لهم أن يعودوا إلى ماكان عليه سلفهم الصالح ، وماجاءت به شريعتهم المطهرة « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

حكم الدين فى استحضار الأرواح :

ما حكم الدين الإسلامى فى استحضار الأرواح ومخاطبتها للأحياء وكتابتها بخط يدها ما هى فيه وما جرى لها فى دار الجزاء كما يزعم بعض الناس ، لأنهم عند مباشرتهم لهذا العمل السيئ يضعون قلما وقرطاساً فى سلتهم ثم يقرءون عليها فيبدأ القلم يتحرك ويكتب على [illegible] كما ذكرنا .

وهذا موضوع قد كثر الخوض فيه وأثار الدهشة فى نفوس الناس ، وكاد بعض المسلمين يفتتن حتى بعض المنتسبين إلى العلم . ووجه كثير من الناس اللوم إلى علماء الدين لأنهم لا يبينون للناس وجه الحق فى أمثال هذه المحدثات التى لم تظهر من قبل .

شرق الأردن

محمد عبد الرحمن الخطيب :
مفتى ومرشد الكرك

« المجلة » : قال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

الروح هى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان ، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت إلى الحيوان والإنسان .

ولم يرد فى الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها وكانت فى نظر الدين كغيرها من سائر الأمور الكونية تركت للبحث البشرى يبحث عنها ويصيب أو يخطئ على حد سواء .

هذا ولقد خاض الإنسان قديماً وحديثاً مليا وغير ملى فى البحث عن حقيقتها . وأثرت عنه أقوال فيها وآراء . قال فيها الإمام الألوسى بعد أن ذكر جملة منها . وبالغ الناس

فى القول إلى ما يزيد عن ألف قول ،ثم قال: والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما وهو أن الروح جسم نورانى علوى حى مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس سار فيه سريان الماء فى الورد لا يقبل التحلل ولا التفرق . يفيض على الجسم الحيـــاة وتوابعها ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض وقد أيده ابن القيم ، وقال إنه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة .

والعلماء كما اختلفوا فى البحث عن حقيقة الروح اختلفوا أيضا فى موتها ، وبقائها ، وفى مستقرها بعد مفارقة الأبدان ، والذى ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت ، وأنها تبقى ذات إدراك ، تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتدرك لذة النعيم ، وألم الجحيم ، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله .

وعلى رغم كل ما جاء فيها فلا تزال حقيقتها من الغيب الذى لم يكشفه الله للإنسان ، وهى فى ذلك كـكثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه . وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص دينى .

وكما أنه لم يرد نص فى شىء من ذلك كله لم يرد فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان كما لم يدل عليه نص موثوق به أو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه ويعلنه بعض الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن البحث عن الحقائق بالاشتغال بالترهات والأباطيل ، كل ذلك لا يخرج عن كونه خداعا وإلهاءا بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره .

وما دامت الروح لا يمكن استغلالها ولا استحضارها فما يرى من حركة السلة أو اضطرابها فلا يخلو أن يكون اضطرابا لحاملها أو تأثرا بما امتلأ به خياله . أو هى حركة من حركات الجن وصلة الجن بالإنسان لا تعدو الوسوسة والتزيين على نحو ما يحدث للناس من الناس . يقول تعالى : فى سـورة الناس « من شر الوسـواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس».

بل إن الشيطان نفسه يحـدد ذلك فى نص القرآن .

« وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعـدتـكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » . وإذن فليس للجن مع الإنسان شىء وراء الدعوة والوعد والوسوسة والإغراء والتزيين «فوسوس لهما الشيطان» «وقال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين » .

هذا تحديد لما ابتلى به جماعة من الناس فى هذه الأيام مما بلبل أفكار كثير من شبابنا فهد كيان الفكر السليم وقوض أركان العمل المنتج وأضاع عليهم الوقت وقتل الزمن.

إن الذين يتأثرون بوسوسة الجن وإغوائهم إنما هم ضعاف العقول وضعاف الإيمان وأما أقوياؤهما فهم بعقولهم وإيمانهم بعيدون عن التأثر بها وقد استثنى الله من المتأثرين بها عباده المخلصين قال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

وأما ما وراء ذلك كله من استخدام الانسان لهم فى جلب الخير ودفع الشر واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب وغير ذلك مما يقع فى أوهام الناس فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .

أليس فى ايران مسلمون

جاء فى الصحف نبأ اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل رسميا ، وذكر النبأ أن الشاه قال فى مؤتمر صحفى : إن إيران لم يكن اعترافها بإسرائيل شيئا جديدا فقد اعترفت بالأمر الواقع منذ سنوات .

أما الخبر فى حد ذاته فقد عقد الألسنة عن الكلام . فإيران مسلمة لم تزل متمسكة بإسلامها وعلى رأسها ملك لازال يعتبر الإسلام دينا له . وفلسطين الشهيد هى أرض مسلمة أولا وقبل كل شىء ، والعجيب ان الشاه قرر أن إيران قد اعترفت بإسرائيل او بالأمر الواقع - كما زعم - منذ سنوات. ونعتقد نحن أن الاعتراف بدأ منذ أول يوم وقع فيه ميثاق بغداد المشئوم .

أن من حق شاه إيران ان يشغل صحافة العالم بأسره بمغامراته العاطفية. وان يشغله شهورا بزفافه الأخير ، ولكن بأي حق يملك أن يفرض على ايران المسلمة الاعتراف إسرائيل اللقيط ؟ فنحن نعلم أن ثورة مصدق التى انتزعته من عرشه وألقت به فى بغداد ، حركت الاستعمار الغربى لتعيده إلى عرشه وتلقى بالزعيم مصدق فى قاع السجن ، وليظل الشاه عميلا وفيا مخلصا متفانيا لرغباته ونحن نعلم أن الاستعمار كان وراء القضاء على جمعية فدائيان إسلام وشنق زعمائها ؛ لأنها الجبهة الوحيدة التى كانت تستطيع ان تقول للشاه ؟ « قف من أنت ؟ » وبذلك أسدى الاستعمار لعميله أجل خدمة . . .

ونحن نتساءل : ما موقف الإسلام من الشاه وحكومته بعد الاعتراف بإسرائيل رسميا ؟ .

وهل يتكرم علماء المسلمين فى كل بقاع العالم بإعلان رأى الإسلام فى هذا الشاه ؟ .

وأين الوعى العربى الإسلامى الذى هز أمريكا والغرب فى محنة البابرة كليوباترة « ومحنة مصر خلال العدوان الثلاثى » ؟ .

وإذا لم نجد من يجيب ، فهلا كان فى إيران المسلمة مسلمون يتحركون ؟ .

محمد عبد الله السمان

القاهرة

مجاهد فى سبيل الله :

[illegible] من العمر ثلاثة وعشرين عاما [illegible] مساحة المناجم بمعهد زيورخ بسويسرا مبعوثة من جامعة أسيوط . إنه المهندس محمد رجائى جودة الطحلاوى ، هاله أن يجد جهلا فاحشا بالدين الإسلامى ومبادئه . فأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله ، فعكف على القرآن الكريم ، وما تيسر له من كتب الدين يقرؤها ويتمثلها ، ويترجمها إلى القـــوم المتعطشين إلى المعرفة الإسلامية

وقد كان من نتيجة جهوده فى التعريف بالإسلام والدفاع عنه ، أن أعدت له الجامعات قاعات فسيحة لمحاضراته كما ساهمت الجرائد الألمانية بالنشر والشرح والدعوة إلى محاضراته .

فحبذا لو قام شبابنا فى الخارج بمثل ما قام به هذا الشاب المجاهد ، وقدروا الرسالة الملقاة على عاتقهم تجاه دينهم ووطنهم ، إذن لكسبت البلاد الخير الكثير .

ماء زمزم بين الدين والعلم :

جاء فى مجلة « نور الإسلام » التى تصدر عن إدارة الوعظ بالأزهر ما يأتى :

[illegible] ما يدل دلالة صريحة على فضل أو بركة . وهذا ما نص عليه الحافظ فى الفتح حين شرحه للحديث ، قال : كأنه لم يثبت عنده فى فضلها حديث على شرطه صريحا . وفى باب سقاية الحاج روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال صلى الله عليه وسلم : اسقنى قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ! قال : اسقنى . فشرب منه . ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : « اعملو فإنكم على عمل صالح . ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل

على هذه ، يعنى عاتقه ، وأشار إلى عاتقه » ؟ .

وفى هذا الحديث نجد العباس ـ وقد كان يشرف على السقاية ـ أراد أن يسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء آخر يجىء به ابنه الفضل من البيت ، وحجته فى ذلك أنهم يجعلون أيديهم فيه ، ولكن الرسول الكريم أبى إلا أن يكون أسوة للمؤمنين فلا يتميز عليهم ، بل يشرب مما يشربون ، ولم يكن النبى يرى فى الماء ضرراً أو يتوقعه . وإلا كان له موقف آخر ، إنما هو لون من التقزز أظهره العباس ، وكان عليه السلام أقوى على نفسه ، وأشد فى عزمه من أحاسيس المتقززين ، كما كان تواضعه يأبى عليه أن ينفرد بشىء عن سائر المسلمين . وفى رواية للطبرانى فى هذا الحديث أن العباس قال له : إن هذا قد مرث (أى أصابته الأيدى) أفلا أسقيك من بيوتنا ؟ قال : لا « ولكن اسقنى مما يشرب منه الناس » .

هل فى هذا الحديث شىء عن قدسية زمزم ؟ لا . كل ما فيه ما قاله ابن حجر : فيه الترغيب فى سقى الماء ، خصوصا ماء زمزم ، وفيه تواضع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكراهة التقزز والتكره للمأكولات والمشروبات . وأن الأصل فى الأشياء الطهارة لتناوله صلى الله عليه وسلم من الشراب الذى غمست فيه الأيدى .

٢ — أما صحيح مسلم فأبرز ما ورد فيه عن زمزم حديث أبى ذر « أنها طعام طعم » ومعنى « طعام طعم » أى يشبع من تناوله .

٣ — وروى أحمد وابن ماجة عن جابر حديث « ماء زمزم لما شرب له » . قال صيارفة الحديث : وفى إسناده عبد الله بن المؤمل ، وقد تفرد به وهو ضعيف ، وأعله ابن القطان به . وقد رواه البيهقى من طريق أخرى عن جابر وفيها سويد بن سعيد ، وهو ضعيف جداً ، قال فيه يحيى بن معين . « لو كان لى فرس ورمح لغزوت سويدا » وذلك لما يرى من خطره على الحديث . وروايته للمناكير .

٤ — روى الدارقطنى عن ابن عباس حديث « ماء زمزم لما شرب له : إن شربته تستشفى شفاك الله . وإن شربته لشبع أشبعك الله . وإن شربته لقطع ظمأ قطعه الله الحديث .. » والصحيح أن هذا الحديث من قول ابن عباس نفسه ، وليس مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وقد خطأ الحافظ فى التلخيص الراوى الذى رفع الحديث إلى الرسول . وحكم على روايته بالشذوذ ، ومخالفة الحفاظ الثقات . وإذا كان هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فهو مجرد رأى شخصى رآه ، لا يلزمنا اتباعه ، ولا الإيمان به معه . ولا حجة فى أحد دون رسول الله .

٥ — روى البزار عن أبى ذر حديث «زمزم لطعام طعم وشفاء سقم» وصحح المنذرى إسناده ورواه كذلك الطيالسى فى مسنده

ولعل هذا هو الحديث الفذ الذى يمكن أن يستند إليه فى شأن زمزم وماءها وأنه طعام وشفاء ، ولكن هل يعنى هذا الحديث حمايتها من الخضوع للقوانين العامة فى الكون؟ وهل ينفى أن يعرض لها التلوث بسبب ما وفق سنن الله المطردة ؟ . وإذا أثبت التحليل العلمى الصحيح أن ماءها قد اعتراه تلوث يخشى ضرره على الشاربين ، فهل نكذب نتيجة العلم اعتقادا منا أنه ينافى هذا الحديث؟ والحديث ليس قطعى الدلالة ولا الثبوت ، وبخاصة أن كلمة « شفاء سقم » لم ترد فى أحد الصحيحين ولا فى كتاب من الكتب الستة المعتمدة .

وهنا أمران لابد أن نقررهما فى هذا المقام :

أولهما : أن الشرب من ماء زمزم ليس من مناسك الحج أو سننه فى أى مذهب من المذاهب المعروفة لدى المسلمين . بل قد نقل أن عبد الله بن عمر لم يكن يشرب من ماء السقاية فى الحج — مع شدة تمسكه بالسنن واتباعه للآثار — وقد علل هذا منه بأنه خشى أن يظن الناس أن ذلك من تمام الحج .

وقد استدل بعضهم على استحباب الشرب من ماء زمزم بأحاديث شربه عليه السلام منها . ودفع هذا آخرون بأن ماء الشرب أمر جبلى ، فلا يدل على الاستحباب إذ لا تأسى فى الأمور الجبلية . ى . ق

النحو الجديد :

جاءنا من الأستاذ صبح سالم صبح المدرس بالعباسية الثانوية ، بالإسكندرية تعقيب على ما نشره الأستاذ على العمارى فى مجلة الأزهر حول الطريقة الجديدة فى دراسة النحو التى تسير عليها وزارة التربية والتعليم ، ومما جاء فى هذا التعقيب :

١ — يقول الأستاذ العمارى إن وزارة التربية والتعليم فرضت على التلاميذ دروسا فى النحو هى مجرد آراء فردية وكان الواجب ألا تبيح الوزارة هذا حتى ترجع إلى المجامع اللغوية وإلى الهيئات العلمية التى تعنى بدراسة النحو العربى .

ولو قرأ الأستاذ المحاضرات التى جمعت فى كتاب (توجيهات حديثة فى النحو) لوجد فيها تاريخا أمينا للموضوع .

٢ — يقيس الأستاذ النحو على الطبيعة والكيمياء ، ورأيه أنه كما لا يمكن أن يرى جماعة رأيا فى الطبيعة والكيمياء فيؤخذ به كذلك لا يمكن أن يتناول النحو على هذا النحو .

ولست أدرى كيف يستقيم هذا القياس ؟

ومن قال: إن طبيعة النحو من طبيعة الكيمياء؟ إن علم النحو علم نظرى اجتهادى يقوم على الشواهد التى يقوى بعضها إلى حد الاعتماد عليه وتضعف بعضها ... ولذلك اختلف النحويون ، أما الكيمياء فعلم تجريبى يخضع للمشاهدة التى لا مجال فيها للشك او التقول .

٣ ـ يتحدث الناقد عن كتاب (إحياء النحو) باعتباره محاولة تجديدية قائلا : وكان على الوزارة أن تأخذ عبرة من كتاب إحياء النحو فإن هذا الكتاب أحدث دويا فى الأوساط العلمية ولكن أحـــدا لم يأخذ بالنظريات التى جاءت فيه ، ولم تستطع هذه النظريات أن تأخذ طريقها إلى أية هيئة علمية فتدرس فيها دراسة علمية .

والحقيقة أن هذا الكتاب يدرس ويعنى به فى جميع الكليات الجامعية التى تعنى باللغة العربية وله قيمته التى لا يمكن أن يستهان بها.

٤ ـ ومما يثير الدهشة قول الناقد : أما أن أستاذا أو مجموعة من الأساتيذ يفرضون آراءهم على آلاف مؤلفة من المتعلمين الناشئين ليقولوا لهم : إن هذا هو العلم ولا علم سواه، فذلك أمر خطير جد خطير .ذلك أنى أعرف ويعرف الناس أن هؤلاء الأساتيذ الذين يعنيهم الناقد يمنعهم التواضع العلمى، والحرص على الحقيقة أن يقولوا مثل هذا القول، وأن الأستاذ صاحب النحو المنهجى بالذات يعترف بكل صحيح من البحث غير أنه يختار أنسب الآراء التى توافق عقلية الطلاب فى مراحل الإعداد والتنشئة ويدع ما عداه لمن أراد التخصص .

ولا شك أن الأستاذ الناقد يعانى كثيرا من المشقة والجهد حين يتناول النحو العربى على طريقته القديمة .

المستثنى بإلا :

وجاءنا من الأستاذ على بن يحيى بحضرموت تعقيب على مقال الأستاذ محمد عضيمة (دراسات فى أسلوب القرآن) . والمعقب يرى أن رفع المستثنى فى الكلام التام الموجب وجه جدير بالتقدير لأنه هو الذى يتخرج عليه ما وجد من الرفع بعد إلا فى الكلام التام الموجب من صحيح الكلام العربى من غير تعسف، ومقاله تأييد لهذا الوجه ، ومما جاء فيه :

نحن نؤيد القول الذى يجوز إعراب ما بعد إلا مبتدأ فى بعض الأحوال الظاهر فيها ونرجحه بما يأتى :

أولا ـ أن النحاة قد صرحوا بوقوع الجملة الإسمية بعد إلا ، وذكروا شواهد من الكتاب والسنة .

ثانياً ـ ومن صرح بذلك ابن هشام في المغني، حيث أضاف إلى الجمل التي لها محل من الإعراب الجملة المستثناة ومثل لها بقوله تعالى: «لست عليهم بمسيطر. إلا من تولى وكفر».

ثالثا ـ قال ابن مالك في التوضيح على الجامع الصحيح عن المستثنى بإلا من كلام موجب أنه ينصب مفردا أو مكملا معناه بما بعده، ولا يعرف البصريون إلا النصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر أو محذوفه، فمن الأول قول أبي قتادة (أحرموا إلا أبو قتادة) فإلا بمعنى لكن، وأبو قتادة مبتدأ، ولم يحرم خبر. ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى إلا المجاهرون.

رابعا ـ يؤيد ما قلناه من وقوع الجملة الإسمية بعد إلا أنهم اعترضوا على تعريف المتصل بدخول مثل قوله تعالى: «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» مع أن الاستثناء منقطع، لأنه لم يحكم فيها على ما بعد إلا بنقيض ما قبلها كما هو حال المتصل. فقدروه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا

خامسا: جعل المتأخرون ما بعد إلا في المنقطع مطلقا مبتدأ خبره محذوف وإلا بمعنى لكن معنى وعملا ونقل ابن الحاجب في ذلك الإجماع.

سادسا: حدد ابن هشام في المغني القراءة السبعية في «إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم» بالرفع، وجعلها استثناء من أهلك، وجملة من مبتدأ وخبر.

ملحوظتان:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد رده ابن القيم في فوائده، وهو من حفاظ السنة.

أنباء الأزهر

الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية بمناسبة رأس السنة الهجرية وعودة سيادته من اليونان ويوغسلافيا :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فإن من يمن الطالع أن تقترن عودتكم المباركة بعد رحلتكم الميمونة بمطلع عامنا الجديد عام الهجرة التي أيدت الحق وأيد الله الحق بها.

وإني بهذه المناسبة وباسم الأزهر علمائه وطلابه أهنئكم بمقدمكم الكريم ، كما أهنئكم بالعام الجديد داعيا الله أن يديم لكم التوفيق وأن يجمع العالم على المحبة والوئام والسلام وأن يؤيد المسلمين ويقوى شوكتهم وينصر العرب في كل جولة من جولاتهم وفي خدمتهم لمبادئ العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية يشكره فيها على التهنئة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فقد تلقيت البرقية المعربين فيها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه عن أخلص المشاعر وأكرم التهاني بمناسبتي رأس السنة الهجرية والعودة من اليونان ويوغوسلافيا ، وإني إذ أبعث إليكم وإلى الجميع بأصدق الشكر أرجو لكم موفور الصحة وأطيب الأماني .

جمال عبد الناصر

حول الطلاق وتعدد الزوجات :

كان فضيلة الأستاذ الأكبر قد أرسل برقية للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يشكر فيها لسيادته موقفه من موضوع الطلاق وتعدد الزوجات ، فتلقى فضيلته من سيادة الرئيس البرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فإنى أشكركم أصدق الشكر على برقيتكم وفقنا الله إلى ما فيه الخير والإسعاد لشعب الجمهورية العربية المتحدة ويسرنى أن أبعث إليكم بأخلص تمنيات الصحة والسعادة .

جمال عبد الناصر

فى العيد الثامن للثورة :

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس البرقية التالية فى الشكر على التهنئة بالعيد الثامن للثورة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد

فإنه يسرنى أن أعرب عن أخلص الشكر لكم وللسادة علماء الأزهر وطلابه على ما تضمنته برقيتكم من كريم المشاعر وصادق التهانى بمناسبة عيد الثورة داعيا الله أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه رفعة الوطن العزيز ودعم بنيانه ، كما أننى أبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة والسعادة راجيا لكم وللجميع التوفيق والسداد فى خدمة العروبة والإسلام .

جمال عبد الناصر

سكرتير تحرير مجلة الأزهر :

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بندب السيد الأستاذ محمود الشرقاوى مراقب كلية اللغة العربية سكرتيراً لتحرير مجلة الأزهر .

قسم للصحافة بالأزهر :

قررت مشيخة الأزهر إنشاء قسم للصحافة يلحق بكلية اللغة العربية ، وتقرر أن تبدأ الدراسة فى هذا القسم بكلية اللغة العربية ابتداء من العام الدراسى المقبل ١٩٦١/٦٠ ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويلتحق به خريجو كلية اللغة العربية بعد اجتيازمسابقة تعقد لهم .

رواد الأزهر :

اتصلت الشئون العامة بالأزهر بجميع المعاهد الدينية لإرسال الكشوف الخاصة بالسادة الرواد لتتم الإجراءات المتعلقة بإعداد المعسكر الذى سيقام بمدينة البعوث الإسلامية .

فى لجنة العادات والتقاليد :

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على ندب فضيلة الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد عضواً بلجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل . وهى اللجنة التى تعمل على تنظيم الاحتفالات الشعبية وخاصة الموالد ، بحيث تتفق وأهداف مجتمعنا الجديد ، وللقضاء على البدع والخرافات والعادات السيئة المنتشرة بالموالد وتعمل على نشر وتثبيت العادات الحميدة فى هذه الاحتفالات والموالد .

الكتب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — محمد بن عبد الوهاب :

مما لاريب فيه أن الحركة الوهابية لم تزل بكراً ، وأن وضعها فى التاريخ لم يحدد بعد ، شأنها فى ذلك شأن الحركات الفكرية التى لازمتها الثورات المسلحة ، والذين قدر لهم أن يكتبوا عنها إما أتباع لها متعصبون ، وإما أعداء لها متطرفون ، وإما أجانب ذوو أهواء إزاء الحركات الإسلامية بأسرها .

وحين قرأت مؤلف الأستاذ الخطيب عن « محمد بن عبد الوهاب » من الغلاف إلى الغلاف وبدقة وإمعان أكبرت المؤلف والمؤلف ، فقد جاء الكتاب على ما فيه من إيجاز مركز صورة معبرة بصدق عن محمد بن عبد الوهاب وحركته ، وألم إلماما شاملا بمراحل حياتهما ، وكان الكاتب مؤرخا نزيها أحاط بأدق المعانى وأعمقها ، وترك لقلمه العنان يصوغ لنا بحثاً تحليلياً عن الحركة الوهابية فى غير تعصب أو تزمت أو مجاملة .

والمؤلف يرى أن الحروب الوهابية معركة رأى ، وتعد من المعارك القليلة التى قامت على الرأى فى التاريخ الإسلامى ، وأن هزيمة الحركة الوهابية فى حروبها ليس دليلا على عدم جدارتها بالبقاء ، لأن التاريخ الذى يقف دائما فى صف المنتصر حين سطر حكمه عليها لم ير من آثارها إلا أشلاء متناثرة وبيوتا متهدمة .

ويرى المؤلف أيضا أن الحركة الوهابية كانت نتيجة لازمة لمقدمات صحيحة اقتضتها حال المسلمين ودعت إليها ، فقد كانت العقيدة الإسلامية فى الجزيرة العربية أشبه بالتقاليد والعادات فوق ما دخل عليها من الأوهام والأباطيل . إلا أن هذه الدعوة أخطأت فى أخذ الناس بالأسلوب الحاد العنيف . دون أن تدخل فى حسابها الأثر النفسى الذى يطغى على شعور المسلمين ، وفيهم جذور عميقة من موروثات وتقاليد لا يمكن أن ينفصل عنها المرء بين يوم وليلة .

كنت أرجو أن يتحدث باستعياب عن حملة محمد على للقضاء على الحركة فى الجزيرة العربية ليوضح لنا فكرة المؤامرة على الإسلام . بدافع الشره من جانب محمد على وإن كان التاريخ يجل لمحمد على صفحة سوداء فى قضائه على المماليك فى مذبحة القلعة ، فإن هناك صفحات سوداء يجب أن تسجل عليه فى قضائه على الحركة الوهابية .

وكنت أرجو ألا يغفل الأستاذ المؤلف ، أن الحركة الوهابية بدأت حركة إسلامية عربية ذات مبادئ وأهداف .

٢ ـــ الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة :

كتاب الأستاذ مالك الجديد دراسة عميقة للصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة ، مستمداً براهينها من تجربة شخصية أضاءت الموضوع من الداخل بضوئها الخاص ، وهو يرى أن بعض الأشياء لا يجدى الحديث عنها إن لم يكن برهانه مستمداً من تجربة شخصية ، ومن هذه الأشياء الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة ، وقد عودنا المؤلف العلامة أن تمتاز مؤلفاته بطابعين أصيلين :

أولها : التعمق فى الدراسة والتحليل ، والعناية التامة بالإسلام كقضية ، يجب على كل مسلم أن يظل مدافعاً عنها .

جاء الكتاب فى ستة فصول : عموميات عن الصراع الفكرى ، فى حلبة الصراع ، تركيب آخر لمرآة الكفاء ، مظاهر أخرى للصراع الفكرى ، على هامش كتاب حياة الأفكار وقيمتها الرياضية ، ويرى المؤلف أن الصراع الفكرى بدأ يأخذ طابعه فى البلاد المستعمرة قبل نصف قرن على الأقل كعامل على امتصاص القوى الواعية فى تلك البلاد حتى لا تتعلق بفكرة مجردة محاولا تعبئتها لحساب فكرة متجسدة . كما يرى أن الغموض يكون العنصر الأساسى الذى يميز الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة . وأن الاستعمار يبذل جهوده فى إحاطة هذا الصراع بالغموض

ويرى المؤلف ثالثاً : أن التاريخ السياسى الحديث فى أى بلد مسلم يجعل أن الاستعمار يستغل الأوضاع النفسية ، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير ، ويغذى شهوات القادة والمسئولين ، وأن للاستعمار إخصائيين يشرفون على الصراع الفكرى ، ويركبون أجهزة خاصة لتحطيم الأفكار كما يركب العلماء المختصون فى علم المواد المشعة أجهزة لتحطيم الذرة ، وأن هـذا الاستعمار فنان بارع فى موسيقى الصراع الفكرى ، فهو يبدع فى سمفونية هذا الصراع ، إذ هو ينسجها من الخيال . ثم يبلغ إيقاعها الساحر عن طريق الإيحاء . وفى خاتمة الكتاب يتمنى الكاتب أن تقوم فى بلادنا رابطة من المثقفين لكشف هجمات الاستعمار على الجبهة الفكرية . حتى لا تبقى الأفكار معرضة لتلك الهجمات دون نجدة ولا مدد .

هذا أول كتاب ينتجه المؤلف باللغة العربية فقد عودنا أن يكتب بالفرنسية ، وبعض الأخطاء اللغوية المعدودة لا تقلل من قيمة الكتاب الفكرية ، فالكتاب دراسة عميقة تخللتها النظريات الرياضية كسند لمنطق الأفكار .

٣ ـ روائع اقبال :

الأستاذ أبو الحسن الندوى من الأعلام المبرزين والعلماء المسلمين العاملين فى ميدان الفكر الإسلامى بالقارة الهندية ومؤلفاته الإسلامية باللغة العربية تعتبر فى الطليعة ، وفى مقدمتها : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

أما كتابه الأخير عن « إقبال » فهو ترجمة أصيلة لبعض روائع إقبال الشعرية بالنثر وهو يختلف عن ترجمة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذى ترجم الشعر بالشعر ، ويقول الأستاذ الندوى تعليقا على هذا : « إن ترجمة الشعر بالشعر يكاد يفقد شعر إقبال قوته وانسجامه ، وليس هذا راجعا إلى ضعف فى الترجمة فمقدرة الدكتور عزام لا تحتاج إلى دليل . إلا أن ترجمة الشعر بالشعر تضفى على هذا العمل الأدبى نوعا من الغموض » .

والأستاذ الندوى التقى بإقبال وتعرف عليه عن كثب ، وتأثر بشعره كل التأثر ، ورأى أن ينقل روائعه إلى العالم العربى وفاء للرجل العظيم ، واختار من شعره : برلمان إبليس ـ إلى الأمة العربية ـ فى جامع قرطبة ـ فى أرض فلسطين ـ دعاء طارق ـ نياحة أبى جهل ـ [illegible] ـ فى مدينة الرسول ـ ساعة مع السيد جمال الأفغانى ... » .

قدم لترجمة هذه الروائع بتمهيد تحدث فيه عن صلته بإقبال وشعره ، وعن إقبال شاعر الإسلام . وعن العوامل التى كونت شعر إقبال ومنها : مدرستا الثقافتين : العصرية والإسلامية ، والقرآن الكريم ، والغوص فى أعماق النفس ، واتصاله بالطبيعة من غير حجاب ، وفى هذا التمهيد تحدث المؤلف عن نظرة إقبال إلى التعليم العصرى ، وعن الإنسان الكامل فى نظره ، كما لم يفت الأستاذ الندوى أن يمهد لكل قصيدة بملخص لفكرتها وهدفها ، مما يجعل القارئ يعيش مع الشاعر فى روحانيته الصافية .

والمؤلف يذكر فى مقدمته : « أن أعظم ما حمله على الإعجاب بشعر إقبال هو : الطموح والحب والإيمان ، حيث يحكى فى هذا المزيج الجميل فى شعره أعظم مما يحكى فى شعر معاصر » .

والشجاعة الأدبية التى عرف بها المؤلف ، جعلته يقول فى مقدمته : « إنى لا أعتقد فى إقبال عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهادا فى الدين ، وقد كانت له أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها . وإن جل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق فى هذا العصر » .

ونحن نقول : حسب إقبال عظمته أنه كان صاحب فكرة واضحة وعقيدة جازمة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها ، وعن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار . وهذا ما لم ينكره المؤلف المبجل فى نفس مقدمته ... !

اقبال :

المؤلف شاب وأديب مطبوع . قدم المكتبة العربية مجموعة من البحوث والقصص نال معظمها جوائز وزارة التربية وغيرها ومنها: كتاب إقبال الفائز بجائزة وزارة التربية عام ١٩٥٧ ، والعجيب أن المؤلف كتب جل بحوثه بين جدران السجن ، حيث الفراغ والعوامل النفسية لهما أثرهما فى كل ما كتب ، وهو يقول فى مقدمة كتابه من إقبال : (إنه سطر هذه الصفحات عن إقبال أول من دعا إلى إقامة باكستان الاسلامية ، لأن فلسفته وشعره ونمط حياته وقصة كفاحه ، كل أولئك جدير بأن يقرأه شبابنا وخاصة فى هذه الفترة الدقيقة التى تجتازها بلادنا الحبيبة .

تحدث المؤلف عن الهند عام ١٨٧٣ حيث الصراع على أشده بين الاسلام والبرهمية ، وحيث ولد إقبال ، وفى الفصل الثانى عن العلم والعمل حيث كان إقبال « يلتقط الآراء السليمة والحكمة العالية والأفكار المستحدثة وغير المستحدثة . فينقدها ويفندها ويردها إلى أصولها » .

أما فى الفصل الثالث فقد تحدث عن فلسفة إقبال التى نبعت فى عقله ، وعن بواعث ودوافع هذه الفلسفة التى أشعلتها وجعلتها ملتهبة كالنار ، حمراء كالدم ، وأولها أن الناس يجب أن يعودوا إلى ذاتهم فلا يحرصوا على الحياة وثانيها أن عقيدتهم يجب أن تتحرر مما شابها ، وثالثها التحرر من الاستسلام ، والايمان بالحظ ، واليأس والرهبنة ، وخاتمة المطاف التهام ثقافة الغرب دون فحص أو تمحيص . وكان هدفه من فلسفته أن يكون للمسلمين وجود .

والمؤلف يحدثنا عن : إقبال والفن ، وكيف أن إقبال تذوق الفن وآمن به كباعث للنور فى دياجى الحياة ، وفى الفصل الخامس عن إقبال والمرأة ، وكيف اعتبرها مخلوقا بشريا له احترامه وتقديسه ، وليست حيوانا حقيرا كما زعم البراهمة ، وفى الفصل السادس والأخير : تحدث المؤلف عن النزعات الانسانية فى شعر إقبال ، وكيف نظر إقبال بعين الحقيقة والواقع إلى العالم الحديث فى أمراضه وأدوائه ، فوضع فلسفته الخالدة التى ارتآها لأنها وقود الخلاص وروح البعث الانسانى ، والتزم فيها جادة الاسلام ، واتخذها سبيلا إلى الحرية بعد أن درس وبحث وفكر . . » .

إن الأستاذ الكيلانى قدم لنا دراسة شاملة عن إقبال وفلسفته ، صاغها فى أسلوب أدبى رفيع .

الفهرس

صفحة

١٢٩ ليس بعد الدين وازع
للأستاذ أحمد حسن الزيات

١٣٣ الشورى فى الإسلام
لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

١٣٧ أوزان الشعر العربى
للأستاذ عباس محمود العقاد

١٤١ الاستعمار فى الشرق الأوسط
للأستاذ الدكتور محمد البهى

١٤٧ الكرامة والعزة فى القرآن الكريم ـ ٣ ـ
للأستاذ محمد محمد المدنى

١٥٢ الدين و قومية فى إفريقيا الجديدة
للأستاذ محمود الشرقاوى

١٥٩ الإمام عبد المجيد سليم « بقية السلف الصالح فى القرن العشرين »
للأستاذ محمد رجب البيومى

١٦٦ العصر الذهبى للتصوف الإسلامى
للدكتور محمد غلاب

١٧١ الإسلام فى أستراليا
للأستاذ عطية صقر

١٧٦ من شعراء الوحدة : القاضى الفاضل
للأستاذ على العمارى

١٨٤ كيف نصلح النحو العربى ؟
للدكتور عبد الله درويش

١٩٢ أزهرى فى روسيا
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

١٩٥ الدين فى عصر الحضارة الصناعية
للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان

٢٠٢ حول الخطوة الثانية
للأستاذ عبد الرحمن العدوى

٢٠٥ الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
للأستاذ عباس طه

صفحة

٢٠٩ لغويات : « فعيل فى معنى مفعول » :
للأستاذ محمد على النجار

١٢٤ رأى فى نبى الإسلام بين الأنبياء
للأستاذ عباس محمود العقاد

٢١٨ فى سبيل الوطن (مسرحية وطنية)
للأستاذ إبراهيم محمد نجا

٢٢٣ آراء وأحاديث : لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر : المسلمون فى الفيليبين ـ فى مدينة البعوث الإسلامية ـ بعثة الحج الصينية ـ والبعثة الروسية ـ المسلمون فى سيام ـ وفى باكستان ـ من الإقليم الشمالى ـ كاتب إيرلندى كبير ـ مفتى المالكية فى الأحساء .

٢٢٩ العالم الإسلامى يستنكر اعتراف الشاه بإسرائيل : اجتماع كبير بمشيخة الأزهر . الأزهر والمؤتمر الإسلامى ـ مؤتمر الهيئات الإسلامية ـ كلمة الأستاذ الأكبر ـ جبهة علماء الأزهر ـ المجلس الصوفى الأعلى ـ جماعة التقريب ـ الجامعة العربية فى لبنان ـ وباكستان ـ وأندونيسا ـ حكومة العراق تستنكر ـ الحزب الإسلامى فى العراق ـ الاعتراف جريمة

٢٤٣ بريد الأزهر : تطور فى العراق ـ الأشهر الحرم ـ حكم الدين فى استحضار الأرواح ـ مجاهد فى سبيل الله ـ ماء زمزم بين الدين والعلم ـ النحو الجديد ـ المستثنى بإلا .

٢٥٤ أنباء الأزهر : الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس ـ حول الطلاق وتعدد الزوجات ـ فى العيد الثامن للثورة ـ سكرتير تحرير مجلة الأزهر ـ قسم للصحافة بالأزهر ـ فى لجنة العادات والتقاليد

٢٥٦ الكتب : محمد بن عبد الوهاب ـ الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة ـ روائع إقبال

have different points of view, unanimously agree that their nation should remain independent sovereign Arab state having its own ideals and values.

Thus when we borrow from others their way of thinking, their way of life and their means which leads to civilization and progress, we take only what we deem it good enough to help develop ours not to drag us away from our heritage.

Arab Nationalism thus is the framework of all our activities. It is not only a factor of awakening but also of outlining our obligations towards our society as well as our rights therein and of clarifying our relationships with others. It is not a provincial call which seperates Arab people from the whole of mankind to make them superior to any other people. But it is a call to maintain the spicific characteristics of Arab nation in order not to be melted in or absorbed by any nation. It is only meant to preserve the independance of Arab people, ascertain well understanding between them and others and urge them to uphold modetlys their glories. Arab nationalism therefore is a philosophical doctrine not a temporary political movement. It is an intellectual ideology and a mood of conduct simultanuously.

The more we are conscious of this ideology, the stronger is our resistance of imperialism. It is clear then that Arab Nationalism and imperialism can by no means be allies.

However, in our society as well as in our daily life there are still some remnants left over by imperialism which had been previously from amongst its main objectvies. The more unity and brotherhood flourish, the use of the standard Arabic prevails and the faith in our spiritual values and ideals increase; the lesser these remainders become until they entirely vanish. On realizing this goal there will be no longer imperialism but comprhensive independance which preserves dignity and prestige of all individuals and facilitate the road for them to lead a course of dignified life in which mutual co-operation and good understanding prevail.

domination. This is simply because the Jews' main interest, which is nothing but the investment of their capitals, imposes on them to live scattered all over the entire world in order to employ their wealth in the different sections of the various countries. The easiest way to achieve such an aim is the non-concentration of their capitals on a limited land or a narrow area serving only the few millions of population. The history of the Jews as well as their psychological characteristics, which control their characters, show us without any doubt that their principal concern is thoroughly devoted to the increase of their wealths through the taking of usury not to maintain the sovereignty or the power or the dignity of the state.

The rôle of Arab Nationalism:

The role of Arab Nationalism might be conceived as the decisive factor which helped in the extirpation of seeds of sectarianism and fanaticism, and which diverted the attention of the Arabs into the characteristics which form the general structure of the Arab society and its peculiar personality. It is Arab Nationalism that aroused the Arabs from their slumber and referred them to their history with all its glories and heroisms, to their intellectual heritage throughout the ages and to their spiritual and ever-lasting values as ordained by the Heavenly message. The impact of Arab Nationalism has not been undoubtedly a slight one. It has awakened a nation, integrated a people and proved that the Arab natoin, from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf, is an integral whole. It has expunged all traits of discord and the artrficial demarcations which imperialists had made long time ago.

Therefore Arab Nationalism is to us a revival movement and a linking chain between our present and past. The philosophy of Arab Nationalism stipulates that we are only Arabs united and not influenced by fanaticism or sectarianism; and that our homeland includes all territories stretching from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf.

Arab Nationalism as well defines the intellectual trends and noble objectives of the Arab society. According to this ideology our intellectual outlook should emanate from our traditions as well as our present existence, and our values, which enjoin unity and consolidation of our nation, should spring from our glorious history.

Arab nation, however, welcomes peace and opposes subjugation and aggression. All Arabs, though they

Moreover, imperialists search for other reasons which help increase dissensions and dissolution of the people. They search for the ideolagies and doctorines in which people believe, go back to the past to look for the origins to which people belong and study history to find out successive civilizations which people had passed by in order to revive the tendency of ideological, tribal and cultural fanaticism. What imperialists were actually doing in the northern region of the United Arab Republic is good enough to prove this argument. Apart from their encourgement of the use of colliqual language and the negligence of the classical language, from their glorification of secular education and from looking sarcastically at religious tuition and at the institution wherein religious teachings are being studied i.e., Al-Azhar, Imperialists had been attempting to arouse Pharaoic fanaticism and disregard Arab Nationalism. Semilarly they had been trying hard to arouse Assyrianism in Syria. Moreover, imperialists had been exerting unflagging efforts to awaken sectarian dissension between the Sunnis and the Shiis on the one hand, and to put a wedge between Muslims and Christians on the other hand.

They had been trying the same in Iraq - between the Sunnis and the Shiis, and between the Arabs and the Kords - ,in Libya between the Sunnis and the Abadis, in Morocco and Algeria betwaen the Arabs and the Barbers and in the Sudan between the followers of Al-Mahdi and those of Al-Marghani, and between the northerners and southerners.

Imperialists have realized lately that their treachrous conspiracies as well as their filthy trials were exposed to and foiled by the occupied countries as a result of their vigilance of the unifying factors such as Arab Nationalism in the domain of Arab world or as the call to Islam as a comprhensive way of life as is the case in Pakistan. Therefore colonialists have creafed a lot of disputes quite enough to consume a great deal of the political as well as economical activities of the occupied countries and which stand as a permanent source of peril threatening any country which seeks emancipation from the fetters of imperialism. To carry out its new plan imperialism has created many disputes; Israel in the middle east, for instance, and Kashmir in Central Asia.

However, Israel was not existed to be a nation but to be a lasting source of danger directed against all Arab nations if they ultimately attempt to terminate western trusteeship and get red of foreign political and economical

the sublimity of human values.

This is simply because the human values emanate from man's moral standard and his sublime conduct as regards his relationship with other men which should be erected on co-operative, fraternal and amical foundations; whereas the advanced standard of industrial civilization is a mere result of machine and the mass production of industry. Inspite of the fact that such machine is invented and directed by man, yet it is not necessary that this man should have a benevolent heart which is above selfishness and egoism.

Actually any people, when allured or instigated to quit their traditional past and believe in new ideas, are not at the same level. Some individuals have no resistence and consequently yield to such temptation and move heedlessly forward under the force of instigation; meanwhile some other individuals hesitate before they accept such propaganda and stick to their own traditions as an expression of their opposition to such an enticement.

The logical conclusion of such divergence of views is the disintegration of people's unity and the creation of two diverse trends; the traditional group which upholds the old values and the modern one which embraces the modern ideas and shuns their old traditions.

The decomposition of the colonized people as such mentioned gives rise to conflict between the inconsistent parties. Imperialists then seize this opportunity to sow the seeds of dissinsion among people by supporting a party against another in a bid to widen the gap between them and thus stimulate sectarian conflict. Imperialists, when supporting their favourite stooges, employ them to carry out their imperialistic policy, while their antagonistic attitude towards the national elements means that they are no longer fit for modern life.

As soon as colonialists propagate their own language amongst their clients, the latter hasten to abandon their inherited language and use either this new imperialistic tongue or a mortal accent of their original language. This misuse of language leads to the weakening of bonds between the generations which rise and grow under trusteessip of imperialism and their initial languagein such a way that makes it looses its characteristic as an outlet therby the rising generations can overlook their past. And this is because it is no longer valid for such a purpose as long as the validity of any means lies in the possibility of making use of it.

intellectual and spiritual heritage, their language, thir history their deep-rooted traditions and the foundations upon which their society is built in such a way that realizes severing the rising generations from such traditions, heritage and values, and weakening their grasps of their language and arts. Bye and Bye they will forget completely their past and abandon their traditional values. They will even feel ashamed to be related to such past or to mention such values or to use their own language. Consequently they will pay no attention to all these characteristics.

On realizing these ends, the imperialits step forward to win the people to the side of their principles, their way of life and their way of thinking. They as well circulate their own language, literatures and arts. As there is almost a gap between the colonists and the colonized countries in the field of economy and the standard of living of individuals, the imperialists always seize this opportunity to give evidence of their superiority as regards human values and degradations of human values amongst the colonized nation. Hence they create in the colonised countries an inclination to imitate their way of life and a desire to get rid of their own. This tendency in turn has an effect upon the past, legacy and values of the exploited countries. They often look upon this past with a scornful glance and hold it responsible for their backwardness.

The impact of the industrial nations of to-day upon the backward nations in the field of industry is another example. It arouses a feeling amongst those nations that the superiority of industrialists is due to their advancement in the industrial civilization. Thus they are tempted to accept their values and ideals or at least they are conditioned to accept them. However, there is no tempting factor other than the said gap between the two parties. Such temptation has led so many Africans and Asians to fall under the ferule of such impact and to believe sometimes in the American civilization and thus stick to its human values, and to believe some other time in the Russian industry and therefore welcome the communist ideals. Their adherence to either side is not based on sound perception but they are only captured by the attraction of the industrial civilization in either party. Had they pondered a little and examined both Eastern and Western domains, they would have inevitably come to the conclusion that the advancement of the standard of industrial civilization does not necessitate

IMPERIALISM IN THE MIDDLE EAST

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

Imperialism in the Middle East, though it has various forms, usually serves one object that is the disintegration of peoples' unity in every country or provoking main disputes between one nation and another. Imperialism, though has revealed its aims since the begining of the ninteenth century, yet its manoeuvers to concentrate and fulfil its aims in the middle east had been actually started in the seventeenth century.

The first form of imperialism is represented in the influence of capitalism through the establishment of firms or through trade and loans. Such foreign capitals, when settled in any of the middle eastern countries, are always accompanied by political influence as well as by intervention in the state's own affairs. Such intervention is almost followed by military occupation. The military occupation of India in 1856 and in Egypt in 1887, for instance, were preceded by the domination of foreign capital as well as by political intervention. They were preceded too by acquiring certain authorities in directing the governmental affairs. The same was the case with the military occupation of Indonesia and North Africa from Morocco to Libya.

The imperialistic countries-to ensure their continual exploitation of the raw materials which they need to develop their national economy, of manpower to obtain these raw materials at law prices and of the local markets of the occupied countries to consume their own products-use another sort of imperialism characterized by its effective, far reaching, deep-rooted and long-termed effects. This sort of imperialism is meant to enable imperialists to achieve their goals or to subdue the exploited and occupied countries through guidance.

Imperialism in guidance.

Through such imperialistic guidance, the imperialists deal with characteristics of the people, their

Factual life shows us that nature always gives birth to more women than men. It treats men rather severely than it does with women. Societies too are naturally tending to become stronger. This is a fact which all ages prove its authenticity. Man too is destined by nature through the increasing of his effective power to lead a longer life than woman. Moreover man is always fit to carry out his sexual cravings while the woman on the other hand looses her suitability at certain Periods. There are too certain men whose sexual drive is so predominant that a single wife could not satisfy his cravings. To be chaste and upright he has to marry another one. Richness and poverty are due to reasons other than marriage.

Let us again set a question to settle that problem. Which is more reasonable to admit : the banning of plurality or the limitation of it with its effects of the abouniding of unmarried women who will be obliged under the pressure of their numbers and their inhibitions to go astray and lose t' eir honour, in such a manner as observed now a-days in the eastern countries after they had imitated the westerners in their way of life which allows the secret births and the concubinage or the permitting of plurality under no conditions other than those enjoined by God even when one marries in each city a new wife bringing forth from each legitimate sons who know their father perfectly well and whose relation to that father is known to all people.

I call upon those who propose the limitation to tell me with is just and sound diverse wiver with legitimate children or concubines who seek pleasure everywhere and with every passerby bringing forth loose children who have no fathers. Which of the two is more admittable you who seek the limitation if you are really well versed in this Queston and have sound minds.. ?

in modern times. The heavenly wisdom never considered that the existence of machinaton amongst them and amongst their sons an obstacle in the way of approving polygamy. This attitude denotes that the aims of polygamy from the point of view of the law-giver is beyond these petty things caused by natural jealousy and conspiracy.

The hatred which prevails amongst the fellow wives happens as well between the wife and her mother-in-law. Such is perrmissible from the point of view of law for although it entails evil yet it is a slight one in contrast to the numerous good it realises.

Although God the Almighty had known in anticipation that jealousy is a natural craving in women, yet He made the plurality of wives a legal deed in both ancient and modern times. The heavenly wisdom never considered such jealousy between wives and their children a cause for prohibiting polygamy. Such tendency proves that the advantages aimed at in instituting such plurality by the Law-giver overweigh such drawbacks as visualized in the natural jealousy which crops out in the hearts of women.

However the hatred which occurs between wives, takes place too between the wife and her mother-in law yet such hatred is overshadowed by legislation because although it is evil in itself yet it is nothing if it is weighed against the plentiful good which marriage realises.

The Islamic Law never neglects.

The Islamic law after all never neglects to mitigate such natural jealousy by giving wise counsels, right guidance and admonitions with a view to lessen the effects of human jealousy to enjoin the leaders of the nation to work laboriosly for realizing means of living and good education for the poor and their children. It always puts the blame of any shortcoming in attaining such ends on the shoulders of the Islamic governments which fail to support the means for bringing up good and powerful children through extending the opportunities of work for their citizens and safe guarding the rights of the labour.

To add to the aforesaid grounds which support the permissibility of polygamy, the other reasons which every one sees plainly in factual life we will find it is incumbent upon us to submit to the decree of the Islamic law as ordained by God that is to permit plurality and never try to Put conditions to limit it other than those enjoined by God as prescribed in the holy Qur'an is to satisfy the justice between wives in its proper sense as meant by the Low-giver.

in both social and moral fields leaving them to csatisfy their cravings by resorting to illegitimate intercourse with those who fell into their hands and have none to look after or defend their chastity against such raping.

Another plunder to the supporters of limitation,

7 — The supporters of the proposed limitation have made the poverty and the inability to nurture their children and those whose expenses are their responsibility a basis for their demand of limitation of plurality of wives. This tendency means that they permit the rich to marry more than one wife as he wishes and ban the poor to marry another wife.

If it is feasible to make poverty and richness a basis for permitting plurality, the result ought to have been the very reverse of what they had concluded. It should be the permission of plurality to the poor and the banning of it to the rich, for the poor have sympathy with each other and are ready to co'operate in their search for attaining a living. The man as well as the woman spends every effort possible to contribute for realizing a good living to their family. The poor has nothing to give as a favour to one of his wives. On the other hand the wives of the rich always look covetously to his wealth. He has the means which enable him to favour profusely any one of them. Such favouritism will lead to dissension and disintegration. So long the husband is rich and able he will be looked upon from the unfavoured wife as partial and turning altogether away from her. The poor's income and expenses are well known to his wives in detail and needs no suspicion.

The hatred which arises as a result of plurality amongst wives and their children is originated from a natural jealousy which can not be evaded. Such jealousy has existed in the upper classes of women i.e. amongst the mothers of the believers. Such existence had never stopped plurality for plurality realizes good deeds which over weigh the evils of such jealousy.

The ways of machination and conspiracies were practised amongst the children of the fellow wives in the higher classes. In this we can quote the example of joseph and his brothers. However such natural tendencies could not be taken as a pretext to stop the enactment of legislation the advantages of which are great.

God the Almighty who realises that jealousy is a natural element in the souls of wives, has made plurality of wives legitimate in olden as well as

thinkers on facing such perilous situation with one exception that our call will find neither heed nor support.

That polygamy is continually decreasing is well attested by the census made by the Egyptian Adminstration of statistics in 1943. The table drawn by this adminstration showed that the percentage of men marrying two wives had dropped in a period of ten years from 4. 49 ٪ to 2. 95 ٪ and the percentage of men marrying three wives had dropped from o 29 ٪ to o. 17 ٪ and that of thsoe marrying four wives from o. o 4 ٪ to o. o 2 ٪ .

Such results imply a warning that polygamy is coming to an end and that the people are tending to give it up as a result of their disregard to marriage itself as a Principle satisfying themselves through friendships and entertaining girl friends.

Our needs call reversal legislation.

6 — Such behaviour will lead the nation to moral deterioration from which the westerners had complained and from which an oriental nation had suffered. Their experience in that should urge the sensible people of our country to restrain from this tendency aiming at the limitation of dolygamy or its abrogation to save their country from the bad effect of demoralization. Instead they should think of a way to limit celibacy and to encourge marriage. In the meantime they have to plan for a legislation that aims at realising a reversal end to that Preconceived by the supporters of the law prementioned. They should account for a plan to encourage polygamy by offering at least a premium to those who marry more than one to help them shouldering the expenses of life if they are not rich enough and to urge others to follow their steps.

However it is against common sens in the field of vital legislation to plan a legislation for prohibiting a deed which is in its way finality and non existence. A legislation is always recurred to as a means to prevent the rush of the citizens into actions which lead to troubles in their lives and expose them to fall in the meshes of evil. We never heard of a law issued with a view to help or to instigate people to fall into the abyss of evil. As well we never heard that such a law could find a supporter or a defender.

In the light of the proofs which we have previously mentioned we can judge that the legislation proposed to limit polygamy is a means to help people to rid themselves of the noble ties which have good effects

religions and legislations. So they turned to Islam to borrow its panacea and legislation.

It is unright however to take such narrow point of view when we are trying to make a legislation missing the other side which the nature of the two sexes dictates, and the law of God ordains and thus leaving both man and woman under the control of the cravings of nature and the traditions of the universe to be obliged to response to the call of nature and to indulge in adultery. To this effect God the Almighty has gently draw our attention by saying " You shall not force your slave-girls into prostitution in order that you make money, if they wish to preserve their chastity.

An admonition from the east:

To quote another example I will refer you to the life history of an oriental nation which was bred in the bosom of Islam. Then by time It was overcome by western tendencies to disentangle her from the ties of religion. It turned a deaf ear to Islam and adopted civil law under the ferule of which it issued a law in 1926 prohibiting the polygamy. It is astounding to state that eight years of issuing that law the government was appaled by the rise in the number of secret births, secret marriages and hidden deaths of children. To prove this refer to the statistics issued by Ustaz Mohamed El Tabi the well known Egyptian writer in Akhr saa Magazine No. 556 published on the third of June 1945. He had collected these statistics personally while on a visit to Turkey.

Figures Speek :

Again if we refer to statistics concerning marriage lives and especially those of polygamy we will find out that the percentage of married people is decreasing as a result of the reigning of the idea of marriage avoidance in the minds of the young generation and as a result of their negligence to the rules of virtue. It is noteworthy to see that they not only had abandoned polygamy but they also had rid themselves of marriage itself as a rule. It is feared that if matters go ahead on such lines and I am sure it will; celibacy will then prevail and Polygamy disapear completely. By then the evils will increase and the situation will become very serious. Complaints will be incessantly raised. Thus we shall face the same situation which the French government had faced in 1901 and we shall be impelled to call for a reform as such which had been called for by the western

ed for its causes. Being a woman I always look at these girls with a heart rending from sadness and pity. But what will my pity and sadness even if they are shared by the whole nation do for them and contribute to lend a hand in saving them. No use of expressing only our sorrow for such miserable case. The situation needs action to prevent such abuses. God bless that great thinker Thomas who have realised the real cause and prescribed the effective panacea. It is the permission of plurality of wives. By such permission all evils could be evaded and our girls would become landladies and owners of homes. The root of all evils is the ban of polygamy and forcing upon the European citizen to marry only one. This restriction is the real cause for the going astray of our girls and the real motive that actuates them to share the men's jobs. The evil will abound and become more serious if plurality is not permitted.

Had polygamy been permissible such awful situations would have not happened.

She went on lamenting the misfortune of her sister girls whom the laws have prohibited their enjoying the home life by banning Polygamy.

This serious case which the French government had called for its treatment and which that English writer had described is what we fear to become very serious in our country as a result of youths' avoidance of marriage and as result of banning the plurality of wives or its limitation.

It is the case the premises of which and the motives of which are reigning the behaviour of the young generation to-day.

It is the case which the Holy Koran had aimed at its cure when it made plurality legitimate and expanded its practice. The Koran says with a view to urge people to marry.

" All women other than these are lawful to you provided you seek them with your wealth in modest conduct, not in fornication ".

Again the Koran says with a view to urge the marriage of women.

" Marry them with the permission of their masters and give them their dowry in all justice, provided they are honourable and chaste and have not entertained other men.

Fornication and entertaining other men are the main spring of evil which befell the western nations leaving them unable to find out panacea arising from their own

prevalent causes such as poverty, mal-elevation of the parents, the severity of the master, the labourer and the remarriage of one of the parents . after the death of the other the vicious society and the breakdown of the child's nervous sysem as a result of bad treatment and the ignorance of health preserving rules. It is the main duty of the governments alert to the needs of the nations and eager to raise their standards to combat such causes effectively. But plurality of wives has no effect in that direction to be counted as an effective cause to be combatted by issuing a law with a view to either its abrogation or limitation. However if we compare this low percentage caused by plurality with the percentage of foundlings and children burried alive picked up by the police and the citizens from the lanes and back sheets, the main cause of which is the avoidance of marriage and the abundance of widows, we shall find out that in the light of such comparison, we have to shun completely such percentage of vagrancy and to unite all our efforts to rid our society of such foundlings by searching for their real causes and trying to eradicate them completely.

A warning from the West :

If we carry on such research we would be able then to recognise and confess as the western writers have already recognised and confessed that the law of plurarlity of wives has a great effect on the increase of the percentage of foundlings and the burried above children. The western thinkers have realised this fact since the beginning of this century. Both their reformers and speakers have confessed it and made it a subject of their speaches and sermons. In the conference held by the French government in the year 1901 to discuss the best ways to combat the spread of debauchery, the question was raised. In the debate it was said that the number of foundlings picked up from the county of Seine only and put into the county's asylums to be nurtured at the expense of the government was about 50 thousand. Such foundlings were raped by some of the tutors who looked after them. The foundlings themselves commit adultery with each other with no restraint.

An English writer had treated this question as well. She said : " The girls who are going astray in our country have abounded. It is a serious question leading to the spread of debauchery but no one has taken it into consideration or even search-

future and what chances are hidden for them.

Justice as referred to in the verse though absolute, yet it is mentioned to denote a special aspect of Justice that is the justice between wives. Such view is accounted for by the explicit declaration of the second verse "ye will not be able to deal equally between your wives'. It is also backed by so many traditions of the prophet concerning the equal dealing between wives. No commentator or jurist has said that such justice comprises the ability to afford the expenses of the origins and offsprings and the ability to nurture his children.

The Justice meant by the Koran and by the traditions of the prophet is demanded in both richness and poverty.

The rich is ordained to deal justly with his women in the light of the traditions of his own enviroment. The poor as well is ordered to deal fairly with his wives under the circumstances prevalent in his environment. The justice demanded by the verse means that the husband should not turn altogether away from one wife and turn wholeheartedly to another leaving the former as in suspense. It is clear thus that the explanation of justice as conceived by the supporters of the limitation of plurality is a misconstruction and a deviation from the authentic meaning of the verse.

The factual causes of vagrancy.

As to vagrancy which they refferred to as an effect of polygamy, it is enough to confute their plea by quoting what was mentioned in the statistics made by the office of social service concerning vagrancy; its causes and effects. Therein the office after minute research has come to the conclusion that the percentage of vgrancy caused by polygamy is only 3 ./. such percentage is equal to the percentage caused by the severity of home in treating the child and the severity of the master in treating his servant.

No doubt this is a low percentage which could not stand as a reason for deciding that vagrancy is an effect of polygamy and as a basis for demanding the limitation of such plurality which has on the other hand social and moral advantages that immensely overweigh the disadvantages entailed by cuch percentage.

It is beyond doubt that vagrancy is a social disease which should be cured with a view to its eradication if possible. This end could be realized by waging a war against its

advantages of polygamy and its raison d'etre. They have deliberately shunned discussing the good points which support the need for such plurality. In fact it was incumbent upon them to deal fairly with the subject by weigning its good points against its bad ones and try comparing between its advantages and its disadvantages for this is the right way which should be follwed to evaluate justly a subject matter with two opposing effects: good and bad. Such comparative study will help them to give the verdict to the dominant side.

It is a well attested fact that wherein the good overweighs the evil in any institution one should stick to such institution for the scarcity of evil compared to the plenty of good is always overshadowed in case of legislation. However there is no legislation whatsoever though abounding with good that has no scarce evils which exist side by side with the good ones. Life itself by nature is not rid of evils caused by abnormalities and eccentricties. Such abnormalities never stopped legislations which ensure plenty of good to all citizens.

The justice meant by the verse :

3 — The supporters of the plan have expatiated upon the explanation of the meaning of justice mentioned in the vers " And if you fear that you can not do justice (to so many) then one only" by saying that the plurality is only permitted when there is no fear of injustice either to the wives or to any other of his kith and kin. By so saying they put into consideration that on permitting a man to having a second wife he should satisfy the condition of ability to afford the expenses of those whom he is responsible for their sustenance whether of his origin or offspring and to rear and educate his sons whom he will bring forth from his two or three wives. Plainly this tendency is rather strange for it is supposed that he who marries a second or a third wife is doing so to defend himself against the evils which he may be exposed to during the periods when the wife looses the adaptability to sexual intercourse and to defend his country against the evils entailed in the outnumbering of women to men as a result of the pressure of life and the wear and tear of time. Undoubtedly such satisfaction to an urgent need with a view to save himself and his country, has a priority in consideration to the ability to afford the expenses of his origins and offsprings. It has nothing to do with the possiblities of inability to nurture and educate expected children who may come or not. However on coming no one could foretell what would be their

PLURALITY OF WIVES IN THE LIGHT OF SOCIAL CASES

A Plan for the limitation of Plurality

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

From time to time a controversy takes place concerning the plurality and its social drawbacks. Sometimes these controversies turn to be attacks implicitly waged against the permessibility of such plurality. Not only had plurality been attacked ostensibly but also motions have been raised to ask government to issue laws with a view to limit such right or even to abrogate it. The most conspicuous of such motions was that backed by the Egyptian ministry of social Affairs in 1945 when it had plamed for issuing a law to the effect of restricting plurality by giving the right of permission to the judge in sharia courts who has to examine each case minutely and to investigate the behaviour of the man who applies for a permission to remarry and to inquire into his way of life to find out whether he can treat his second wife fairly and mannerly and whether he can afford the expenses of such wife over and above the expenses of his first wife and his kith and kin.

Referring to the explanatory notes of such plan in its different stages one will come to the conclusion that all these motions were actuated mainly by one fired idea that plurality disintegrates families, corrupts the offspring, shoulders the government with heavy burdens as a result of the increase of vagrants and delinquents and severs the family ties. These notes however concluded by stating that had plurality been only weighed by its bad effect on the education of the new generation and that it leads to the neglect of such education, it would have been enough to call for issuing a law to prohibit remarriage for those who cannot afford it.

The supporters of the plan overshadowed the advantages of plurality.

This Summary shows that the supporters of the idea of limitation of plurality have overshadowed the

with carelessness, his logic with obstinacy and his peaceful conduct with provocation. Thus he forced Al-Hussein to fight a desperate battle and cut off all access to the Euphrates, hoping to reduce him by thirst and killed him together with his family in such a barbrous way which makes one shudders when recalled.

— 3 —

The memories of two great events come to mind with the advent of Al-Muharram every year. The first is the memory of the Hegira of the Prophet which is celebrated in commemoration of the liberation of the Muhammedan Call from the siege of Mecca, the upsurge of the heavenly message at Medina and the emancipation of humanity at large from the servitude of ignorance.

The second is the memory of Al-Hussein's assassination which is a great day of mourning over the filched right as well as over a unity which was split and is still so ever since.

Therefore Muslims recieve their new year of Hegira in two different ways and feelings. For some it brings with it the dilightful memory of the victory of the first Great Immigrant i-e, Muhammad and so is an occasion for festivity and rejoicing while for others it is a sad and gloomy day when they recall the martyrdom of the noble striver i. e, Al-Hnssein and thus regard it as a great day of mourning. Had our unity been comprhensive we would hav met this new year with one feeling and one heart, would have left aside this tragic calamity which seperated brethren and subdued faith and would have committed judgement between disputants, who no longer exist, to God, the Lord of resurrection to forgive or condemn. Such a stand is worthy of this monotheist nation whose leaders, whom God Almighty has chosen to renew His faith and unify His word, are on their way to realize the unity of all hearts in order to bridge the gulf between the different sects and reconcile all interests thus puting an end to disunity and starting a period of harmony and co-ordination.

However, this divergence of views and emotions had emerged from an old dispute between two of the prophet's companions; and it is not in the least wise for Muslims to-day to stick to such a dispute or behave accordirg to its sordid spirit. Providence does not create evil but gives liberty and welcomes unity as well as amity, and if we misuse such a blessing or disregard this unity we are sure to suffer but have only ourselves to blame, and it is not in the least fair that fathers should eat sour grapes and the childrens' teeth are set on edge.

Müâwiyah; a policy that favoured tribal kinship over Arab nationalism and preferred political interests to religious matters. It was largely due to his entrusting the caliphate to his reckless son Yazid, who was obsessed by prejudice, employing rather unsound and imperfect measures.

The children of Ali, having inherited from him the prophetic and apostlic gifts which he himself inherited, by virtue of his birth and training, took up opposition with the sincerity of the true believers. They led the reformation movement with the audacity of the warrior and followed their father's footsteps in their rule. They had neither fallen in the abyss of egoism nor tried to be seperatists. They had never employed money to attain their aims or aroused tribalism or had they ever been opportunists.

The truimphant world, however, started to ignore piety and asceticism. Hence, religious incentives had no longer the power to restrain those who had been indulging in lavish and luxury in Syria and Iraq. The sons of Ali failed therefore as a result of the tyranny of the government as well as the deception of the people. It was painful then for Al-Husssein to see that the message of his grand-father had become nothing but propaganda; the caliphate of his father a royalty and the unity of his people utter dispersion. Therefore he made a solemn pledge to settle forcibly this unjust deviation. Thus he appealed to the different tribes and clans to offer him their support, but unfortunately his appeal did not fall on favourable ground. Being disappointed he distined to seek support in another direction. Hoping that he might find such a help from the Shi'is of Iraq who had already given him their word through their messengers and messages as to pave the way for him and instigate the people to swear fealty to him. Al-Hussein thus intended to go there in person accompanied by not more than eighty of his people including his wives and childrен repeating to himself all the way the same words he wrote to his brother Muhammad in his bequest, : "I am not out for wealth but seeking reformation of my grand-father's people. I want to enjoin what is right and forbid what is wrong. He who accepts my plea I have nothing against him, but whosoever opposes me, I will excercise patience till God, who is the best Judge, decrees His decision between me and him."

But Yazid's army, which was entirely formed from the Iraqi people, blocked his way to Al-Kufah. Its commander; Ibn Zeyad, who had hostile feelings against Al-Aussein and his family met Al-Hussein's patience

the heavenly seeds had never grown, and a shifting from a people who kept off man from the way of God. The call of truth at Mecca was just like rain sent down by God on a sandy desert; part of which penetrated deep in the earth while the other was blocked by the solid rocks. Under the force of the great pressure it gushed forth from beneath these rocky barriers forming floods in valleys, streams in villages and rivers in towns and cities. It carried to all people fertility and abundance providing them with nourishment and prosperity. It awakened the dead earth, satisfied the peoples thirst and ensuing construction, civilization and good.

The immigration of the Messenger to Madinah meant the upsurge of Islam which pervaded the entire world offering guidance of the restless souls, peace to the belligerent universe and amity to the devided hearts. It realized the dream of man who had been victim of aggression and subject to oppression. It has realized for him the long sought dreams for a brotherhood that would emanate bliss, an equality upon which justice is erected and a freedom that nourished understanding. The "Hegira" or the era of the Hijra according to which the wise and great Caliph Omar had made the Muslim calendar, was an epic that was inspired by God, that drove its very spirit from the morals of Muhammad and whose success was based on the truthfulness of the Arabs. It has echoed in the hearings of successive generations and centuries, and stood as a striking example to be followed by the leaders of humanity, to teach them how to be patient in times of hardships, steadfast in time of dissensions, courageous in face of tribulation and martyrs in the cause of the belief.

Moreover, the Hegira was the solid ground upon which the prophet had established the unity of the Arabs which was later on consolidated after the seizure of Mecca. It is notewo-rthy to state that the prophet's wise successors had proccaded on the same line and consequently ascertained this unity by linking all Arabs under a democratic and free system, as well as under an impartial theocratic rule. Thus mastery was based on religious foundations not tribal interests.

— 2 —

Soon afterwords this grand structure leaked profusely when the great dissension took place and strong disputation arose over the caliphate between Ali and Muawya, or let us say between the Hashimides and the Ommeyyads. It was also due to the policy of the first Ommeyyad

were really the darkest nights in the history of the call. The swords of treachery were raised in the hands of lads who had been chosen from amongst the tribes of Kuraish and who were watching over the dwelling place of the prophet with an open eye. Ali, the prophet's cousin, was inropped in the messenger's cloak in order to impose on the men outside that he was the wanted man i.e., the messenger, and thus keep them from looking for him elsewhere. The immigrant, who ran away with his message from the subjugation of blasphemy, was taking refuge in the cave in the remote end of Mecca, strengthening himself by the remembrance of God and reassuring himself by patience telling his companion who was trembling with fear and unable to control himself: " never grieve. There is no doubt that God is by our side".

Morning came and with it the trick was exposed to the plotters who began looking for him everywhere by all means until they reached a point where they could overtake the messenger and his companion. When God whose will was that His word would prevail and His religion survive. He blinded their eyes and shook the ground under their feet. Muhammed, his companion, his guide and his servent went away within sight of the disbelievers taking the rough and deserted route until they reached Yathrib (Medina). In this sacred city the seeds of the call flourished and the light of God prevailed thanks to the exercise of patience, truthfulness, faith and manhood. The prophet united the scattering group, unified the bonds of religion and was preparing for the sacred struggle (Al-Jihad). He linked between the hearts of Al-Aws and Al-Khazrag tribes, made the immigrants and the companions brethren and held a peace treaty between the Muslims and the Jews. In Madinah God's army was formed which opened Mecca and the entire world.

The immigration of the messenger, however, was not a flight from death as it was maliciously held by the western writers. Had it been a matter of life the messenger could have given up the Call and stayed safe and secure amongst his people. But it was rather submission to God's command as the brophet had stated in his own words to his uncle: " I swear by God's name that if they put the sun in my right hand and moon in my lift hand to give up this message. I would never do so until God makes it prevail or I am willing to die in it ".

The immigration was a mere coming out from a land in whose soil

the heavenly seeds had never grown, and a shifting from a people who kept off man from the way of God. The call of truth at Mecca was just like rain sent down by God on a sandy desert; part of which penetrated deep in the earth while the other was blocked by the solid rocks. Under the force of the great pressure it gushed forth from beneath these rocky barriers forming floods in valleys, streams in villages and rivers in towns and cities. It carried to all people fertility and abundance providing them with nourishment and prosperity. It awakened the dead earth, satisfied the peoples thirst and ensring construction, civilization and good.

The immigration of the Messenger to Madinah meant the upsurge of Islam which pervaded the entire world offering guidance of the restless souls, peace to the belligerent universe and amity to the devided hearts. It realized the dream of man who had been victim of aggression and subject to oppression. It has realized for him the long sought dreams for a brotherhood that would emanate bliss, an equality upon which justice is erected and a freedom that nourished understanding. The "Hegira" or the era of the Hijra according to which the wise and great Caliph Omar had made the Muslim calendar, was an epic that was inspired by God, that drove its very spirit from the morals of Muhammad and whose success was based on the truthfulness of the Arabs. It has echoed in the hearings of successive generations and centuries, and stood as a striking example to be followed by the leaders of humanity, to teach them how to be patient in times of hardships, steadfast in time of dissensions, courageous in face of tribulation and martyrs in the cause of the belief.

Moreover, the Hegira was the solid ground upon which the prophet had established the unity of the Arabs which was later on consolidated after the seizure of Mecca. It is noteworthy to state that the prophet's wise successors had proceaded on the same line and consequently ascertained this unity by linking all Arabs under a democratic and free system, as well as under an impartial theocratic rule. Thus mastery was based on religious foundations not tribal interests.

— 2 —

Soon afterwords this grand structure leaked profusely when the great dissension took place and strong disputation arose over the caliphate between Ali and Muawya, or let us say between the Hashimides and the Ommeyyads. It was also due to the policy of the first Ommeyyad

were really the darkest nights in the history of the call. The swords of treachery were raised in the hands of lads who had been chosen from amongst the tribes of Kuraish and who were watching over the dwelling place of the prophet with an open eye. Ali, the prophet's cousin, was inropped in the messenger's cloak in order to impose on the men outside that he was the wanted man i.e., the messenger, and thus keep them from looking for him elsewhere. The immigrant, who ran away with his message from the subjugation of blasphemy, was taking refuge in the cave in the remote end of Mecca, strengthening himself by the remembrance of God and reassuring himself by patience telling his companion who was trembling with fear and unable to control himself: " never grieve. There is no doubt that God is by our side".

Morning came and with it the trick was exposed to the plotters who began looking for him everywhere by all means until they reached a point where they could overtake the messenger and his companion. When God whose will was that His word would prevail and His religion survive. He blinded their eyes and shook the ground under their feet. Muhammed, his companion, his guide and his servent went away within sight of the disbelievers taking the rough and deserted route until they reached Yathrib (Medina). In this sacred city the seeds of the call flourished and the light of God prevailed thanks to the exercise of patience, truthfulness, faith and manhood. The prophet united the scattering group, unified the bonds of religion and was preparing for the sacred struggle (Al-Jihad). He linked between the hearts of Al-Aws and Al-Khazrag tribes, made the immigrants and the companions brethren and held a peace treaty between the Muslims and the Jews. In Madinah God's army was formed which opened Mecca and the entire world.

The immigration of the messenger, however, was not a flight from death as it was maliciously held by the western writers. Had it been a matter of life the messenger could have given up the Call and stayed safe and secure amongst his people. But it was rather submission to God's command as the brophet had stated in his own words to his uncle: " I swear by God's name that if they put the sun in my right hand and moon in my lift hand to give up this message. I would never do so until God makes it prevail or I am willing to die in it ".

The immigration was a mere coming out from a land in whose soil

SOME MEMORIES OF AL-MUHARRAM

Immigration in the Way of God, martyrdom in the way of truth

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

God sent the messenger Muhammad after the break in the series of the prophets. This was truly the dark age of the world. Religion was corrupted; the standard of morals fell law; false beliefs and heresies arose. Poverty and ignorance were prevailing in the Arab Peninsula. The messenger, peace be upon him, was subjected to unlimited hardships through foolishness of the heathens, from the domination of materialism, from the plotting of the fanatics, from the yoke of poverty and lack of support. God only helped him to overcome such adverse circumstances. He provided him with a power of His Own and strengthened his faith as well as his morality.

Muhammad, though poor and weak, undertook the message of God, while Abou Gahl carried out the mission of the devil, meanwhile enjoying wealth and authority. Therefore he made of Makkah a seat of dissension which obstructed the way in the face of the messenger and hindered the spread of his call and the proclamation of the word of God. Muhammad was moving on land full of agitation and troubles. Whenever he went Abou Lahab met him with persecution, humiliation and ill-treatment. Every Kuraishi then was following the steps of both Abou Gahl and abou Lahab except those whom God had preserved.

The disbelievers of Mecca and Al-Taif inflicted all sorts of torture upon the prophet, his family and his companions in order to enforce him to give up the call. The prophet never gave way. So Iblīs (the devil) obtained admission to their council (Dar Al-Nadua) and confirmed death to the messanger. But God Alimghty delivered him.

The nights of the cave of Thawr